



قضايا إسلامية معاصرة

اسلامية المعرفة

المبادىء العامة - خطة العمل - الإنجازات

دار الهادي



اسلامية المعرفة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

قضايا اسلامية معاصرة

اسماعيل الفاروقي

اسلامية المعرفة

المبادئ العامة - خطة العمل - الانجازات



للطباعة والنشر والتوزيع

تقديم

ظهرت الدعوة إلى تبني اتجاه جديد في تدوين العلوم في العـالم الإسـلامي، منذ ربع قرن تقريباً، عبر دراسات عديدة، شددت على: كتابة العلوم من وجهـة إسلامية، والأسـس الإسـلامية للعلـم، وصياغـة العلـوم الاجتماعيـة صياغـة إسلامية، والتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، والتوجيه الإسـلامي للعلـوم الاجتماعية، وبناء العلوم الاجتماعيـة علـى منـهج الإسـلام، وتأسـيس العلـوم الاجتماعية على الأصول الإسلامية، وأسلمة المعرفة أو إسلامية المعرفة، وأسلمة العلوم. وقد اتخذت طائفة من البحوث التي نشرتها مجلّة المسلم المعاصر[1] هذه الدعوات عناوين لـها، والتقت بمجموعها في محور واحد، هو محاولة إعادة بنـاء العلوم الاجتماعية في ضوء المنظور الإسلامي. لكن هذا المحور اتسع في الكتابـات اللاحقة، ليستوعب العلوم الطبيعية والتطبيقية مضافـاً إلـى العلـوم الإنسـانية، فشاع استخدام تعبير «إسـلامية المعرفـة» ليشـمل صياغـة العلـوم والمعـارف بأسرها صياغة إسلامية. وأضحت «إسلامية المعرفـة» تسـمية لمدرسـة فكريـة إسلامية، انخرط في الدعوة لها، والكتابة عنها، والتثقيف على أفكارها قطاع من الأكاديميين الإسلاميين في الجامعـات، ومجموعـة مـن العلمـاء والمثقفـين، وذاع صيتها، وانتشرت إصداراتها في أرجاء العـالم الإسـلامي، ولم يقتصـر دعاتـها والمتحمسون لها على طائفة أو مجموعة خاصة، وإنما استعار عنوانـها الكثـير من المهتمين بإصلاح الفكر الإسلامي، وتأثر بفكرتها آخـرون، وإن لم يقتبسـوا تسميتها.

---

(١) مجلّة المسلم المعاصر. الأعداد ٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥.

مفهوم إسلامية المعرفة

يورد دعاة هذه الفكرة عدة تعاريف تفصح عن محتواهـا وتحـدد معالمـها، فيكتب الأستاذ أبو القاسم حاج حمـد في تعريفـها: «أسـلمة المعرفـة تعنـي فـك الارتباط بين الإنجاز العلمي الحضاري البشري والإحالات الفلسـفية الوضعيـة بأشكا لها المختلفة، وإعادة توظيف هذه العلوم ضمن نظام منـهجي دينـي غـير وضعي، وهي تعني فيما تعنيه أسلمة العلم التطبيقي والقواعـد العلميـة أيضـاً، وذلك بفهم التماثل بين قوانين العلوم الطبيعية وقوانين الوجود التي ركبت علـى أساسها القيم الدينية نفسها، ولذلك تتم أسـلمة الإحـالات الفلسـفية للنظريـات العلمية بحيث تنفي عنها البعد الوضعي، وتعيد صياغتها ضمن بعدهـا الكونـي الذي يتضمن الغائية الإلهية في الوجود والحركة»[1]. وينبه حـاج حمـد إلـى أن «إسلامية المعرفة لا تعني بحال مجرد إضافة عبارات دينية إلى مبـاحث العلـوم الاجتماعية والإنسانية باستمداد آيات قرآنية ملائمة لموضوعات العلم المقصـود أسلمته، بل هي إعادة صياغة منهجية ومعرفية للعلوم وقوانينها، كمـا لا تعنـي مجرد سحب الانتماء الذاتي للدين علـى كافـة الموضوعـات لإضفـاء الشـرعية الدينية علـى الإنجـاز الحضـاري البشـري واسـتلابه دينيـاً بمنطـق الاحتـواء اللاهوتي واللفظي»[2].

أما عند الدكتور عماد الدين خليل فتعني: «ممارسة النشـاط المعـرفي كشـفاً وتجميعاً وتركيباً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون والحيـاة والإنسان... ولا تنسحب فقـط علـى مـا يسـمى بـالعلوم الصرفـة «المحضـة»

(١) محمد أبو القاسم حاج حمد. منهجية القرآن وأسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية.
(٢) المصدر نفسه. ص ٣٠.

والتطبيقية في التعامل مع الوجود، وإنما تمتد بالضرورة إلى ما يعـرف بدائـرة العلوم الإنسانية، بل إنها في هذه أشد ضـرورة ؛ لأنـها المعنيـة بـترتيب وضـع الإنسان في العالم وتنظيم حياته بما يجعله قديراً على تحقيق مهمتـه في العـالم.. إن إسلامية المعرفة هاهنا لا تعني فقط الدعـوة لتحقيـق الوفـاق بـين معطيـات العلوم الإنسانية وبين المطالب الدينية على مستوى التطبيق، وإنمـا تعنـي، قبـل هذا وبعده، احتواء كافة الأنشطة المعرفية على المستويين النظري والتطبيقي معاً، من أجل جعلها تتحقـق في دائـرة القناعـات الإيمانيـة وتتشـكل وفـق مطالبـها وتصوراتها الشاملة أسوة بالعلوم الأخرى»[1].

ويعتبر الدكتور محمد عمارة فكرة إسلامية المعرفة في مصاف المذهب حينما يصفها بأنها: «المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية، والرافض لجعل الواقع والوجود وحده المصدر الوحيد للعلم الإنساني والمعرفـة الإنسانية. هي المذهب الذي يقيم المعرفة على سـاقين اثنتـين: الوحـي وعلومـه، والكون وعلومه، وليس على ساق واحدة هي الوجود»[2].

بينما يفهم الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح الأسلمة بأنـها: «عنـوان لمنـهج فكري في التثاقف الحضاري، ذي بُعديـن أو معنيـين متضـايفين: الأول منـهما: ويراد به جهد الفكر الإسلامي المعاصر، وسعيه الحثيث من أجل هضم جميع ما أنجزه الفكر الغربي وتمثله في بعديه: الحضاري المادي، والثقـافي المعنـوي. أمـا الثاني: ففيه التنبيه على تحرير تلك المنجزات التي نشأت ضمن مفاهيم فلسـفية

(١) د. عماد الدين خليل. مجلة المسلم المعاصر. العدد ٥٣ (١٩٨٨ م)، ص ٥ ـ ٧.

(٢) د. محمد عمارة. مجلة المسلم المعاصر. العدد ٦٣ (١٩٩٢ م)، ص ٩.

لادينية، ومادية وإلحادية، ذلك بإعادة تفسيرها وربطها بإطار قيمي إسلامي، موصول ومتصل با لهدي الإ لهي، الذي بلغ كماله وختامه بالإسلام»[1].

ويفضِّل الدكتور طه العلواني عدم حصر إسلامية المعرفة في إطار مغلق في حد جامع مانع، مثلما يرى البعض «لأنها قبل ذلك وبعده: بناء لنظرية المعرفة التوحيدية التي تؤمن بأن للكون خالقاً واحداً أحداً.. استخلف الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم، وجعل الوحي مصدراً إنشائياً أساسياً لمعرفته والوجود مصدراً موازياً، بقراءتهما في إطار التوحيد الخالص تتكون المعرفة السليمة الرشيدة الهادفة، معرفة التوحيد والاستخلاف والأمانة والعمران والشهود الحضاري»[2].

والذي يتلخص من الرؤى السابقة أنها حاولت رسم أبعاد فكرة إسلامية المعرفة، من خلال بيان مصادر المعرفة الإسلامية وفضائها وقيمتها، والكشف عن أن هذه المعرفة تستقي من قراءتين، وتتحقق بالجمع بينهما وهما قراءة الكتاب وقراءة الكون، مضافاً إلى اهتمامها بدمج شيء من عناصر فاعلة حية من التراث الإسلامي مع العلوم الإنسانية الغربية، بعد غربلة هذه العلوم وتفكيكها وإعادة تركيبها في نسق جديد، يحررها من بعدها الأحادي الوضعي المادي، ويوصلها بمنظومة معرفية ممتدة، يتوحد في إطارها عالما الغيب والشهادة، باتساق يحكي التناغم والإيقاع الموحّد لهذين العالمين في الوجود.

---

(١) د. عرفان عبد الحميد فتاح. مجلة إسلامية المعرفة. العدد ٥ (١٩٩٦ م)، ص ٩.

(٢) د. طه جابر العلواني. إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم. ص ١٢.

الجمع بين القراءتين

يستعيد دعاة إسلامية المعرفة بعض مصطلحات التراث الإسلامي، لكن مع إغناء وتطوير لمدلولاتها. ففي التراث تكرر مصطلحا الكتاب التدويني والكتاب التكويني. وأضاف المتصوفة والعرفاء كتاباً ثالثاً هو كتاب النفس، وشرح العلماء المسلمون التناغم والتطابق بين تلك الكتب، فالكتاب التدويني «القرآن الكريم» يتجلّى فيه الكتاب التكويني «العالم» بدقّة، مثلما يتجلّى الكتاب التدويني في التكويني، بل هما وجهان لحقيقة واحدة، وأن القبض على هذه الحقيقة واكتشاف آفاقها، لا يتحقق من دون التعرف على تجلياتها ووجوهها المتنوعة. بل إن معرفة أي منهما معرفة حقة لا تكتمل إلاّ بالاستعانة بالكتاب الآخر، بمعنى أن متشابهات كل من الكتابين كما يمكن تفسيرها بالاستعانة بمحكمات الكتاب نفسه، كذلك يمكن تفسيرها بالاستناد إلى محكمات الكتاب الآخر. فمتشابهات الكتاب التدويني تتضح عبر قراءة محكمات الكتاب التكويني، وبالعكس.

لقد تبلور ذلك المنهج المعرفي التراثي في مشروع إسلامية المعرفة، بوضوح يكاد يحكي رؤية ذلك المنهج وأدواته، لكن مع صياغة حديثة، ترسم إطاراً نظرياً محدداً، وتفصح عن المرتكزات الأساسية لهذا المنهج، وما يترقب أن يضطلع به من تحرير الإنسانية من أنساقها المسدودة ونهاياتها التي ما برحت تلوح في الأفق، وأن يبعث الحياة من جديد في دوائر هامة من التراث، ظلت مهملة ومجهولة مدّة طويلة.

إن مشروع إسلامية المعرفة يشدد على ضرورة تجاوز القراءات الأحادية للحقيقة، تلك القراءات التي اجتزأت الواقع، وانتهت إلى تشوه الرؤية وشقاء الوعي. ويخلص أصحاب هذا المشروع إلى أن حل الأزمة الفكرية في عالمنا الإسلامي بل في العالم أجمع، يتوقف على تبني منهج إسلامية المعرفة. ولا

سبيل لتحقق هذا المنهج إلاّ بالتوكؤ على قـراءة كتـابين، همـا: الوحـي المقـروء، والكون المتحرك، فإنه عبر الجمع بين هاتين القراءتين تتكامل المعرفة، وتتخلـص العلوم الإنسانية من منـزلقاتها ونـزعتها المادية، وما نجم عنها من ركام مـاديّ مفرغ من أي مضمون روحي، ومنظـور قيمـي أخلاقـي؛ لأن العلـوم الحديثـة انغلقت في مدار قراءة أحادية، هي قـراءة الكـون فحسـب، بينمـا الكـون يمثـل مساحة محدودة من الوجود، وتجاهلت مساحة شاسعة ما وراء هذا الكون، وما يحفل به من غيب، ولم تدرك كنه الوشيجة العضوية بين المساحتين.

إن الجمع بين القراءتين هو السبيل الوحيد لتحرير العلوم من أزماتـها، لأن قراءة كتاب الكون من دون كتاب الوحي تفضي بالتدريج إلـى الفكـر الوضعـي الذي يسجن الوعي البشري في ظلمات المادة، ويقطع صلته بخالقـه، أمـا قـراءة كتاب الوحي «القرآن» وإهمال قراءة الكون، فيقود بالتدريج إلى نفي النواميـس والسنن التاريخية والاجتماعية والنفسية، وبـروز عقليـة قدريـة تلغـي عوامـل الزمان والمكان والمحيط الخـاص ولا تـدرك الصـيرورة التاريخيـة والتحـولات المتجددة في الواقع، وما تحفل به الحياة من تبـدل وتغيـير. فيغـدو الفكـر فكـراً تكرارياً سكونياً، يرى الحاضر بمرآة المـاضي، فيغيـب عـن الحـاضر في عـوالم الماضي، وينقطع عن عصره، وإن كان يبدو موجودا فيه، لكنـه غـائب عنـه، لأن الحضور يعني إدراك العصر ومشاغله واستفهاماته ومكاسبه.

ولكي نتخلص من الآثار الناجمة من الاقتصار على نوع واحد مـن القـراءة فقط، لابد من ضم كلتا القراءتين إلى بعضهما، والاستناد إليهما معا في الوصول إلى الحقيقة وتجلية سائر أبعادها، لأن كل واحدة من القراءتين تعضد الأخـرى وتكملها. فقراءة القرآن تهدي إلى الكون، كما أن قراءة الكون تدل وترشـد إلـى القرآن، بمعنى أن القرآن والكون كلاهما يوصل إلى الآخر ويدل عليه.

إن دمج القراءتين يتيح لمعرفتنا التوغل في آفاق العالم، والنفاذ إلى مديات قصية تظل مجهولة لدى من يستعين بقراءة أحادية. فقراءة الكتاب ترشدنا إلى قراءة الكون وفهم سننه، وقراءة الكون تهدينا إلى فهم آيات الكتاب ومتشابهاته، وغاية قراءة القرآن هي التنزل من الكلي إلى الجزئي والربط بين المطلق والنسبي بقدر ما تتيحه قدرات البشر العقلية النسبية في فهم تنزلات الكلي وربطه بالواقع المتغير الجزئي. وقراءة الكون تمثل عروجاً من الجزئي النسبي باتجاه الكلي المطلق، وفق القدرات النسبية الجزئية أيضاً على فهم الظواهر. وبذلك ينعدم الفصام المزعوم بين الوحي والمعرفة الموضوعية للكون والوجود، وهذا ما يشي به قوله تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق...**﴾ «العلق: ١ـ٥»[1].

مسار إسلامية المعرفة

أرجع بعض الباحثين إسلامية المعرفة إلى النبي إبراهيم عليه السلام، باعتبارها تمثل الجانب الفكري من الإسلام الذي بدأ بأبي الأنبياء وتكامل على يد خاتم الأنبياء[2]، فيما حدد نشأتها باحث آخر بظهور الإسلام، لأن جدة هذا الشعار، لا تعني جدة المضمون الذي يعبر عنه، ولا جدة القضية التي يطرحها، فإسلامية المعرفة مهمة فكرية، ورسالة ثقافية عرفتها حضارتنا منذ ظهور الإسلام، وأول كتاب عرض لهذه القضية هو القرآن الكريم[3].

غير أن تحديد لحظة ميلاد إسلامية المعرفة بميلاد الإسلام لا يعني وجود الاتجاه المعرفي الجديد الذي يسعى لاستيعاب المعارف الحديثة وإعادة بنائها في

(١) المصدر نفسه. ص ١٣ ـ ١٦.

(٢) المصدر نفسه. ص ١٣.

(٣) د. محمد عمارة. مصدر سابق. ص ٥.

نسق مغاير للوضعية الغربية، والعمل على تفكيك التراث واصطفاء عناصره الحية وتشكيلها في إطار متطلبات المسلم المعاصر ؛ ذلك أن هذا الاتجاه ظهرت بذرته الأولى منذ القرن التاسع عشر، بعد تعرف المسلمين على العلوم الغربية الحديثة، ووقوع معظم البلاد الإسلامية في شراك الاستعمار الأوروبي.

ثم تنامت هذه البذرة بمرور الزمان، فتجاوزت مرحلة الشعارات التي ترددت في كتابات روّاد اليقظة الإسلامية إلى فكرة ذات مدلول محدد، وأخيراً ارتقت إلى مشروع منهجي طموح اتخذ من «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» مركزاً للانطلاق والعمل.

وقد سبقت ولادة المعهد عدة أنشطة وأعمال ثقافية، مهَّدَت لظهور هذه المؤسسة، ولعل من أبرز هذه الأعمال تأسيس «جمعية العلماء الاجتماعيين المسلمين» من قبل اتحاد الطلبة المسلمين في أميركا وكندا سنة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م. واهتمت هذه الجمعية بتأكيد دور العامل الفكري في النهضة، ونبهت إلى أن الجذر العميق لمشكلات الأمة يعود إلى الأزمة الفكرية، فلابدّ من إصلاح الفكر أولاً إذا أردنا إصلاح الأمة.

وبعد ذلك بخمس سنوات انعقدت «الندوة العالمية الأولى للفكر الإسلامي» في لوجانو بسويسرا سنة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م. فأجمع المشاركون فيها بعد أسبوع من البحث والمناقشات على أن الأزمة الراهنة في العالم الإسلامي هي أزمة فكرية، وأن العلاج يجب أن يبدأ بهذه الأزمة. وهذا يقتضي إنشاء مؤسسة علمية متخصصة لدراسة هذه القضية ووضع الحلول لها. فتمخض عن ذلك تأسيس «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» سنة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م. وتلا ذلك بعام واحد انعقاد «ندوة إسلامية المعرفة» في إسلام آباد في باكستان سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م، وأثمرت بحوثها ومداولاتها الاتفاق على «خطة العمل» التي

حررها ونشرها بالإنجليزية الشهيد الدكتور إسماعيل الفاروقي تحت عنوان «أسلمة المعرفة»، ونشرت مجلّة المسلم المعاصر ترجمتها العربية في عددها الثاني والثلاثين الصادر في سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م. فتلقاها القراء باهتمام كبير، ورفدت المسلم المعاصر هذه القضية بدراسات مسهبة في أعدادها اللاحقة، تناولت الأسس النظرية للأسلمة وتطبيقاتها في العلوم المختلفة[١].

وبعد ذلك بأربعة أعوام نشر المعهد كتاب «إسلامية المعرفة: المبادئ ـ خطة العمل ـ الإنجازات»، في سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م. والذي أعده بالإنجليزية الشهيد الدكتور إسماعيل الفاروقي، وحرر الدكتور عبد الحميد أبو سليمان طبعته العربية المعدلة. واعتبر هذا الكتاب منذ ذلك الحين خطة ودليلاً لمشروع إسلامية المعرفة، غير أن هذه الخطة لم تلبث ساكنة، وإنما عمل أصحابها على تنميتها وتكميلها، فجاء كتاب الدكتور طه جابر العلواني «إصلاح الفكر الإسلامي» في طبعته الأخيرة، مستوعباً للتطوير والتكامل الأفقي والعمودي في مشروع إسلامية المعرفة.

وينبغي التنويه بجهود رائدة في مضمار أسلمة المعرفة، فإنها وإن لم تتخذ من هذه التسمية شعاراً لها، غير أنها صاغت رؤى نظرية مبتكرة في تأصيل أسس نظرية للعلوم، وأنجزت دراسات هامة تستند إلى تلك الأسس. فمنذ كتاب «تجديد التفكير الديني في الإسلام» لمحمد إقبال، مروراً بآثار الشيخ محمد عبد الله درّاز، خاصة كتابه «دستور الأخلاق في القرآن»، وإسهامات مالك بن نبي في «مشكلات الحضارة»، ظهرت عدة أعمال اتسمت بإبداعات متميزة، تخطى فيها التفكير الإسلامي زمن الشروح والحواشي، وافتتح عهداً جديداً في التأصيل

---

(١) محمد مراح. إسهامات مجلّة المسلم المعاصر في إسلامية المعرفة. رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبدالقادر الإسلامية، قسطنطينة ـ الجزائر.

والتنظير. وهذا ما يحكيه بجلاء «أصول الفلسفة والمذهب الواقعي» للسيد محمد حسين الطباطبائي، والتعليق عليه لتلميذه الشهيد الشيخ مرتضى المطهري، ويمكن القول بأن إنجاز الطباطبائي في «أصول الفلسفة» الذي أسفرت عنه حلَقة قم الفلسفية، يظل إنجازا متميزا، لم يرق إليه في العالم الإسلامي، عمل مما سبقه، كذلك لم يتوفر أثر فلسفي مما تلاه على تمام الخصائص التي توفر عليها مجتمعة، ليس لأنه حاكم الفلسفة المادية واخترق هيكلها ونقض مرتكزاتها، ولا لأنه أضحى مرجعا أفادت منه أعمال الإسلاميين من هذا الموضوع، بل لأنها المرة الأولى التي صاغ فيها فيلسوف مسلم بعد صدر الدين الشيرازي نظاما فلسفيا متينا، يستوعب أمهات المسائل الفلسفية في إطار حديث، بالتوكؤ على المقولات والمفاهيم الحية التي أبدعتها الفلسفة الإسلامية، وتوظيف المعطيات الحقة في الفلسفة الغربية[١].

وكان للشهيد الشيخ مرتضى المطهري إسهام متميز في صياغة أسس «الرؤية التوحيدية» في سلسلة دراسات تناولت قضايا تتصل بنظرية المعرفة، وموقع الإنسان في الوجود، والمجتمع والتاريخ، وما يرتبط بالرؤية التوحيدية للعالم من مسائل.

وفي السياق ذاته لابد من التنويه بدور السيد الشهيد محمد باقر الصدر في صياغة الموقف النظري للإسلام حيال جملة من القضايا الهامة، فقد تناولت مؤلفاته موضوعات انبسطت على قضايا المنهج، ونظرية المعرفة، والعقيدة، والقرآن الكريم، والشريعة، واهتمت بتأصيل النظرية فيها، وقدر لها أن تنتقل بالفكر الإسلامي نحو آفاق جديدة، تجاوز معها هذا الفكر الهموم التقليدية، وهبط أرضا لم يحرثها قبل ذلك.

---

(١) عبد الجبار الرفاعي. مجلة التوحيد. العدد ٨٨ (١٩٩٧ م)، ص ١٤٦.

فمثلا استطاع الشهيد الصدر أن ينتقل بمسألة المنهج من منهج القياس الأرسطي إلى منهج الاستقراء القائم على حساب الاحتمالات، بعد اكتشافه لمذهب جديد في تفسير كيفية المعرفة البشرية وتوالدها، غير ما كان معروفا في المذهبين التجريبي والعقلي، أسماه «المذهب الذاتي للمعرفة». كذلك انتقل بتفسير القرآن من التفسير التجزيئي إلى التفسير الموضوعي التوحيدي، الذي يوحد بين التجربة البشرية والقرآن، ويصوغ المركب النظري القرآني إزاء مقتضيات الحياة المتنوعة. كما عمل على إقحام الفقه في حقل بكر، فانتقل به من فقه الفرد إلى فقه المجتمع والدولة وأدرجه في سياق تجربة مغايرة في الاستدلال، حدد أدواتها وعناصرها الأساسية، وباشر تطبيقها عبر تأصيل النظرية الفقهية في غير واحد من حقول فقه المجتمع والدولة المهمة، كما يتبدى ذلك في محاولته لاكتشاف المذهب الاقتصادي في «اقتصادنا». بل تجاوز ذلك إلى اعتماد بعض الأدوات الجديدة في استنطاق النصوص، والبحث عن أطر بديلة، ترفد المجتمع بمواقف الشريعة المرنة تبعا لتحولات الزمان ومتطلبات المحيط والبيئة، وهو ما اصطلح عليه بـ «منطقة الفراغ في التشريع الإسلامي». وبهذا تطورت تجربة الاستنباط الفقهي على يديه، وتحررت من الفهم الحرفي للنصوص نحو تقنين المنحى المقاصدي واستلهام روح الشريعة وأهدافها الكلية[1].

تجدر الإشارة إلى أن الشهيد الصدر سبق مشروع إسلامية المعرفة بتشخيص أداة منهاجية أساسية، يمكن الاستناد إليها في صياغة العلوم الإنسانية صياغة إسلامية عبر محاولته في بيان الفرق بين المذهب والعلم، وتحديد وظيفة كل واحد منهما. فمثلا تحدث بإسهاب عن الفرق بين المذهب

---

(١) عبد الجبار الرفاعي. منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الإسلامي. «رواد الإصلاح-١»، مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي، ص ٩٧ ـ ١٠٣.

الاقتصادي وعلم الاقتصاد، وأفصح عن أن علم الاقتصاد يمارس عملية الاكتشاف لما يقع في الحياة الاقتصادية من ظواهر اجتماعية وطبيعية، ويتحدث عن أسبابها وروابطها، بينما يقيم المذهب الاقتصادي الحياة الاقتصادية، ويحدد كيف ينبغي أن تكون، وفقا لتصوراته عن العدالة. فالعلم يكتشف، والمذهب يقيم. العلم يتحدث عما هو كائن، وأسباب تكونه، والمذهب يتحدث عما ينبغي أن يكون وما لا ينبغي أن يكون.

إلا أن ذلك لا يعني تجريد القوانين العلمية من تأثير الإطار المذهبي، فالقانون يصطبغ بلون الإطار المذهبي الذي يتحرك في فضائه، بمعنى أن القانون لا يتصف بالإطلاق والشمول عند تجريده من المناخات الآيديولوجية والنفسية للمجتمعات التي تشكل فيها. فمثلا قانون ريكاردو للأجور، فهو وإن كان قانونا علميا يفسر الواقع، لكنه إنما يصدق على مجتمع تسوده الحرية الرأسمالية، فالحرية الرأسمالية شرط لصدق القانون العلمي عن الأجور الذي اكتشفه الاقتصادي ريكاردو، أو هي الإطار العام الذي يتحقق هذا القانون ضمنه. وهذا معنى أن القانون علمي وإطاره العام الذي يشترط صدقه فيه مذهبي[1].

لقد تمحورت أعمال الشهيد الصدر حول تجذير الهوية الإسلامية، وشدد على تمييزها بوضوح، حتى من خلال العناوين التي انتقاها لمؤلفاته، حينما قرن هذه العناوين بضمير الجماعة نحن «نا»، في كتابه «فلسفتنا» الذي كشف فيه عن أبعاد نظرية المعرفة الإسلامية ومكونات المفهوم الفلسفي للعالم، و «اقتصادنا» الذي حدد فيه عناصر المذهب الاقتصادي في الإسلام، والمعالم الأساسية للاقتصاد الإسلامي، و «مجتمعنا» الذي كان يطمح أن يرسم فيه مفهوم

---

(١) الشهيد محمد باقر الصدر، المدرسة الإسلامية، ص ١٥٤ ـ ١٧١.

الإسلام عن الإنسان وحياته الاجتماعيـة وطريقـة الإسـلام في تحليـل المركـب الاجتماعي، لكن يد الغدر اختطفته قبل إنجازه.

وأحسب أن التسميات التي وضعها لأعماله تحكي مدلول إسلامية المعرفـة ومحتواها، وإن لم تترادف لفظياً. أما دراسته الجديدة للاستقراء التي اسـتهدف من خلالها اكتشاف الأساس المنطقي المشترك للعلوم الطبيعية وللإيمان بـالله، في كتاب «الأسس المنطقية للاستقراء»، فهي من الإبداعات المتميزة للعقل الإسـلامي في العصر الحديث، التي لا يمكن الاسـتغناء عنـها في صياغـة الأسـس النظريـة لأسلمة العلوم.

ومن الجهود الأخرى في مسار أسلمة المعرفة المحاولـة الـتي بدأهـا مجمـع البحوث الإسلامية في مشهد، وعهد بتنفيذها للصديق الدكتور محمود البسـتاني قبل سـنوات، فقـدَّمَ الأخ البسـتاني عـدّة مؤلفـات، تـهدف إلى أسـلمة العلـوم الإنسانية، تناول فيها علم النفس في كتاب «الإسـلام وعلـم النفـس»، والفـن في كتاب «الإسلام والفن»، والاجتماع في «الإسلام وعلـم الاجتمـاع»، والبلاغـة في «القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي».

وفي إطار مشروع الثورة الثقافية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، انبثقت مؤسسة «سمت» لتدوين كتب العلوم الإنسـانية في الجامعـات، وأصـدرت عـدة دراسات جادة، بغية أسلمة العلوم الإنسانية، وإعداد مقـررات دراسـية لطـلاب هذه التخصصات في الجامعات الإيرانية.

ومن أجل تعاضد الجهود في مضمار أسلمة المعرفة وتكاملها، ينبغي البحـث عن إبداعات المفكرين المسلمين، واستلهام رؤاهم، وتوظيف الأدوات المنهجية التي تبلورت عـبر تجاربـهم ومحاولاتـهم العلميـة، في مشـروع إسـلامية المعرفـة. وبموازاة ذلك لابدّ من ترجمة وإعادة نشر أبرز آثار العلماء والمفكرين المسـلمين

في نظرية أسلمة المعرفة وتطبيقاتها، على نطاق واسع في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

مواقف مناهضة

بالرغم من وفرة الإنتاج الفكري في الأسس المنهجية لأسلمة المعرفة وتطبيقاتها في مختلف العلوم، ولكن لا نجد عددا كافيا من البحوث التي تراجع النظرية وتحاكم أداء مفهوماتها وطرائقها الإجرائية من الداخل ؛ ربما لأن الباحثين المهتمين في تأصيل تلك الأسس واختبار طرائقها، لم يفرغوا بعد من مهماتهم النظرية والإجرائية، لأن إسلامية المعرفة لما تزل في طور التشكل والتبلور، ولم تتجاوز مؤسساتها وأنشطتها العلمية والعملية طور الاختبار والتجريب. غير أن شيوع أفكار إسلامية المعرفة وغزارة كتابات دعاتها والمؤمنين بها، أثار عاصفة من الاشكالات والاستفهامات لدى المهتمين بالفكر الإسلامي ومستجداته.

وقد ظهرت بعض الاستفهامات للمرة الأولى في بحث قدمه الشيخ محمد سعيد رمضان إلى المؤتمر العالمي الرابع حول «المنهجية والعلوم السلوكية والتربوية» المنعقد في الخرطوم سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م، تحت عنوان «أزمة المعرفة وعلاجها في حياتنا الفكرية المعاصرة»، وتناول فيه قضية المعرفة والمنهج، وذهب إلى أن المنهج حقيقة ثابتة وليس عملا إبداعيا، وهو ليس أكثر من ميزان يلجأ إليه الإنسان في تقويم أفكاره، ابتغاء التأكد من صحة قراراته وسلامتها من الشوائب والأخطاء، والميزان حقيقة ذات وجود خارجي ثابت، يخضع للاكتشاف، مثلما هي الموجودات المادية.

وهذا يعني أن العقل لا يمكن أن يستغني عن المنهجية، وأنه ليس بوسع العقل التدخل لتقويم المنهجية العلمية وتعديلها، لأنه سيتوكأ من جديد على منهجية ثانية من أجل تقويم المنهجية الأولى، والثانية إلى ثالثة، وهكذا حتى يتسلسل.

ولذا يؤكد البوطي أن وظيفة العقل تقتصر على اكتشاف المنهجية الصحيحة، ولا سبيل له لتطويرها وترشيدها. ثم يردف ذلك بقوله إن المنهجية اكتشفت في عصر الإسلام الذهبي، ولا حاجة بنا اليوم إلى إضاعة الوقت في أمر فرغ منه السلف[1].

إن كلام الشيخ البوطي ينطوي على خلط واضح بين المبادئ الأولية «الضروريات» كاستحالة اجتماع النقيضين وارتفاعهما، ومبدأ ا لهوية، وبين المنهج الذي يتكون من مبادئ وأدوات نركن إليها في البحث العلمي، كيما يجري البحث بنحو سليم، ونصل إلى نتائج صحيحة. فالضروريات العقلية ذات صفة ثابتة إطلاقية، لكن المنهج الذي نستخدمه في البحث يتمخض بالتدريج في فضاء البحث العلمي، والمحاولة والخطأ، وتتوالد عناصره، وتتجلى أدواته مع ظهور مشكلات جديدة في الدراسة، ولذلك يخضع للتعديل والتطوير، ولا يمكن أن نظفر به جاهزا كاملا دفعة واحدة. ثم إن السلف صاغوا مناهج في إطار متطلبات البحث، في عصرهم، وأسفرت مناهجهم عن التراث الإسلامي الذي تشكل عبر قرون، فهل نظل نكرر التراث ونستعيد أدوات السلف في إنتاجه، بالرغم من أن شيئا من هذا التراث استنفد أغراضه الزمنية، ولا يمكن تمديده إلى لحظة أخرى خارج محيطه الخاص؟

---

(١) مجموعة مؤلفين. المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية. ص ٦٤ ـ ٦٥.

وفي سنة ١٩٨٨ م نشر البروفسور فضل الرحمن دراسة بالإنجليزية بعنوان «رد على إسلامية المعرفة» في العدد الأول من المجلد الخامس من «المجلّة الأميركية للعلوم الاجتماعية الإسلامية»، وركز في رده على ضرورة تطوير العقل المسلم وعدم استنزاف الجهود والأموال في كيفية تطوير المعرفة الإسلامية. غير أن فضل الرحمن الذي شدد على استحالة صياغة منهجية إسلامية للمعرفة، تهدي التفكير البشري، لأن «الفكر الإنسي يعمل وفق نمط خاص به، وبالتالي فلا زلنا نجهل حتى اليوم طبيعة عملية التفكير البشري»[١]، عاد في فقرة لاحقة من دراسته فاقترح خطة عملية للوصول إلى إسلامية المعرفة، يتولى فيها العلماء المسلمون القيام بما يلي:

١ ـ تقويم الحركة العلمية التراثية.

٢ ـ تقويم الحركة العلمية الغربية.

وهذا يتوقف برأيه على أن يعتمد العلماء المسلمون «ضوابط محددة مستنبطة أصلاً من المعين القرآني»[٢].

وكان الدكتور زكي نجيب محمود قد نشر مقالاً بعنوان «لكِ الله يا علوم الإنسان» في إحدى الدوريات العربية، وفيما بعد ضمه إلى كتابه «في تحديث الثقافة العربية». وأثار في هذا المقال بعض الاستفهامات حول الدعوة إلى إسلامية العلوم الإنسانية، بعد أن تحدث بإسهاب عن الفكرة العلمية، وكيف أنها تكون علمية أياً كان موضوعها، وشدد على موضوعيتها واستقلالها بوجود خاص بها، منفصل عن وجود صاحبها، ولهذا كان من أهم خصائصها، القدرة على أن يستعين بها مَنْ شاء، على التنبؤ بالحدث قبل وقوعه، وعلى التصرف في

---

(١) د. لؤي صافي. مجلّة إسلامية المعرفة. العدد ٣ (١٩٩٦ م)، ص ٢٠ ـ ٢١.

(٢) المصدر نفسه. ص ٢١.

ذلك الحدث حين يقع، لأنها مادامت قد وصفت بأنها «علمية» فإن ذلك يتضمن الاعتراف بصدقها. بعد ذلك حاكم الدكتور زكي الدعوة لبناء علوم إنسانية خاصة بنا، وأوضح ابتداء بأن هذه الدعوة ترتد - حسب أصحابها - إلى مسألتين:

الأولى: أن لا تكون مراجعنا في البحث العلمي، ما كتبه علماء الغرب، وإنما هي مراجعنا نحن، فيجب أن نرجع إلى ما كتبه أعلامنا.

والثانية: أن تنصب أبحاثنا العلمية في مجال العلوم الإنسانية على واقع حياتنا نحن[(١)].

بعد ذلك يفند هاتين المسألتين بأسلوب لا يخلو من التندر، أما بالنسبة للمسألة الأخيرة فيؤكد أن أبحاثنا في علم النفس والاجتماع والاقتصاد ميدانها مجتمعاتنا، ولا يمكن أن نفترض باحثا يتناول قضية المراهقة فيذهب إلى اليابان أو غيرها ويلاحظ مجتمعات غير مجتمعنا، أما المسألة الأولى فيجد أن إهمال المراجع الغربية في العلوم الإنسانية الحديثة، يفضي إلى التخلف العلمي، وذلك لأن التخلف العلمي في بلد ما، أو في عصر ما، ليس إلا أن تدور الحركة العلمية والتعليمية كلها حول كتب الأقدمين، تقرأ وتشرح وتلخص وتحفظ، فيصبح من أجاز هذه الأشياء عالما.

ثم يتساءل: عالما بماذا؟ إنه عالم بما في كتب الأقدمين، وليس عالما بحقائق الواقع الجديد في ميدان علمه[(٢)].

إن الدكتور زكي نجيب محمود أحد أعلام الفكر العربي المعاصر، وأستاذ لجيل من أساتذة الفلسفة في الجامعات العربية، فضلا عن غزارة إنتاجه وتنوعه

---

(١) د. زكي نجيب محمود. في تحديث الثقافة العربية. ص ٢١٧ - ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه. ص ٢٢٥ - ٢٢٨.

وصراحته، غير أن عرضه وتحليله لمسألة إسلامية العلوم الإنسانية، اتسم بتبسيط واستخفاف، لا يتناسب مع باحث علمي موضوعي أبدا، لأن دعاة إسلامية المعرفة أصدروا عشرات الكتب، وكتبوا مئات المقالات، وعقدوا الكثير من الحلقات الدراسية والندوات والمؤتمرات، لغرض بيان الأصول النظرية لأسلمة المعرفة، وآفاق تطبيقاتها في مختلف العلوم الإنسانية وتناولوا الاستفهامات والإشكالات الواردة على أفكارهم، وأخضعوها لتحليل نقدي، عرضوا فيه مناشئ الالتباس الذي يؤدي إلى ورود الاشكالات التي يثيرها بعض الباحثين على مشروعهم. فقد أكد أصحاب هذا المشروع دائما على نسبية التراث الإسلامي الذي تراكم عبر قرون، وشددوا على أنه ليس فكرا متجاوزا للزمان والمكان، وإنما هو فكر نسبي مقيد محدود بحدود الزمان والمكان الذي وجد فيه، فهو كأي فكر إنساني نسبي في زمانه ومكانه وإنسانه. وإن كانت نسبة الحقيقة في التراث الإسلامي أعمق وأوسع من سواه، لأنه منطلق من نص موحى مطلق[1].

كما وسمت بعض كتابات إسلامية المعرفة النزعة السلفية التي تصر على استعادة الماضي بالصورة التي كان عليها، بأنها تقليد تاريخي، وهروب إلى التاريخ، واحتماء به[2]، فكيف يريدنا الأستاذ زكي أن نصدق دعواه، في أن أصحاب إسلامية المعرفة يطلبون منا التخلي عن العصر والتتلمذ على الغزالي وابن خلدون. إن ما يريده هؤلاء هو استلهام التراث، وتفكيكه ونخله وغربلته، وإعادة تركيب بعض عناصره الفاعلة، في نسق مغاير، يستجيب لروح العصر، أما عناصره الميتة فيجب دفنها في التاريخ، واستبعادها، لأنها من العوامل المعيقة

---

(١) د. طه العلواني. مصدر سابق، ص ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) د. طه العلواني. إسلامية المعرفة من سلسلة محاضرات دورة استراسبورج. ص ٨.

للنهوض. أي لابد من العودة إلى التراث، والبدء من حيث انتهى السلف، وهو ما ركز عليه الدكتور زكي في نفس مقاله هذا، لما كتب «نعم، إنه لابد أن يقرأ عند هؤلاء ما له صلة بموضوع بحثه، ليبدأ من حيث انتهوا»[1].

أما مراجع العلوم الإنسانية الغربية، فلا تتجاهلها إسلامية المعرفة إطلاقا، لأن الغرب حقق مكاسب بالغة الأهمية في العلوم الإنسانية، فلا يمكن لأحد القفز على تلك المكاسب، وإنما تحاول إسلامية المعرفة إشادة منهج للتعامل مع العلوم الغربية الحديثة والمعاصرة، يتجاوز ما تعارفنا عليه من أساليب المقاربات ثم المقارنات والمقابلات، التي تنتهي بالرفض المطلق أو القبول المطلق، بروح مستلبة تماما، أو بروح الانتقاء العشوائي الذي لا تقوده منهجية منضبطة ولا قراءة معرفية تبحث عن الحكمة، ولا تقع في إطار التقليد والنقل، وتدرك أثر الفوارق الحضارية والثقافية على المعرفة الإنسانية[2].

وأخيرا كتب الدكتور برهان غليون بحثا نشره في العدد الثالث من مجلة «قراءات سياسية» الصادر سنة ١٩٩٣ م، بعنوان «الإسلام والعلوم الاجتماعية: تساؤلات حول أسلمة المعرفة». وأبدى فيه خشيته من أن يتحول مفهوم مشروع أسلمة المعرفة إلى بحث تأملي في منهج تخفيض الكون إلى كلمة أو رمز حسابي، أو إلى فرض الموقف العقائدي على العلم، وفي هذه الحالة لن يقود المشروع إلى أي مكان، وسيكون وسيلة لتضييع الوقت والجهد[3].

وحسب تعبير الدكتور غليون فإن المعرفة التي لا تنطبق إلا على حالة واحدة ليست معرفة علمية، بل هي رؤية ذاتية جماعية، وإن أسلمة المعرفة إذا

---

(١) د. زكي نجيب محمود. مصدر سابق. ص ٢٢٥.

(٢) د. طه العلواني. مصدر سابق. ص ٢٧.

(٣) د. برهان غليون. قراءات سياسية. العدد٣، ص ١٢٩.

كانت تعني تخصيص العلم وقومنة العالمي ورفض مــا هــو مشــترك بــين بـني البشر، بصرف النظر عن دينهم وحضارتهم، فلن تساهم أبـدا في تطويـر العلـم والتجربة العلمية[1].

إن مشروع إسلامية المعرفة لا يهدف إلى التضحية بما هو مشترك بين بـني البشر من العلم، بل يــهدف إلى تحريـر العلـم مـن العوامـل الذاتيـة والثقافيـة وترسبات البيئة التي أنتـج فيـها، وتأثيراتـها الـتي تطفـح باسـتمرار بصــورة تحيزات حادة للمنظور الغربي. وهذا ما انتهى إليه الدكتور غليون في مقطع تـال من دراسته، لما اعترف بأن العلم الراهن بما هو مجموعة معـارف نـاجزة ليـس علما كونيا، وأن العامل الذاتي الحضاري قائم فعـلا أو لا يـزال قائمـا فعـلا في التجربة العلمية، خاصة في العلوم الإنســانية، وأن اسـتحكام العـامل الذاتـي في العلوم لا يقوي من فاعليته، ولكنه يبرز بالعكس محدوديتـه ويحـد مـن طاقتـه الكشفية[2].

أما مهمة تقويم مشروع إسلامية المعرفة واختبار أداء تطبيقاته، فينبغي أن تولد داخل نسق هذا المشروع، وتتنامى باستمرار مع تطور تجربته واتســاعها، ويجدر بالقائمين على هذه التجربــة الحـذر الشـديد مـن حالـة تنـزيه الـذات المترسخة في كتابات الإسلاميين ومؤسساتهم. ولا سبيل لهم لــو أرادوا تعميـق هـذه التجربـة والامتـداد بـها سـوى المراجعـة والتقويـم المتواصـل لأفكـارهم وأعمالهم.

وبغية تعميم وعي سليم لدى المهتمين بأســلمة المعرفـة والقضايـا الراهنـة للفكر الاسلامي، تحتضن مجلة قضايا اسلامية معاصرة في اطار سلسلة كتابها،

---

(١) المصدر نفسه. ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه. ص ١٣٢.

بعض الاطروحات الجادة التي تناولت هذه المسائل لعلها تكسر حاجز الصمت وضمور الحوار بين مراكز الفكر الاسلامي. فتوجد قنوات لقاء بين المسارات المتوازية لهذا الفكر في الحوزة العلمية وخارجها. وذلك أن ا لهدف الذي ترمي اليه مجلة قضايا اسلامية معاصرة وسلسلة كتابها الرديفة، هو تجسير العلاقة بين ما يستجد من رؤى وأفكار ومشاريع في الحوزة العلمية وخارجها، ولما كان مشروع اسلامية المعرفة أحد أبرز مشاريع اصلاح الفكر الاسلامي في الخارج، وجدنا من الضروري تقديم خطة اسلامية المعرفة للقراء هنا، بهدف الاطلاع على مجمل التطورات والمبادئ التي تشتمل عليها، والافادة منها في استئناف بناء العلوم الاسلامية.

وفي الختام تعرب مجلة قضايا اسلامية معاصرة وسلسلة كتابها عن فائق امتنانها وتقديرها للمعهد العالمي للفكر الاسلامي ورئيسه الأخ الدكتور الشيخ طه جابر العلواني على اذنه بنشر كتاب «اصلاح الفكر الاسلامي» و «فقه التحيز» و «مقدمة في اسلامية المعرفة»، وهذا الكتاب، في سلسلة كتاب قضايا اسلامية معاصرة.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب

عبد الجبار الرفاعي



مدخل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

أما بعد:

فقد تعرضت أمتنا الإسلامية منذ نشوء الدعوة وقيام الأمة الى أشد أنواع المقاومة وأقوى ضروب التحدي والكيد، فحيكت لها المؤامرات دست عليها الدسائس، وأعلنت عليها لحروب الشعواء، وسلطت عليها أنواع الاعتداءات من نفسية واقتصادية وعسكرية، ولكن عناية الله كانت دائماً تخرجها من كل هذه الحروب والمعارك أقوى عوداً وأشد ايماناً بدينها وعقيدتها. فقد وجه المشركون حرابهم إليها، ورفع الفرس والروم سيوفهم في وجهها، وتصدت لها شياطين الأنس والجن كل يريد أن يخضعها ويفترسها ويستعبدها، إلاّ أنها كانت دائماً تقف في وجه المعتدين في قوة وشموخ مسلحة بالايمان والإرادة والعزم، فدكت المعاقل وفرقت الجموع وحطمت الأوثان، وجابت أنحاء الأرض هادية مهدية، حتى أصبحت الدولة الأولى والأمة الوسط ﴿**خير أمة أخرجت للناس**﴾.

ثم أتى زمان طال فيه الأمد، فقست القلوب وجفت كثير من ينابيع الإيمان في النفوس، وخبت جذور الحماس.. فأخذت هجمات الأعداء تفعل فعلها وتترك آثارها في كيان الأمة، فتنخر في بنائها، وتوهن من تماسكها، إلاّ أن أعداء الأمة ـ مع ذلك كله ـ لم يستطيعوا يوماً أن ينتصروا عليها انتصاراً يسحق روحها ويقضي على ايمانها، فقد بقيت الأمة ـ مع ذلك كله ـ قوية الإيمان، ثابتة الجنان، مما حمل أعداءها على أن يديموا النظر، ويعملوا الفكر والرأي لعلهم يتوصلون الى ما يؤثر فيها، فيمحق مقاومتها وقدرتها على الصمود ويجردها من سلاحها الواقي ودرعها المتين، فكان أن تمخضت دراساتهم وتوصلت أذهانهم الى أن أقوى سلاح كان بيد هذه الأمة لم يخنها في موقف أو يخذلها في

معركة، هو دينها وعقيدتها وقوام شخصيتها ودعامة كيانـها ومصـدر قوتـها، فقرروا الانطلاق من هذه النقطة وأجمعوا أمرهم على إضعاف صلة هـذه الأمـة بدينها وتغيير فهمها له لتتحول علاقتها به الى علاقة شكلية جامدة لا ثمـر لهـا ولا أثر في حياة وقلوب وأرواح ونفوس شبابها.

فبدأت عمليات مختلفة يمكن أن نطلق عليها اسم «الغزو الفكري» عمـدت الى إدخال أبواب من الفلسفة وما وراء الفلسفة والجدل والمـراء في ثنايـا مـا عـرف باسم «علم الكلام» وما جر إليه «علـم الكـلام» ـ بعـد ذلـك ـ مـن السفسـطات والتأويلات الملتوية الدقيقة، وما استتبع كل ذلك من آثار عقيدية وفكرية وخيمة وتمزق وتشتت وظهور لشتى النحل والآراء الباطنية التي مزقـت وحـدة الأمـة وشغلت الأمة وعلماءها وعامتها عن الجادة المستقيمة والمسـيرة السـليمة وعـن الينابيع الصافية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وانتـهت بهم تلك الانحرافات الفكرية الى التفرق والتمزق والتحول الى نحل وآراء وأهـواء كانت بعض نتائجها تلك الهزائم الساحقة أمام الغزاة من التتار والصليبيين.

وإذا كانت الأمة قد أقالها الله من عثرتها، وأنهضها من كبوتها علـى أيـدي أبنائها العثمانيين إلا أن رواسب الانحراف الفكـري وأزمـات التطبيـق الجزئـي المشوب بالشوائب لأحكام الإسلام سرعان ما عادت آثارها تنخر في كيان الدولة العثمانية حتى جاء عصر النهضة الأوربية، وهنا أخذ الغزو شكلا آخـر وبعـدا أعمق، فقد أصبح أكثر تنظيما وأشد فعالية، وأوسع مساحة، فقرر مفكرو الغرب وسدنة سياسته ومصالحه أن يجعلوا منه غزوا شاملا يتغلغل ـ دون حواجز ـ في العقليـة الإسـلامية فيغيرهـا، والى الفكـر الإسـلامي فيمسـخه، وإلى الثقافـة الإسلامية فيبدلـها، والى الدين الاسلامي فيعزله ويحصـره في زوايـا كهنوتيـة ضيقة لتحدث عملية المسخ الثقافي الشامل، والتبديل الفكري الكامل.

فمنذ القرن السابع عشر والغزو الفكري يمـهد لـه الاستشـراق وعمليـات التنصير والاستعمار، وتقوم على خدمته أجهزة عديدة ويناصره أعوان كثيرون،

حتى استطاع هذا الغزو الشامل أن يأخذ مواقعه في عقول الكثيرين من أبناء هذه الأمة وفي قلوبهم وأفهامهم.

ولما بلغت النهضة الأوربية قمتها وانتهت أوربا الى أوج عظمتها، وهبطت الأمة الإسلامية الى درجة من الضعف كبيرة، في هذا الوقت قرر المعتدون أن يضربوا ضربتهم القاضية ويشنوا حملتهم الشاملة، فاحتلوا أجزاء كبيرة من ديار المسلمين بعد انتصارهم في الحرب العالمية الأولى، وكان أول ما فعلوه بعد إحكام سيطرتهم، واشتداد قبضتهم على هذه البلاد هو أن خططوا تخطيطا دقيقا لتنفيذ عملية التبديل الثقافي للوصول بمعركتهم مع الإسلام الى الصفحة الأخيرة والغاية المنشودة. وليكون التبديل الثقافي الوسيلة الدائمة الباقية التي تضمن لهم إبعاد الأمة الإسلامية أبعادا تاما عن الإسلام. ليتوارث المسلمون جيلا بعد جيل ذلك الابتعاد. رأى الكفار والمستعمرون أن يعمقوا الهوة بين المسلمين وبين مصادر الإسلام الأساسية المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فغيروا سائر أنظمة التعليم وبدلوا برامجه وكل مناهجه، وسخروا الإعلام والتوجيه الفكري والتربوي ووظفوها لإحداث عملية التغيير الثقافي والفكري لدى الأمة حتى يضمنوا ألا تقوم لهذه الأمة وللإسلام قائمة بعد ذلك، ولكن خاب فألهم، فان محاولات الأمة الدائبة للتخلص من الاستعمار وآثار الاستعمار ولإصلاح شأنها لم تنقطع ولم يجف نبعها على مر العصور، وكان كتاب الله دائما رفيقا ودليلا لأبناء الأمة يذكرهم صباح مساء برسالتهم ومكانتهم وأمانتهم وأنهم خير أمة أخرجت للناس، فيحيي فيهم كوامن القوة والتضحية والخير، وبهذا الدافع ولهذه الغاية قامت الحركات الإصلاحية والتحريرية في كل أنحاء العالم الإسلامي، ولكن رغم ذلك كان - للأسف - نهج معظم هذه الحركات في غالب الأحيان وكذلك تصورها لقضايا الإصلاح تصورا ونهجا غربيين ولذلك كان من الطبيعي أن يكون نصيب تلك الحركات هو الفشل الذريع والإخفاق الشديد؛ لأن من البديهي ان ما يصلح

للغرب من فكر وعقائد لا يصلح لأمة قدر الله لها أن يبنى كيانها ويرتبط مصيرها وشأنها بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وحاول بعض آخر من دعاة الإصلاح أن يقوم بحركات إصلاحية تكتفي بجانب واحد أو جوانب محددة من الإسلام، وتوهموا انهم سوف يستطيعون تحقيق ما أخفق فيه سواهم من قبل، واستنهاض همة هذه الأمة، والعودة بها الى سابق قوتها وقدرها وعزها وما الى ذلك من الأماني والطموحات، ولكن ذلك - أيضاً - كان وهماً وسراباً خادعاً لم يؤد الى أثر ذي بال في تقدم الأمة ونهوضها، وذلك كله قد جعل الكثيرين من مفكري الأمة وأبنائها يقلبون وجوه الرأي والنظر، ويتدبرون مختلف الحلول ويفكرون بسائر الوسائل الممكنة التي يمكن ان تؤدي الى استعادة هذه الأمة لطاقتها وقدراتها وعطائها، ولما كانت هذه الأمة أمة رسالة لن يصلح آخرها إلاّ بما صلح به أولها، كان لابد من التخطيط للعمل على إعادة الأمة الى ينابيع الفكر الأصيل في كتاب الله وسنة رسوله الكريم لتبني بمقتضى ذلك حياة إسلامية قويمة كريمة، ولكن التحدي الذي لم يُستطع تجاوزه وإنجازه بعد، إنما هو معرفة معالم السبيل الى تمثل كتاب الله وسنة رسوله ونقلهما من عالم القيم والتوجيه والمثال الى عالم الواقع والحركة والتطبيق العملي. وخطة عمل للتحرك المطلوب للمسلم المعاصر والمجتمع المعاصر.

وقد بلغ الأمر أشد والمحنة قمتها بعد أن لجأ الغرب الى تكوين دولة كاملة بكل كيانها لتكون له بمثابة مخلب قط لأطماعه وفكره، وتقوم بدور هام في خدمته في المنطقة الإسلامية وتمثل أبشع ألوان الاستعمار وهو الاستعمار الاستيطاني، وبهذا بلغ الأسى غايته في قلوب المخلصين من أبناء هذه الأمة حين رأوا الغزاة المعتدين يحتلون أرضهم ويحطون من قيمهم، ويغتصبون ممتلكاتهم، ويستولون على مواردهم ومقدراتهم، وينتهكون حرماتهم، ويسخرون منهم ويهزأون بدينهم، ولا يجد المستعمر بعد ذلك من ردود الفعل

إلا أقلـها أثرا، وأضعفها شأنا مما يثير في نفس المسلم حسرة حارقة وأسى بالغا وأصبح المسلم في لجة هذه الأحداث والمصائب الجسام يكاد لا يميز بـين الخطـأ والصواب أو الحق والباطل، ولا فرق بين الغث والسمين ولا المحسن والمسيء... وتفرقت الأمة أيدي سبأ وذهبت شذر مذر، فبعد أن كانت أمة واحـدة أضحـت أربعا وأربعين دولة تتصارع فيما بينها وتوجه أسلحتها الى صدور أبنائها وتكاد تغمر القلاقل والفتن سائر أرجائها، وتهدد ثرواتها، ويفترس الجوع الملايين مـن أبنائها. ولكن بفضل من الله ونعمة وتحقيقا لوعده ظلت فئات عديدة ظاهرة على الحق لم يضرها من خالفها تعمل من خلال ومضات الإيمان ورغم حجب القـهر والفساد واليأس لتخط معالم الطريق نحو النجاة والنجاح، ولقد تنادت فتية من الشباب المؤمن لفقه قضية الأمة وبذل كل الجهود لمعالجة أزمتها وكان معظمهم لا يزال على مقاعد الدراسة في الغرب.. في أمريكا وأوروبا.. وأخذوا يتلمسون ما يجب فعله للإسهام في إنقاذ الأمة وإقالتها من عثرتها. كان الألم يعتصـر قلـوب هؤلاء الشباب وأفئدتهم ـ مثـل كثـير مـن أبنـاء الأمـة المخلصـين ـ ويزيـد في إصرارهم ما كانوا يقرأونه من كتابات ومقالات ومؤلفـات وتحليـلات توضـح مدى ما وصلت إليه حال هذه الأمة من معاناة وضعف وهـوان ممـا جعلـها في مؤخرة الأمم بعد أن كانت خير أمة أخرجت للناس، وأخذ هؤلاء الشباب يقلبون وجوه الرأي ويفكرون ويتساءلون «من نحن؟.. وماذا نريـد؟.. ومـاذا يجـب أن نفعل..؟»، وبإمكانات الطلاب وحماس الشباب وبقـدرة الثقافـة والعلـم أخـذوا يعقدون ندوات مصغرة يتداولـون فيـها همومـهم وآراءهـم وتصوراتـهم عـن مشاكل هذه الأمـة وأبرزهـا قضاياهـا، وأهـم أسـباب تدهورهـا وانحطاطـها، وهبوطها عن درجة الوسطية ومرتبة الخيرية، والشهادة على الأمـم، والعوامـل التي أوصلتها الى هذا الدرك الـهابط من الضعف والذل والمهانة، وهي التي وفـر الله ـ تعالى ـ لـها كل أسباب القوة والعزة من الموارد والإمكانات والرجال والمثل والقيم. وبعد مداولات كثيرة، انبثـق عـن معاناتـهم وتصوراتـهم ودراسـاتهم

ومداولاتهم يقين بأن الأزمة الكبرى التي تعاني منها الأمة إنما تكمن في حالتـــها الفكرية الـتي أصابـها الجمـود والتوقـف وأصبـح فكرهـا عـاجزا عـن عونــها وإخراجها من أزمتها، وإن سائر الأزمات التي تعاني منها الأمة اليوم إنمــا هــي وجوه أخرى وانعكاسات وآثار مختلفة لتلك الأزمة، فهذه الأمــة حــين خالطتــها الأهواء والانحرافات كان أخطر ما أصابت منها هو موضع الفكر منهجا وميزانا، فاختلطت أمامها الأوراق، واختل فيها الميزان، واضطربــت الأولويـات واعتمـت الرؤية، وسادت الفوضى والاضطراب، وانحلت عرى القوى والـــترابط، وذابـت قدرات العطاء والنمو والمبادرة مما أدى الى تدهور مؤسسات الأمــة، وانحطـاط مستوى ومحتوى شكل أداء ما بقي منها، وأصبح انحطاط فكر الأمــة وتخلـف منهج فكرها سببا جوهريا يحول دون نجاح سائر محاولات الإصلاح المخلصـة التي لم تتبين موضع الفكر ومنهجه كمصــدر للتخبـط والعجـز والتدهـور. وفي ضوء هذه الرؤية وهذه الجهود التي تجاوزت هذه المشكلة لتمحيص هذه الرؤية وهذا التصور وتوظيفه لمصلحة الأمة، أســس هـؤلاء الشـباب جمعيـة العلمـاء الاجتماعيين المسلمين ضمن إطار منظمــات اتحـاد الطلبـة المسـلمين بالولايـات المتحدة الأمريكية لخدمة القضية الفكرية الإسلامية ونشرها بين من حولــهم من العلماء والمثقفين المسلمين. وفي نفس الوقت لم يرتضوا رغـم إمكانـات الكثـيرين منهم ثقافيا وذهنيا أن يكونوا وحدهم الحكم في تشخيص هــذا المـرض الخبيـث وأسبابه، فعملوا على الاتصال بالعشرات من رجال الدعوة والفكـــر والإصــلاح المعاصرين ليطرحوا عليهم الأمر ويوضحوا لــهم ما توصلوا إليه من تصورات، وليتبادلوا معهم الرأي ويشركوهم في وجهات نظرهم وتصوراتهم التي توصلوا إليـها وليسـتفيدوا أيضــا مــن تجاربــهم وخبراتــهم ويـزدادوا يقينـا بســلامة التشخيص ودقته، فعقدت لذلك الغرض عدة اجتماعــات ونـدوات ولقـاءات مــع العشرات من هؤلاء الرجال.

وفي عام ١٩٧٦م قرروا أن تعقد ندوة موسعة في أوروبا كموقع وسط جمع فيها مجموعة من أهم قيادات العمل الاسلامي في الشرق والغرب، وقد حضر تلك الندوة الى جانب هؤلاء الشباب الذين كانوا في قيادة العمل الاسلامي في أوروبا وأمريكا ثلاثون عالما من مختلف التخصصات ومن كبار العاملين في العمل الاسلامي، وطرحت في ساحة هذا اللقاء مختلف الآراء والتصورات، واستعرضت حصيلة مختلف التجارب والخبرات، وجرت مناقشات مطولة في جوانب الأمر استغرقت اسبوعا كاملا أكد المؤتمرون بإجماعهم في نهاية ندوتهم تلك بأن أزمة الأمة الكبرى في الوقت الحاضر إنما هي أزمة فكرية، وأن العلاج ينبغي أن يبدأ من هذا المنطلق، وأنه لابد أن تعطى قضية الفكر ومنهجه الأولوية اللازمة كأساس لإنجاح جهود الإنقاذ والإصلاح، وأنه لابد من تأسيس هيئة علمية متخصصة في قضية الفكر لمتابعة الدراسة العلمية المتعمقة المتأنية في هذا المجال، ولفتح باب العمل الجاد الهادف المخلص المتواصل أمام المسلمين وعلمائهم لمعالجة هذه الأزمة وبناء أسس الفكر السليم، ولم يضع هؤلاء الرجال وقتاً وأخذوا يعملون في عزم وصبر لتدبير الإمكانات لإقامة مؤسسة علمية مستقلة لهذا الغرض، وتم بالفعل إنشاء «المعهد العالمي للفكر الاسلامي» وسجل المعهد مع بداية القرن الهجري رسمياً في الولايات المتحدة الأمريكية، وبدأ منذ ذلك الوقت أعماله في خدمة قضية الفكر الاسلامي، وعقد المعهد أول مؤتمر عالمي يعالج قضية إسلامية المعرفة عام ١٩٨٢م في إسلام آباد بالباكستان بالتعاون مع الجامعة الإسلامية حضره مجموعة من العلماء المتخصصين وقدمت فيه مجموعة كبيرة من الأبحاث والدراسات حول قضايا الفكر الاسلامي وإسلامية المعرفة. وكان للمؤتمر غايتان: الأولى هي دعوة هؤلاء العلماء للإدلاء بدلو بحثهم العلمي في قضايا الفكر والمعرفة، والبحث والتنقيب العلمي في جوانبهما، والتقدم بالعطاء العلمي في مختلف القضايا العلمية والنشاطات الاجتماعية، والبدء بمزاولة أعمال الإصلاح العلمي والفكري وتقديم التصورات

والحلول العلمية البديلة، وبلورة بناء المعرفة في ضوء المنظور والقيم الإسلامية في واقع العالم المعاصر. والغاية الثانية هي طلب لمزيد من التعمق في النظر والبحث في قضية أزمة الأمة وأسبابها ومظاهرها، ولمعرفة أولويات العمل لتجديد طاقة الأمة وتحقيق خلاصها وانطلاق رسالتها. وقد أكدت دراسات المؤتمر ونتائج أعماله ومداولاته ما سبق أن توصل إليه إخوانهم من قبل ونادوا بوجوب المبادرة الى العمل وتجنيد الطاقات الإسلامية المكنة لخدمة قضية الفكر التي لم تنل العناية والأولوية اللازمة لها خلال الفترات الماضية، مما ساهم في تفاقم المشكلة وزاد من أمد المعاناة وتمزق الأمة ووهن طاقتها في كل نزال ومجال.

وخطة عمل المعهد في معالجة الأزمة الفكرية تقوم على أن الأزمة التي حلت بالأمة قد أخذت بعدين:

١ - الأول الغزو والتبديل الثقافي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بخاصة، ذلك التبديل الذي جعل عقول أبناء الأمة الإسلامية تتخطى الفكر الاسلامي والتراث الاسلامي أو تدرسه على أنه ظواهر قد اندثرت لا علاقة لها بالحياة المعاصرة ولا حاجة إليها، ولذلك فقد صار المثقفون المسلمون يأخذون حاجتهم من جوانب المعرفة الإنسانية المختلفة من معين الغرب الذي شاد كيان هذه العلوم وبناها على أساس من منظوره ووفقا لظروفه وحاجته وأهدافه وغاياته، ولذلك فان هذه العلوم إنما تعكس قيم الغرب ومفاهيمه ومعتقداته وغاياته وتشكل بالتالي على تلك الأسس والغايات الغربية مختلف وجوه السلوك والنشاطات والمؤسسات الاجتماعية، وإذا كانت هذه الانعكاسات على جوانب الحياة المختلفة مما يتقبله الإنسان الغربي ويتناسب مع أهدافه وغاياته، فان مما لاشك فيه ان هذه الانعكاسات تحدث لدى المسلم نوعا من التمزق والفصام بين هذه القيم والمنطلقات والغايات الغربية، وبين معتقداته وقيمه وأهدافه وغاياته الإسلامية، ولذلك لو أمعنا النظر لوجدنا أن معظم ما نلاحظه من تمزق وتناقض

وتناحر وفقدان للهوية وشتات في السبل والمناهج يعود في معظمه الى تيه الفصام والتمزق والتناقض في أصل الفكر والتوجه والدافع مما يجعل عملية التبديل الثقافي في الأمة الإسلامية وإسلامية العلوم الاجتماعية والإنسانية واستعادة الهوية الفكرية والثقافية بمثابة حجر الزاوية في معالجة الأزمة الفكرية.

٢ - والبعد الثاني كان في قطع صلة هذه الأمة بتراثها الاسلامي وتحويله الى مجرد تراث تاريخي يفتخر به ويتغنى بأمجاده وتختار منه النماذج الفولكلورية التي تكرسها النظرة الغربية الى التراث. أما أن يكون أساساً للبناء وقاعدة للتفاعل الحي بإبقاء المفيد، وتنمية النافع، وإحياء الجيد فذلك موضع الرفض لا موضع التقبل والاعتبار عند الكثيرين، ولذلك رأى المعهد أخذ الأمر مأخذ الجد وتنبيه هذه الأمة الى أهمية تراثها الاسلامي، وتذكيرها بأن دوره لم ينته وان فيه الكثير من الجوانب النافعة والمفيدة التي لابد من تنميتها وإحيائها، والحفاظ عليها، والاستفادة منها من خلال خطة عمل منهجيّة فعالة تيسر سبل الاطلاع على التراث الثقافي والفكري الإسلاميين، والتعامل مع التراث وجعل أمر عرضه وفهمه من خلال تبويبه وتصنيفه على أبواب العلوم والأنشطة المعاصرة وفهرسته أمراً ميسراً ممكناً بعد أن كاد أن يسلك في عداد المستحيلات، لا يتعامل معه إلاّ قلة نادرة من القادرين والصابرين.

والمعهد بإذن الله عازم على نشر خطة عمله في ميدان تبويب التراث وتيسيره، ونشر دراسات تطبيقية نموذجية تمهد الطريق أمام العاملين والمهتمين بقضية التراث بإذن الله وتيسر عملهم.

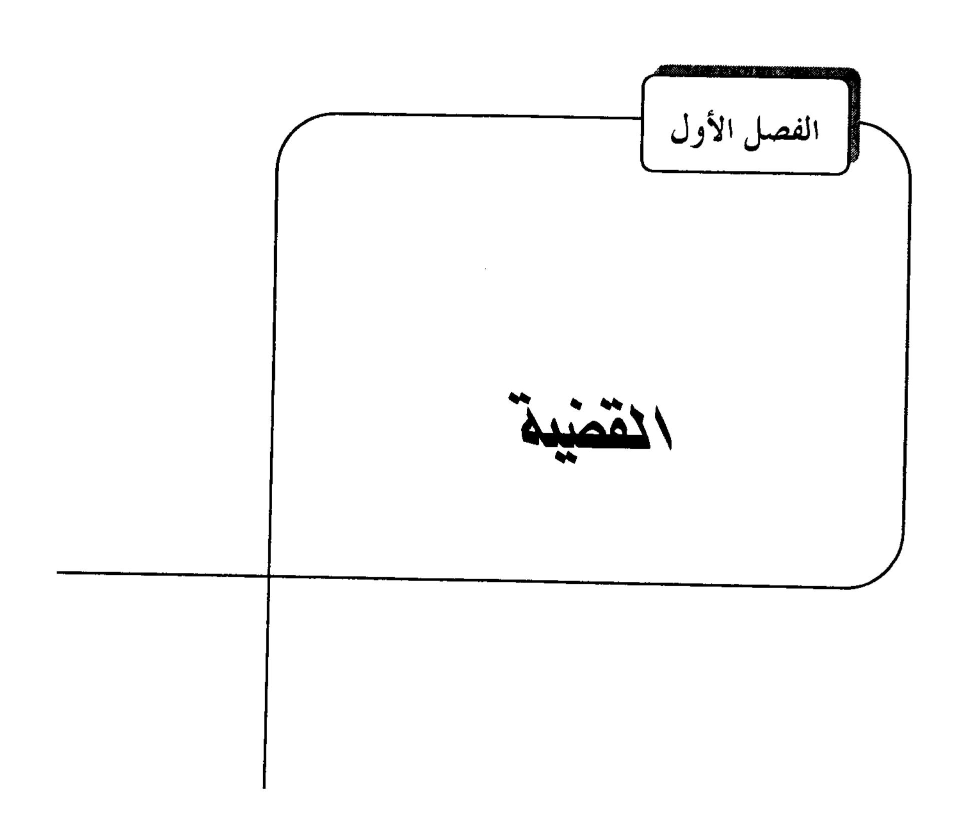
وفي أعقاب ذلك المؤتمر العالمي الأول لإسلامية المعرفة الذي عقد في إسلام آباد رأى المعهد أن يقوم بنشر خطة تفصيلية تمثل دليل العمل في ميدان إسلامية المعرفة وخدمة الفكر والمفكر وطالب العلم المسلم. وقد أوكل المعهد الى الأستاذ الدكتور إسماعيل الفاروقي مهمة إعداد وتحرير هذه الخطة باللغة الإنكليزية. ثم قامت بعض دور النشر العربية بترجمة تلك الطبعة الى العربية، ونشرها دون

تنسيق وتفاهم كامل مع المعهد. فرأى مجلس أمناء المعهد أن يعـهد الى الأسـتاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان بإعادة تحرير هذه الدراسة باللغة العربية، فقام بذلك مشكورا، وتمت مراجعتها الفنية واعتمادها خطة عمل للمعهد مـع إضافـة أوراق عمل الندوات الكبرى التي عقدها المعهد بعد المؤتمر الأول في إسـلام آبـاد، وتقرير مختصر عن أهم الإنجازات التي قام بها المعهد حتى صدور هذه الطبعـة بالصورة التي يراها القارئ الكريم عسى أن تأتي هذه الدراسة وسـائر أعمـال المعهد ووجوه نشاط المؤسسات العلميـة الإسـلامية، وتكـاتف جـهود العلمـاء والمثقفين بالثمار المرجوة في التصدي لحل أزمة الفكر، والقيام بواجبات إسلامية المعرفة وإيلائها الأولوية التي تستحقها، وكلنا أمل في ان ينهض مفكرو «الأمـة» ويرتفعوا الى مستوى التحدي.

نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعا سبله وأن يوفق المخلصين الى أن يحققوا في هذا المجال ما يرضي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويحقق للأمة أهدافها، انه سميع مجيب الدعاء

رجب ١٤٠٦/ آذار (مارس) ١٩٨٦

المعهد العالمي للفكر الاسلامي


الفصل الأول
القضية

١ – علة الأمة:

تقف الأمة الإسلامية اليوم في أدنى مرتبة قياساً الى غيرها من الأمم، فلم تتعرض أية أمة من الأمم الى هزائم كتلك التي تعرضت لها الأمة الإسلامية في هذا القرن. فقد هُزم المسلمون واستبيحت دماؤهم ونهبت ثرواتهم وطردوا من ديارهم وحرموا حق الحياة والأمل. وتعرضوا في الوقت نفسه - وبشراسة مطلقة - لكل أنواع الخداع والاستعمار والاستغلال. وحمل كثير منهم بمختلف الطرق على اعتناق معتقدات ومذاهب أخرى سواء بطريق الترغيب أو الترهيب. وأبعدهم أعداؤهم وعملاء أعدائهم في الداخل والخارج عن جذورهم وهويتهم وحضارتهم الإسلامية. وهذا ما حدث فعلاً في كل بلد أو ركن من أركان العالم الاسلامي الفسيح. فاصبح المسلمون بعد أن كانوا سادة الدنيا ضحايا الظلم والقهر والعدوان، ولم يكف أعداءهم ذلك، بل تعدوا ذلك كله الى الحط من منزلتهم التاريخية وتشويه سمعتهم وماضيهم وأمجادهم بين الأمم والشعوب، حتى أصبحت صورتهم اليوم أسوأ صورة يمكن أن تصور بها أمة. ولعل من الأدلة على ذلك ما درجت عليه وسائل الإعلام الدولية من تصوير المسلم بصورة شخص عدواني، هدام، إرهابي، متمرد على القانون، غير متحضر، متعصب، متزمت، متأخر غير مؤهل لمجاراة عصره. وعلى وجه العموم فقد أصبح المسلم اليوم هدفاً للحقد والازدراء من غير المسلمين جميعاً، سواء أكانوا من أبناء الدول النامية أو غير النامية، الرأسمالية أو الاشتراكية، الشرقية أو الغربية، المتحضرة أو المتخلفة. ولا يعرف العالم الاسلامي اليوم بين الأمم إلاّ بأنه عالم الصراع والشقاق الداخليين، عالم الفتن والتناقضات، عالم الحروب وتهديد السلم العالمي، عالم الثراء الفاحش والفقر المدقع، عالم المجاعات والأوبئة،

ومن جانب آخر هنالك اعتقاد عند السواد الأعظم من سكان المعمورة بأن العالم الاسلامي هو «الرجل المريض» في عالم اليوم، وبأن الدين الاسلامي هو السبب المباشر لكل جذور البلاء هذه.

وتشتد وطأة آلام العلة المتمثلة بهذا الواقع الأليم على نفس المسلم حين لا يجد مسوغاً يبرر استمرارها في ظل وجود حقيقة أن الأمة الإسلامية تعد اليوم حوالي ألف مليون نسمة، وأن رقعة أرضها أكبر وأغنى البقاع في العالم، وان إمكاناتها البشرية والمادية والاقتصادية هي أعظم الإمكانات في العالم، وان دينها الإسلام، على رأس هذا كله، دين متكامل حاوٍ لكل خير شامل لكل فضيلة، واقعي يناسب الإنسانية برمتها، ويمكن الحصول منه على افضل الحلول وأحسن المعالجات لمشاكل العالم المعاصر كلها لا مشاكل المسلمين وحدهم.

٢ – المظاهر الرئيسية للعلة:

أ - على الصعيد السياسي:

ان أية نظرة على الصعيد السياسي ترينا أن الأمة منقسمة على نفسها، وذلك بسبب نجاح القوى الاستعمارية في تمزيقها الى خمسين دولة قومية أو تزيد، وقد أقيمت الحدود المصطنعة بين هذه الدول بشكل يولد دائماً أجواء من التوتر والاحتكاك فيما بينها. وتغذي الدوائر السياسية الاستعمارية على الدوام تلك الأجواء بتدبير المكائد والمؤامرات لاستغلال هذه الظروف وتنمية واستمرار أسباب النفور والعداء.

أما على الجبهة الداخلية فنجد أن كل واحدة من هذه الدول القومية تعاني من الانقسام الداخلي ويشكل سكانها خليطا قوميا غير متجانس حيث يمكن السادة المستعمرون فئة من فئاته من التسلط على الفئات الأخرى. ولم تتح لأي من هذه الدول القومية الفرصة للاستقرار وجمع شتات مواطنيها في كيان واحد

متجانس. كما لم تتح الفرصة لأية دولة من هذه الدول أن تندمج مع دول أخرى من شقيقاتها في كيان أكبر، والتجارب المحدودة التي حدثت سرعان ما منيت بالفشل والإحباط، ومما يزيد الطين بلة، لجوء القوى المعادية لهذه الأمة الى جلب أو «استيراد» الأجانب والغرباء بكثافة الى العالم الاسلامي لضمان تنمية عوامل الصراع واستمرارها والحصول على أسباب للتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول عندما تحتاج الى ذلك. كما قام العدو بإبعاد بعض المسلمين عن دينهم وتحويلهم الى النصرانية الغربية مما يؤدي الى إضعافهم وانعزالهم عن أبناء جلدتهم. ولم يتوقف العدو عند هذا الحد بل تعداه ليشمل غير المسلمين من أبناء البلد حيث قام بغرس أفكار غربية وخبيثة في نفوسهم تنادي بالانتماء للآخر والهوية البديلة مما يؤدي حتما الى تأجيج الصراع مع المسلمين. وقام العدو آخر الأمر بزرع دول «غريبة» في جسم الأمة الإسلامية بهدف تبديد الطاقة الإسلامية وإبعادها عن عملية البناء واستنزافها في حروب لاجدوى منها، أو استخدامها كقواعد انطلاق متى ما قررت القوى الاستعمارية العودة الى احتلال أراضي المسلمين بالقوة لخدمة مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية. ولهذا لا توجد دولة إسلامية تنعم بالأمن الداخلي أو الخارجي فضلا عن ان كل واحدة منها تبدد الجزء الأعظم من إمكاناتها وطاقاتها عبثا ودونما جدوى في سبيل ضمان سيطرتها الداخلية وسيادتها الخارجية. يضاف الى ذلك قيام الإدارة الاستعمارية بالقضاء على المؤسسات السياسية في سائر أنحاء العالم الاسلامي، التي ابتليت بسيطرتها. وعندما بدأت الشعوب تستيقظ وحان الوقت لانسحاب هذه الإدارة سلمت مقاليد الحكم الى فئة مختارة من أهل البلاد تم - مسبقا - إعدادهم وتربيتهم وفق الأنماط الغربية في الفكر والثقافة والحياة، ثم آلت القوة والسيطرة في معظم هذه البلدان الى قبضة العسكريين الذين استطاعوا

أن يغتصبوا السلطة عند أول فرصة مؤاتية، ولذلك يخضع المسلمون في معظم أقطارهم للحكم العسكري لانعدام المؤسسات والهياكل السياسية المؤهلة لإدارة شؤون الحكم أو تعبئة الجماهير للمقاومة وتوجيهها لأداء أي عمل سياسي بناء، أو للتعاون وتنسيق العمل فيما بينها.

ب - على الصعيد الاقتصادي:

نجد الأمة في هذا المجال شديدة التخلف كذلك، حيث يشكل الأميون الغالبية العظمى من أبنائها، وإنتاجهم من المواد والخدمات أقل بكثير من احتياجاتهم التي تعوض بطريق استيراد البضائع والسلع الجاهزة من الدول الاستعمارية، وبما في ذلك المتطلبات الأساسية للحياة من مواد غذائية وألبسة وطاقة وآلات، فلا توجد دولة إسلامية واحدة مكتفية ذاتيا في سائر ما تحتاج إليه، بل ان كل واحدة منها ـ في الحقيقة ـ مهددة بالمجاعة إذا اختارت القوى الاستعمارية لأي سبب أن توقف تجارتها غير العادلة معها. وقد دأبت المصالح الاستعمارية على إيجاد رغبات وأسواق استهلاكية لمنتجاتها في كل جزء من العالم الاسلامي، وفي الوقت نفسه ضربت عرض الحائط بحاجة المسلمين الى المكننة من أدوات إنتاج وتصنيع. وينجح المستعمرون ـ غالبا ـ في سعيهم الى منافسة ومحاربة الإنتاج المحلي للمسلمين وإزاحته من الأسواق. وعندما يتم تطوير صناعة معينة بمساعدة المستعمرين فإنها تكون معتمدة عليهم كليا للبقاء والاستمرار، وذلك بسبب الحاجة الماسة للمواد الخام والعناصر الأساسية الجاهزة التي لا يمكن التزود بها إلا من صناعاتهم، وبهذا يخضع الإنتاج الصناعي الاسلامي ـ حين يوجد ـ لرحمتهم. وفي اغلب الأحيان لاتكون الصناعة الإسلامية مصممة لتلبية الاحتياجات الماسة بل مقتصرة على تلبية الاحتياجات الثانوية للاستهلاك

والتي توجدها وتروج لـها الإعلانـات التجاريـة الاسـتعمارية المكثفـة. ويعتـبر المستعمرون الاكتفاء الذاتي الزراعي لدى المسلمين عدوهم الأول، لأنـه يمثـل في الوقت الحاضر، والى فترة طويلـة مـن الزمـن، المطلـب الرئيسـي والضـروري لمقاومة أي مخطط استعماري،ولـهذا نرى في كـل جـزء مـن العـالم الاسـلامي المزارعين المسلمين يجتثون من قراهم وحقولـهم بأساليب ووعود خادعة تمنيهم بحياة أفضل في المدينة، بإغرائهم بالوظائف المؤقتة في ميادين البناء والإنشـاءات العامة، أو بالعمل في المضاربات الغذائية والمواد الاستهلاكية، كما يـهرب الكثـير منهم من حقولـهم نتيجة لاستغلالـهم البشع من قبل أصحاب الأراضي وجباة الضرائب. وهكذا يهاجر المزارعون المسلمون الى المـدن ليعيشـوا في أحيـاء مـن الأكواخ الحقيرة معتمدين على الأطعمة الجاهزة المستوردة، ومستعدين لإجابـة نداء أي زعيم غوغائي يسـعى لتحقيـق مآربـه الخاصـة عـن طريـق اسـتغلال ظروفهم الصعبة. وهكذا أصبحـت البلـدان المسـلمة الزراعيـة المصـدرة بلدانـا مستوردة لسائر أنواع الغذاء.

أما الثروة المعدنية الـهائلة التي قدر الله سبحانه وتعالى بحكمته أن يهبـها لبعض الدول السلامية، فللظروف السكانية لتلك البلاد ولتدهور أحوال مختلـف بلاد الأمة الإسلامية فكريا وحضاريا وبسبب انعـدام الاسـتقرار السياسـي في دول العالم الاسلامي لذلك لم تؤد تلك الثروة الدور المقدر لـها في تنميـة العـالم الاسلامي وتطويره صناعيـا وزراعيـا بـل أن دواعـي الأمـن الاسـتثماري قـد اجتذبت كثيرا من رؤوس الأموال الفائضة لكي تسخر في تنمية البقـاع الأخـرى من العالم.

ج - على الصعيد الثقافي:

أدى انتشار الجهل والخرافات والأمية بين المسلمين ـ نتيجة قرون من التدهور والتخلف ـ الى دفع المسلم العادي الى النكوص والركون الى الإيمان الشكلي والتقليد الأعمى، والتقيد بالتفسير الحرفي، والاستسلام لدعاة الخرافة مما أوجد في نفسه قدرا كبيرا من الضعف والعجز عن مقاومة التحديات والتأثيرات الخارجية. وعندما داهمه العالم الحديث أدى ضعفه العسكري والسياسي والاقتصادي الى خوفه وارتباكه. وتحت تأثير هذه الصدمة سعى الى حلول وسطية لإصلاح حاله اعتقادا منه أنها العصا السحرية التي ستعيد إليه بسرعة كل ما أضاعه وفاته. وهكذا لجأ دون وعي أو إدراك الى اعتماد الوسائل والأفكار الغربية بعد أن أغوته تجربة الغرب الناجحة وبعد أن زين له مستشاروه الغربيون، أو مستشاروه المحليون غربيو التفكير، محاولة تقليدها، أما في المناطق الخاضعة للإدارة الاستعمارية فقد فرض النهج الغربي وقام الحكام بالترويج له وتشجيعه بكل ما توفر لديهم من وسائل.

وسواء كانت نية هؤلاء الحكام المسلمين الذين سعوا لحل مشاكل بلادهم باتباع النهج الغربي حسنة أو سيئة، فانهم عجزوا عن أن يدركوا أن برامجهم سوف تزعزع وتقوض ـ عاجلا أم آجلا ـ أسس الدين الاسلامي وثقافته بين صفوف رعيتهم. وكانت العلاقة بين مظاهر القدرة على الإنتاج والقوة في الغرب من جهة وبين الأفكار الغربية التي تتعلق بالله والإنسان والحياة والطبيعة والكون والزمان والتاريخ من جهة أخرى، من الدقة والتعقيد الى درجة أن هؤلاء الحكام عجزوا عن الانتباه لها وفهمها، أو أن تسرعهم للإصلاح أدى الى عدم إعارتها أية أهمية، وهكذا نشأ نظام تعليمي لا ديني يلقن القيم والمفاهيم والأساليب الغربية. وسرعان ما أخذ يغرق المجتمع الاسلامي بأجيال من

الخريجين من حملة الدرجات العلمية الجاهلين تماما بأمور دينهم وتراثهم الاسلامي. وزاد في عدم ثقة هؤلاء الخريجين بالعلماء المسلمين حماة التراث الاسلامي وحملته ما كان عليه كثير من هؤلاء العلماء من حرفية، وتشبث بالموروث جملة وتفصيلا ودون تمييز بين ما لا يجوز تجاوزه من أحكام الكتاب والسنة، وبين ما وسع الله فيه من فقه الرجال وآرائهم. وهكذا بدأت الشقة تنمو بين العلماء المسلمين المعارضين للنهج العلماني اللاديني وبين العلمانيين اللادينيين غربيي التفكير الداعين له. ورتب الاستعمار الأمر بحيث أصبح العلمانيون اللادينيون أصحاب اليد الطولى وصناع القرار في الدولة الإسلامية.

وتعرض كل ما هو إسلامي للهجوم، سواء من قبل المستعمرين مباشرة أو من قبل صنائعهم وعملائهم من أبناء البلاد، ولم يستثن من هذه الهجمة الشرسة كمال النص القرآني ولا أصالة رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنته الشريفة، ولا تمام الشريعة الإسلامية، ولا الإنجازات الإسلامية المجيدة في ميادين الحضارة والثقافة. وكان الهدف من وراء ذلك زعزعة ثقة المسلم بنفسه وأمته ودينه وسلفه الصالح، وتشويه وعيه وإفساد شخصيته الإسلامية، ومن ثم جعله مسلوب الإرادة، خائر القوى فاقدا للطاقة والحوافز الضرورية للمقاومة والصمود. وأغرق المستعمرون وصنائعهم حياة المسلم اليومية بمظاهر الدعاية للثقافة الغربية، فأخذت الصحف والكتب والمجلات والإذاعات ومحطات التلفزيون، والأشرطة السينمائية والاسطوانات وأشرطة التسجيل، والملصقات العامة في الشوارع، والإعلانات الضوئية تمطره بوابل من هذه المؤثرات الدعائية يوميا. وفي هذه الأجواء أصبحت الحكومات الإسلامية تتباهى بشق الطرق والشوارع العريضة المزينة بالأشجار في عواصمها، وتشيد مباني سكنية وحكومية شاهقة على النمط الغربي، في الوقت الذي لا تخجل فيه

تلك الحكومات من القذارة والتخلف والتفسخ الذي يسود سائر المدن والقرى في بلادها. واعتادت نخبة من أبناء البلاد غربيـــي التفكـير ارتيـاد أمـاكن التسـلية واللهو لمشاهدة الأوبرا أو المسرحيات أو الأفـلام السـينمائية، أو الاسـتماع الى الحفلات الموسيقية، بينمـا كـان أبنـاؤهم يقـرأون عنـها في المـدارس والكليـات العلمانية التنصيرية، وأخفق هؤلاء جميعا في إدراك التباين بين هذه الأمور وبـين كل شيء آخر يفكرون فيه أو يقومون به. أما أولئك الذين أتمـوا بنـاء ثقافتـهم الذاتية وفق الأفكار والمعايير الغربية فقد برزوا بشكل أكثر غرابة وسط بيئتهم الإسلامية، حيث تمزقت وحدة البنية الكاملة للثقافة الإسلامية، وتمـزق النمـط الاسلامي للحياة في نفوسـهم وتفكيرهم وأعمالـهم، وفي داخل بيوتهم وأسـرهم، وأقحمت المؤسسات والعادات الغربية بشكل مروع ومتهور في حياتهم. وأخـذت المرأة المسلمة تتهافت على مظاهر الانحلال الغربي بدلا من رفـع منـزلتها مـن الدرك الذي انحدرت إليه الى أعلى مراتـب الفضيلـة والتأثـير الاجتمـاعي الـذي خصها به الإسلام، وتجلى ذلك في التـهافت التدريجـي علـى العـرى والتـبرج، والاستقلال المالي للمرأة بهدف الحصول على حرية ذاتية مزيفـة والسـعي وراء الملذات والتخلي عن الواجبات التي تفرضـها روابط الأسرة الواسعة.

واندثر وانعدم في مدننا فن العمارة وتخطيط المدن، وأخـذت مدننـا ـ الـتي تنمو أسرع مما ينبغي ـ تكرر كل الأخطاء والنواقص الـتي عـانت منـها المـدن الأوروبية في فترة الثورة الصناعية قبل قرنين من الزمن، وكأننا عاجزون تمامـا عن الاستفادة من تجارب الآخرين. فبيوتنا وأثاثنا وفنـون الزخرفـة والـتزيين لدينا ما هي إلا خليـط غـير متجـانس مـن كافـة الطـرازات يفضـح مفاهيمنـا المضطربة عن حقيقة هويتنا وانتمائنا.

وجملة القول، ان المسلم - رغم كل الادعاءات التي تقول عكس ذلك - مكن من نفسه التخلف والانحدار بقدر المدى الذي سمح لنفسه بتقليد الأفكار والأساليب الغربية. وتحولت حياته الى مزيج من الأنماط المختلفة التي لا يربطها بماضيه أية صلة. ووضعه هذا في موقع قلق شاذ، فلا هو بالمسلم ولا هو بالغربي، بل مسخ حضاري أفرزته العصور الحديثة.

٣ - جذور الأزمة في اعتلال الفكر والمنهجية:

لم يعد يوجد أدنى شك في أن أساس «علة» هذه الأمة هو في اعتلال فكر الأمة وفي منهجية فكر الأمة وما يترتب على ذلك من اعتلال نظام التعليم السائد فيها مما يشكل تربة خصبة للداء، ففي المدارس والكليات يلقن ويكرس الاغتراب والابتعاد عن الإسلام وتراثه ونمطه في الحياة بحيث صار نظام التعليم الحالي هو المختبر الذي تصاغ فيه تركيبة الشباب المسلم ويجري تغذية وعيهم على أسس غربية باطلة. ففي هذا المكان، وعن طريق الانحراف والشكوك التي يغرسها هذا النظام في أعماق وعيه، تنقطع صلة المسلم بماضيه وتواجه رغبته الفكرية لدراسة تراث آبائه بالإحباط، وتثبط همته لتلمس جذور هذا التراث والانطلاق المبدع لإحيائه وتجديده.

أ - الحالة الراهنة للتعليم في العالم الاسلامي:

رغم التوسع الهائل الذي حدث حتى الآن نجد أن التعليم الاسلامي في الوقت الحاضر في أسوأ حالاته. فعلى صعيد إسلامية التعليم ومناهجه نجد المدارس والكليات والجامعات التقليدية منها والعلمانية أجرأ من أي وقت مضى في الدعوة الى آرائها وأفكارها اللاإسلامية، كما انها استطاعت اليوم أكثر من أي وقت اجتذاب الآذان الصاغية للأغلبية العظمى من الشباب المسلم. فقد اتخذ نظام

التعليم العلماني اللاديني منذ إنشائه على يد الإدارة الاستعمارية مواقع حساسة وابعادا مهمة على حساب النظام الاسلامي وإزاحته من الميدان. وبقي التعليم الاسلامي في الغالب محصورا في نطاق ضيق ومحروما من دعم الأموال العامة للدولة. وحتى في حال توفر الأموال اللازمة فانها ترفق عادة بطلبات وإصرار على العلمنة واللادينية بادعاء اللحاق بالعصر والرقي الحضاري. وهكذا ينقسم منهاج الدراسة الى قسمين متناقضين أحدهما إسلامي والآخر حديث (كذا). وما جرى في بعض كبريات الجامعات الإسلامية العريقة مثال نموذجي حي على ذلك. فقد بقي الجزء الاسلامي من المنهاج دون تغيير بسبب الاتجاه المحافظ والمصالح الشخصية المكتسبة للقائمين عليه، إضافة الى أن المخطط العلماني اللاديني شجع على إبقاء تلك الجامعات بعيدا عن الواقع وعن التحديث حتى لا يشكل خريجوها أي تحد فعلي للمؤسسات العلمانية اللادينية. وقد تمت دراسة هذه الأمور كلها والتخطيط لها بعناية تامة من قبل واضعي الاستراتيجية الاستعمارية فقد أعطى الاستقلال الوطني القومي للدول الإسلامية قوة دافعة لنظام التعليم العلماني اللاديني فيها حيث تم تعزيزه وتبنيه وضمان استمراره نظاما أساسيا بإغراقه بالأموال. كما تم أيضا توسيع وزيادة علمانية ولا دينية النظام باسم القومية العنصرية والوطنية الإقليمية وتمضي القوى الداعية الى المنهج الغربي والعلمانية ـ مع ما يرافق دعوتها هذه من إبعاد للطلبة والأساتذة عن جذورهم وحضارتهم الإسلامية ـ بالعمل بكل طاقاتها وحريتها في الكليات والجامعات دون أن يتخذ أي إجراء يؤدي الى إيقاف هذا الانحراف. ويعتبر هذا الواقع أسوأ مما كان عليه الوضع في عهد الاستعمار. ففي ذلك الوقت تحركت روح المقاومة داخل كل مسلم للسعي نحو التحرر وإيجاد الحل الاسلامي. أما اليوم فقد سادت روح من السلبية واللامبالاة

وانعدام الثقة في القادة جميعا. ويرجع هذا في الغالب الى الوعود الزائفة وخيبات الأمل المتكررة والى المثال السيئ والمؤلم الذي يضربه القادة المفلسون أخلاقيا. ولا تقوم أية حكومة إسلامية، أو إدارة جامعية، أو مؤسسة خاصة، بأي عمل لمواجهة المعنويات المنهارة لدى شباب الكليات، أو التصدي للخطة المستمرة الرامية الى إبعادهم عن جذورهم الدينية والحضارية بطريق «التعليم». وهناك أيضا برامج الاعمار الواسعة في البلدان الإسلامية الغنية التي أصبحت عاملا مساعدا في خدمة القضية العلمانية اللادينية لأنها أصبحت تسهم في زيادة إعداد الطلبة وهيئات التدريس والإدارة والمرافق العامة والخاصة التي تعد في جامعات الغرب أو في الجامعات المحلية العلمانية اللادينية وقلما تخصص أية نسبة من المال في سبيل «التحديث» بمعناه الحقيقي، أي في سبيل تطوير الصفة الإسلامية للتعليم، أو التوجه الاسلامي للطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية، ففي كل مكان يجري سباق جنوني نحو اتباع النمط الغربي في التعليم.

ب - الافتقار الى الرؤية الصحيحة:

على الرغم من كل الادعاءات بعكس ذلك فما تحقق حتى الآن لم يكن اطلاقا النموذج الغربي بل صورة ممسوخة عنه، فالنموذج الغربي مثله مثل النموذج الاسلامي ـ رغم الاختلاف بينهما ـ يستند في النهاية على رؤية محددة تتطلب إرادة لتحقيقها. فالمباني والمكاتب والمكتبات والمختبرات وقاعات المحاضرات هي ممتلكات مادية لا قيمة لها بدون رؤية واضحة للغاية منها. وإلا تحولت الى تقليد لمظاهرها غير الأساسية فقط. ولهذا السبب لم يتمكن المسلمون خلال ما يقرب من قرنين من التعليم العلماني اللاديني القائم على النموذج الغربي أن يحققوا أي شيء، فهم لم يستطيعوا أن يؤسسوا مدرسة أو كلية أو جامعة

واحدة، أو أن يخرجوا جيلا واحدا يستطيع أن يبرز المقدرة الأوربية في الإبداع والتفوق. أما مشكلة المستويات المتدنية في معاهد العالم الاسلامي والتي يصعب حلها فهي نتيجة حتمية لانعدام هذه الرؤية، فلا يوجد بحث حقيقي عن المعرفة بدون روح، وهذه الروح هي بالضبط ما لا يمكن تقليده. فهي تتولد عن رؤية كلية في الإنسان والكون والحياة، وباختصار تنبع عن العقيدة. والتعليم في العالم الاسلامي يفتقر الى هذه الرؤية، فقيادته لا تملك رؤية الرجل الغربي كما انها فقدت طواعية الرؤية الإسلامية بسبب الجهل والكسل واللامبالات. أما الزعامة التربوية في العالم الاسلامي فقد اتسمت بالروح المادية وافتقرت الى الثقافة اللازمة والهدف الواضح. وخلال المائتي عام المنصرمة كانت العقيدة والشعور القومي هما المسيطران الملهمان في جامعات الغرب لأن الرومانسية[1] حلت محل اله النصرانية الميت. وأعتبرت «الأمة القومية» على انها «حقيقة مطلقة» أصيلة. أما المسلم فلا يعرف غير الإيمان بالله حقيقة مطلقة ولهذا فان ولاءه المطلق للدولة القومية اللادينية ليس مستحيلا فقط بل هو كفر. ومهما كان ارتباط المسلم بتراثه وماضيه، لا يمكنه أن يكون «قوميا لا دينيا» بمفهوم الفرد الأوروبي الذي فقد نصرانيته واستغنى عنها بقوميته.

ولننظر الآن الى أعلى مرتبة يصلها مدرس جامعي مسلم حصل على الدكتوراه خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية من جامعة غربية ألا وهي لقب أستاذ. فقد تابع تعليمه في الغرب وتدرب فيه، وتخرج بمعدل وسط أو دون ذلك. وبما أنه لم ينطلق ـ في الغالب ـ في سبيل هدفه من دوافعه الإسلامية، أي

(١) الرومانسية: حركة فلسفية وأدبية وفنية نشأت في القرن الثامن عشر كرد فعل ضد «الكلاسيكية المحدثة» وقد تميزت بالتأكيد على الخيال والعاطفة وبالنزعة الى تصوير الخبرات الذاتية وتمجيد الانسان العادي وبحب للطبيعة الخارجية.

انه لم يسع في طلب العلم في سبيل الله - تعالى - بل سعى الى ذلــك - غالبا - من أجل هدف مادي أناني (وفي أفضل الأحوال قومي)، لذا لم يكن له ان يحصل على مجمل المعرفة التي توفرت له في الغرب. كما انه لم يستطع أن يتفـوق علـى أساتذته الغربيين في مجال اختصاصهم، ولم يتمكن مـن هضـم مـا تعلمـه ولم يسع الى صياغته مجددا من خلال الرؤية الإسلامية للمعرفة والحقيقة كما فعل من قبل أجداده الذين درسوا علـوم القدمـاء وعملـوا علـى وضعـها في صيغـة إسلامية. وبدلا من ذلك قنع باجتيازه امتحاناته والحصول على الدرجة العلميـة المنشودة والعودة الى وطنه ليتبوأ مركزا هاما مرموقا. وتمثل الكتب التي قرأها خلال فترة دراسته منتهى ما يمكن أن تصل اليه معرفته العلمية، حيـث يعـوزه الآن الوقت والطاقة والحافز لكي يوسع آفاق معرفته التي وصل اليــها بطريـق دراسته. وتزيد ظروف عمله ومعيشته من ابتعاده عن بلوغ هذا الـهدف الأعلى عزيز المنال. وبطبيعة الحال، فان طلبته سيكونون حتما أقل كفاءة وأقل اندفاعـا منه للحصول على المعرفة لأن المثل الغربي الأعلـى قـد تقـهقر بالنسـبة اليـهم بصورة اكبر. وهكذا بالتدريج تتدنى المسـتويات باسـتمرار ويصبـح النمـوذج الغربي للتعليم في العالم الاسلامي مسخا مشوها للنموذج الأصلي في الغرب.

ان المواد والمناهج التي تدرس حاليا في العالم الاسلامي هي نسخ عن المـواد والمناهج الغربية لكنها تفتقر الى الرؤية التي حركتها في الغرب. وافتقارهـا الـى هذه الرؤية جعلها أداة للتعليم القاصر. وبدون وعي تمضي هذه المواد والمنـاهج الخالية من الـروح في تأثيرهـا الضـار لابعـاد الطلبـة المسـلمين عـن جذورهـم وحضارتهم فارضة نفسها كبدائل للمواد والمناهج الاسلامية على انــها عوامـل للتقدم والتحديـث. ولكنـها في الواقـع تجعـل مـن الخريـج الجـامعي في العـالم الاسلامي نموذجا حيا للطالب المغرور الذي تماثل قدراته قدرات الطـالب الـذي

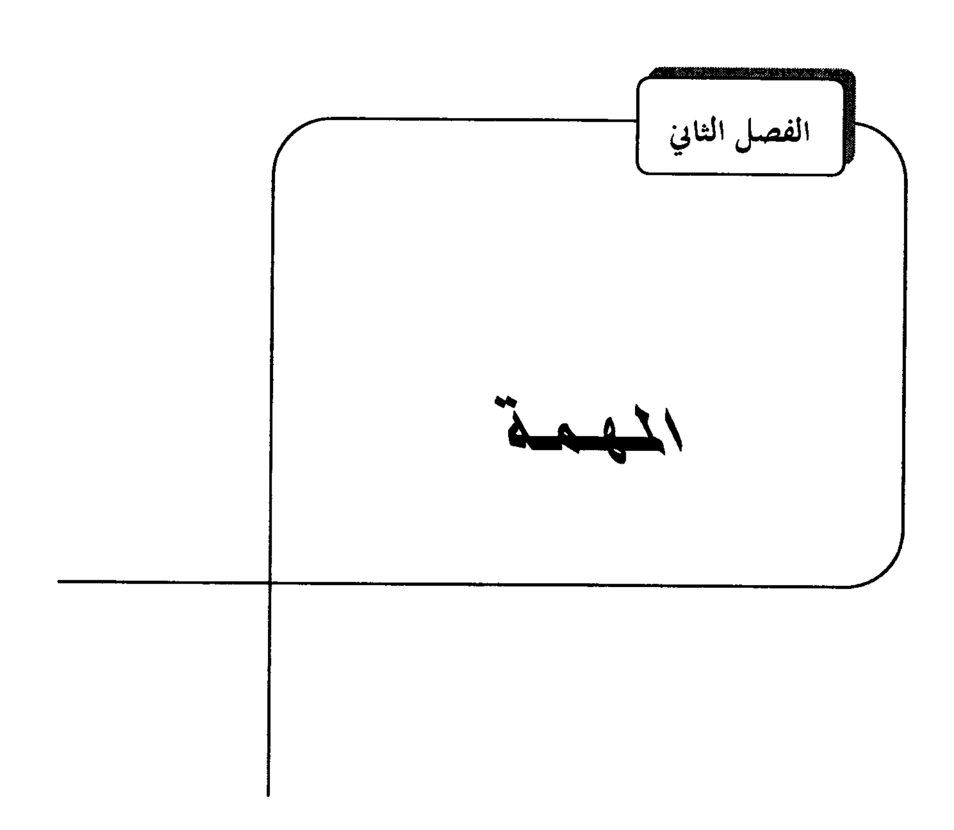
لازال في المرحلة الأولية من دراسته الجامعية ولكنه يعتقد انه القدير العالم بكل شيء وهو في الحقيقة لا يملك إلا القليل من القدرة والعلم.

وهكذا يحرم الطالب المسلم الاستفادة من الميزات التي يمكن أن تتوفر في المعارف الغربية. حيث ان امكانية الاستفادة من هذه الميزات تتطلب أولا المقدرة على استيعاب المعرفة كلها التي تتوفر في ذلك الميدان، وثانيا وجود فكرة معينة تشكل حافزا لهضم هذه المعرفة كاملة ومن ثم تجاوزها والتفوق عليها. وتعتمد امكانية الاستفادة على وجود مثل هذا الحافز، حيث ان اكتساب المعرفة المتوفرة تتطلب وجود فكرة محركة لا يولدها إلا الالتزام بقضية عقيدية معينة. وبدون وجود القضية فلن يندفع المسلم حقيقة للتضلع في معرفة فرع من الفروع، كما انه من المستحيل عليه تجاوز المدى الذي وصلته المعرفة في ذلك الفرع. وبالنسبة للمسلم فان القضية الوحيدة التي يمكن ان تكون قضيته حقا هي الاسلام. ولهذا لم يتمكن الأساتذة المسلمون الذين تلقوا تعليمهم في الغرب من الحصول على مجمل المعرفة التي توفرت لهم لأن الاسلام لم يكن قضيتهم وحافزهم. وكأساتذة جامعيين عجزوا فيما بعد عن نقل هذا الشرط الأساسي للابداع الى طلابهم. ولأنهم قنعوا بنقل وترجمة جزء من مجمل هذه المعرفة فقد حكموا مسبقا على طلابهم بالأداء القاصر والمستوى المتواضع من الكفاءة في أفضل الأحوال.

والكارثة الكبرى التي تواجه التعليم الاسلامي هي بالتأكيد افتقار اساتذة الجامعات في العالم الاسلامي الى الرؤية الاسلامية، حيث انهم لا يتحركون بتأثير دوافع هذه الرؤية العقيدية الاسلامية. وفي العالم الاسلامي كله يبدأ الطلبة مرحلتهم الجامعية في وقت لا تتجاوز الرؤية الاسلامية لديهم معرفة قليلة بالاسلام اكتسبوها اما في البيت أو في المرحلة الابتدائية أو المتوسطة أو

فيها جميعا. ومن الواضح أن هذا لا يشكل «رؤية» أو «قضية». ومن الناحية العقيدية يبدأ الطالب مرحلة التعليم الجامعي وفكره خال تماما من هذه الرؤية ومنفتح لأية تأثيرات. وقد يبدأ دراسته وفي داخله بعض المشاعر أو العواطف ولكن تعوزه الأفكار، وهذه المشاعر، ان وجدت تتحطم حالما تجابهها «الأفكار» و «الحقائق» و «الأحكام» الموضوعية «للعلم» والتي تقدمها له الفروع التي يدرسها. ومن الواضح أيضا أن هذا الطالب لا يملك وسائل الدفاع ولا الرؤية التي تمكنه من مجابهة هذا المستوى من التصور. ولهذا فان لم يتخرج ملحدا أو علمانيا لا دينيا أو شيوعيا ملحدا فان نظرته الى الاسلام لن تتجاوز الارتباط الشخصي والعاطفي بأسرته وأبناء بلده. كما يفتقر هذا الطالب الى جزء ولو يسير من العقيدة الاسلامية الحية التي تتضمن أفضل الأفكار المتعلقة بالمشاكل التي قد تواجهه. وعلى المستوى الفكري يواجه الطالب الجامعي في العالم الاسلامي العقائد الغربية التي تقدم له في الكتب المقررة وقاعات المحاضرات بدفاع هزيل بائس، مثله تماما مثل جندي متسلح برمح وسيف في مواجهة دبابة ومدفع. ولا يوجد مكان في العالم الاسلامي تدرس فيه بالمعنى الصحيح الرؤية الاسلامية لكافة الطلبة كما تدرس التقاليد الغربية لطلبة المدارس الثانوية في الغرب، أي بترابط وشمولية وجدية والتزام من قبل الجميع. ولكن الرؤية لا تشكل جزءا من البرامج الدراسية «الأساسية» أو «الجوهرية» التي يجب على الطلبة جميعا دراستها واستلهامها في أية جامعة في العالم الاسلامي.





الفصل الثاني

المهمة



ان أصعب مهمة تواجه الأمة الاسلامية في القرن الخامس عشر الـهجري في سبيل حل أزمة الفكر والمعرفة الاسلامية هي إيجاد حـل لمشـكلة التعليـم، إذ لا يمكن أن يكون هنالك أي أمـل في إحيـاء حقيقـي للأمـة مـالم يصحـح نظامـها التعليمي وتقوم أخطاؤه. بل ان ما نحتاج اليه ـ في الحقيقة ـ هو اعـادة تشـكيل هذا النظام من جديد. فالازدواجية الراهنة في التعليم الاسلامي التي تقسـمه الى نظامين أحدهما اسلامي والآخر علماني لا ديني يجب ان تلغى الى الأبد بل يجب أن يكون النظام التعليمي نظاما واحدا ينبع من الروح الاسلامية ويعمل باعتباره وحدة متكاملة مع برنامج الاسلام العقيدي. ويجب أن لا يبقى نظام التعليـم في العالم الاسلامي مقلدا للنظام الغربي أو أن يترك هائما ليجد مخرجا بنفسه. كما يجب ألا يقتصر على تلبية الحاجات الدنيوية والرغبات الماديـة للطلبـة، او علـى تحقيق احتراف لحقل من حقول العلم والمعرفة واحراز نجاح شخصي ومـادي. بل يجب أيضا أن يعطى للنظام التعليمي رسالة، وهذه الرسالة لا يمكن أن تكون سوى اضفاء الرؤية الاسلامية وشحذ الارادة لتحقيقها على أوسع نطاق. ومثل هذه المهمة بالنظرة الجزئية القاصرة تعتبر مهمـة صعبـة الانجـاز وقـد تكـون باهظة التكاليف قياسا الى ما تنفقه على التعليم في الوقـت الحـاضر. لكـن الأمـة الاسلامية بمجموعها تنفق علـى التعليـم مـن «مجمـل الانتـاج الوطـني» ومـن ميزانيتها السنوية نسبة تقل كثيراً عما تنفقه معظم الدول الأخرى المتقدمة الـتي تعرف جدوى العناية بالتعليم والانفاق عليه.وحتى في الدول الاسـلامية الغنيـة حيث تكون ميزانية التعليم فيها كبيرة فان معظمها ينفـق علـى الأبنيـة والإدارة بدلاً من الأبحاث والنشاطات التربوية المناسبة. فيجب أن تنفق الأمة الاسـلامية على التعليم وتعنى به نوعاً وكماً أكثر مما تفعل حالياً كي تستقطب النخبة مـن

أصحاب الكفاءات وتساعدهم على تحقيق المطلوب منهم، وبلوغ المنـزلة الرفيعة التي حباهم الله بها «كرجال معرفة» و «طالبي علم».

١ – دمج نظامي التعليم:

ولايجاد نظام تعليمي موحد تهيمن عليه العقيدة الاسلامية، وتسيطر على سائر جوانبه الروح الاسلامية يجب ان يدمج نظام (التعليم الديني) مع نظام التعليم العام بما يتبعه من مدارس وجامعات، ويجب أن يعطى النظام الموحد مزايا كلا النظامين، أي الأموال التي توفرها الدولة والالتزام بالرؤية الاسلامية. كما يجب ان يوفر هذا الاندماج الفرصة المناسبة لازالة نواقص كل من النظامين، وبالتحديد: قصور المقررات القديمة وعدم خبرة كثير من المدرسين في النظام التعليمي الديني والتقليد الأعمى للأفكار والأساليب الغربية العلمانية في النظام العام.

ويمكن جني ثمار النظام الجديد إذا ما وافقت الحكومات المعنية على اعتماد المبالغ اللازمة لهذا النظام، هذا إن لم يتم اعطاؤه الاستقلال الذاتي التام بطريق انشاء أوقاف لتمويله كلياً أو تمويل بعض أقسامه. وهذا الوقف هو بالضبط ما أقرته الشريعة الاسلامية ورعته من اجل خير ورفاهية الأمة، وهذه الأوقاف نفسها التي مكنت كل مدرسة اسلامية في الماضي من التمتع بالاستقلال الذاتي ومكنت أساتذتها وطلبتها من طلب العلم ابتغاء وجه الله.

وهذا هو الشرط الضروري لأي مسعى ناجح للوصول الى الحقيقة والاتقان، كما ان الأوقاف هي التي منحت المدرسة أول كيان شرعي مشترك في التاريخ. وكانت المدرسة الاسلامية القائمة على نظام الوقف هي النموذج الذي احتذاه الغرب وقلده حين أسس جامعاته الأولى قبل ثمانية قرون.

وبسبب التكاليف الباهضة للتعليم في الوقت الحاضر، نتيجة التوسع الهائل في ميادين المعرفة من جهة، وازدياد أعداد الطلبة من جهة أخرى، فقد لا تكفي أموال الوقف للانفاق عليه. لذا ربما يتوجب أيضاً تخصيص نسبة من الأموال العامة لنفقاته. وعلى أي حال يبقى على الدولة أن تتحلى بالحكمة والدراية المطلوبة لتتفاوض مع المربين حول كمية المبالغ التي يجب ان توفر لهم، كما تخولهم استخدامها بأفضل طريقة متاحة. وإذا كانت الجامعات في الغرب تتمكن من القيام بمثل هذه الترتيبات فمن باب الافتراض المحض الادعاء ان المسلمين الذين يعملون بهدي القرآن عاجزون تماماً عنه. فلا حياة لأمة، ولا مستقبل لها، ان لم تحترم أبناءها وبناتها من طلبة العلم ولم تعمل باستمرار على نقل تراث آبائهم الحضاري والروحي لهم، أو تمكنهم من اغناء هذا التراث وتعميقه. وانه لمن مظاهر الطغيان أن لا تثق الدولة بامكانية قيام المربين فيها بواجبهم التربوي دون فرض رقابة مشددة على المؤسسات التربوية. كما انه من مظاهر التخلف أن يفرض الحكام السياسيون طرق ومواد التدريس عليهم والأسلوب الذي يجب أن يتبعوه في إدارة شؤون مؤسساتهم التعليمية.

٢ – غرس الرؤية الاسلامية:

من المتوقع أن يؤدي توحيد النظامين التعليميين الى أكثر من ايجاد الدعم اللازم للنظام التعليمي الاسلامي، وتحقيق الاستقلالية للنظام التعليمي العام، وذلك عن طريق نقل المعرفة الاسلامية الى النظام العام والمعرفة الحديثة الى النظام التعليمي الاسلامي. أما بالنسبة للتعليم الابتدائي والثانوي، فإنه من الحماقة والاجرام ايكال أمر الشباب المسلم الى المنصرين أو المربين غير المسلمين، وهذا ما يجب أن يتوقف فوراً. فلكل شاب مسلم الحق في أن يتلقى

تعليما كاملا في الدين الاسلامي وقيمه وغاياته وأخلاقياته وتشريعاته وتاريخه وحضارته. وتقع على عاتق الأمة كلها بقطاعاتها وقادتها المسؤولية الشرعية إذا قصروا في تعريف كل طفل مسلم المبادئ والمفاهيم والغايات الأساسية للاسلام. وسيكونون عرضة للحساب العسير أمام الله ـ تعالى ـ إن لم يقوموا بأداء هذا الواجب.

وهذا ينطبق ـ أيضا ـ بصورة أشد على تعليم البالغين من الطلبة، فالأبوان وأولياء الأمور هم الذين يرعون حياة الطفل وشخصيته ويتولون توجيهه وحمايته من القيام بأي عمل منكر يتنافى مع الشريعة الاسلامية. أما البالغون من الشباب فهم ـ عادة ـ أحرار في تصرفاتهم وهدف للدعاية المعادية للاسلام داخل وخارج الجامعة. ففي قاعات الدرس ومن خلال الكتب المقررة يتعرضون باستمرار الى مفاهيم غريبة تقدم اليهم باسم العلم والمدنية الحديثة بادعاء أن الأفكار والخيارات المعادية للاسلام هي حقائق علمية تقوم على اسس موضوعية. وفي سني حياتهم الغضة عرف الطالب المسلم الاسلام عن طريق السلطة الأبوية، وبما ان مستوى تفكيره من النضج لا يكفي لاستيعاب وتقدير الادعاءات «الموضوعية»، لذا كان ارتباطه بالموقف الاسلامي وليد عاطفة لا قناعة واعية. ومن هنا يصبح التزامه بالاسلام أضعف من أن يصمد أمام الهجمة العنيفة لما يقدم زيفا على انه الحقيقة «العلمية» أو «الموضوعية» أو «العصرية». ولهذا، وفي غياب أية مفاهيم وحجج اسلامية مقابلة تطرح بنفس القوة من الموضوعية والعلمية وبنفس الروح العصرية، يستسلم الطالب الجامعي المسلم الىالادعاءات اللادينية ويتقبلها. وهكذا تبدأ عملية ابعاد الطلبة عن جذورهم الاسلامية في الجامعات. وبعد سنوات من هذا التأثير داخل الجامعة، اضافة الى تأثير مساو أن لم يكن أقوى من جانب وسائل الاعلام ومن أقرانه ومجتمعه،

يكون الوعي الاسلامي لدى الطالب المسلم قد تعرض للتخريب. ولا غرابة بعد ذلك في أن يصبح ذا نزعة مادية وساخرا بما حوله، لا هو بالمسلم ولا هو بالغربي، ويقع فريسة سهلة لكل من يرضي نزواته الآنية.

أ - فرض دراسة الحضارة الاسلامية:

إن من أهم جوانب العلاج الممكن لظاهرة نزع الروح والجذور الاسلامية في المرحلة الجامعية هو التدريس الاجباري للحضارة الاسلامية لسائر سنوات المرحلة. فعلى كل طالب دراسة هذه المادة بغض النظر عن مجال تخصصه، وتفرض عليه حقيقة كونه مواطنا وواحدا من أبناء هذه الأمة أن يكتسب قدرا ملائما من المعرفة بتراث أمته والماما مرضيا بروحها وحضارتها. فلا يمكن أن يكون المرء متمدنا بدون هذه المعرفة. وحتى لو كان الطالب من أبناء أقلية غير اسلامية فهذا لا يعفيه من الالتزام بهذا المطلب الاساسي، حيث انه هو الذي قرر أو قرر أبواه، أو كان القرار مشتركا، أن يكون مواطنا في دولة اسلامية. لذا وجب عليه أن يكون ملما بالحضارة التي تنتمي اليها الدولة التي يعيش فيها، وبالروح والأمل الذين يحركان هذه الدولة ومواطنيها. ويجب أن لا يترك أي شخص بدون ثقافة اسلامية و «تأهيل اجتماعي» وصهر في بوتقة المجتمع الاسلامي. فمثل هذه الدراسة من أهم ما يحصنه ضد العقائد الساعية للتأثير عليه، لأنها تمكنه من أن يواجه الحجة بالحجة ويقدم الدلالة الموضوعية للرد على مثيلاتها. ومثل هذه الدراسة فقط هي التي تهيؤه للمشاركة الصادقة الفعالة في الحياة الثقافية وفي تقدم الأمة، وبواسطتها فقط سيتعرف على جوهر الحضارة الاسلامية ومنطق الاسلام، والاتجاه الواضح الذي تختطه الأمة في مسيرتها، أو الذي تأمل أن تسلكه. ومن خلالها فقط يمكنه أن يميز بين امته،

وبالتالي نفسه، وبين الآخرين، ويشعر بالفخر لهذا التميز وبرغبة عميقة للحفاظ عليه ودفع الآخرين لتقبله والانتماء اليه.

إن دراسة الحضارة هي من أهم الطرق لتنمية شعور الانتماء لـدى الفـرد، فلا يكون المرء قادرا على إدراك ذاته دون أن يعرف اسلافه، أي دون أن يعـرف الروح التي حركتـهم ومـا أنجـزوه في ميـادين الفنـون والعلـوم، وفي حياتـهم السياسية والاقتصادية، وفي نظامهم الاجتماعي، وفي تجربتهم الجمالية. كما لـن يكون له هذا الادراك إذا لم تؤثر فيه آلامهم ومعاناتهم، وأمجادهم وانتصاراتهم وآمالـهم وتطلعاتهم. ولا يتحقق الوعي بالكيان الذاتي إلا حينما تقـارن معرفـة الانسان هذه بأصله وبتراثه بمعرفته بالشعوب والتجمعات الأخرى وحضارتها. ولكي يعرف الانسان نفسه عليه أن يعرف مـدى اختلافـه عـن الآخريـن، لا في الحاجات المادية أو المنافع الشخصية، بل في النظرة الى العـالم والحكـم الخلقـي والتطلع الروحي.فهذا هو عالم الاسلام كله، عالم الثقافة والحضارة الذي أقامـه الاسـلام وعـززه عـبر الأجيـال. وهـذا لايمكـن تحقيقـه إلا بدراسـة الاسـلام وحضارته، وبالدراسة المقارنة للأديان والحضارات الأخـرى.وإذا أراد المـرء أن يكون «عصريا» هذه الأيام فيجب أن يكون لديه وعـي حضـاري، أي أن يكـون واعيا بطبيعة تراثه الحضاري، وبالروح التي جسدت مظاهره المتنوعة، وبالفارق الذي يميزه عن بقية التيارات الحضارية التاريخية، إضافة الى تحرك هذا الـتراث وتوجهاته نحو المستقبل. وبدون هذه المعرفة لايمكن أن يكون المرء سيد نفسـه، وبالتأكيد لا يستطيع حتى العيش في هذا العالم. وخلافا لما كـان عليـه الحـال في الماضي فان القوى الحضارية المتحاربة في هذا القرن يمكنها بسـهولة الوصـول الى أي انسان وجرفه دون الحاجة الى أي غزو أو احتلال عسكري. ويمكنها بذلك افساد أفكاره وفرض نظرتـها الى العـالم عليـه، وتحييـده واحتـواؤه كألعوبـة،

سواء أدرك هذا أم لم يدركه. ومن المؤكد ان هذه القوى تتصارع فيما بينها للسيطرة على العالم. وعلى المسلمين أن يقرروا اليوم فيما إذا ستكون الغلبة للاسلام في الغد أم لا، أو ما إذا كانوا سيصبحون هم أنفسهم قادة للتاريخ أو عبيدا له. ومن المؤكد ان المعركة الحضارية التي تدور الآن في الساحة العالمية لن تترك أحدا دون أن تمسه بآثارها فكل انسان معرض لأن يتغير بتأثير طرف أو آخر من أطراف الصراع، إلا إذا كانت حضارته احدى الحضارات المتنافسة، ومن ثم الحضارة الغالبة، وبهذا يتمكن هو من تغيير الآخرين.

وعلاوة على ذلك فمن غير اللائق أن يعتقد المسلمون بأنه يمكن المحافظة على جذوة الحضارة الاسلامية متقدة مادامت الثقافة الاسلامية تدرس في أقسام ومعاهد الدراسات الاسلامية الموجودة في جامعات أو كليات الشريعة. ففي الواقع ان تأسيس «اقسام الدراسات الاسلامية» في جامعات العالم الاسلامي لهو أبلغ دليل على تفسخ حال المسلمين وتخلفهم. فهذه الأقسام لا تعدو أن تكون نسخة طبق الأصل عن أقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الغربية، حيث يتخصص في دراسة الاسلام قلة من الأجانب الذين تحتاجهم دولهم ومجتمعاتهم من أجل ادارة وتوجيه علاقاتها مع العالم الاسلامي. ومن ناحية أخرى، فرغم ان الحاجة الى متخصصين في احكام الفقه الاسلامي للقضاء في النزاعات التي تنشأ بين المسلمين سوف تتطلب دائما ذلك المستوى المتخصص الرفيع من التدريب والتأهيل الذي توفره كليات الشريعة، فمعرفة الشريعة الاسلامية يجب أن تتاح لأبناء الأمة جميعا، ويجب أن تسري في وجوه المعرفة كافة النشاطات الاجتماعية والانسانية. ويجب على كل مسلم أن يكون لديه اطلاع علمي جيد بالمبادئ والقيم الاسلامية ومصادر المعرفة الشرعية

بوصفها الطريقة المنهجية أو القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها الدين الاسلامي والرؤية الاسلامية.

وعلاوة على ذلك فمعرفة الاسلام لم تكن لتقتصر على القلة من الناس، كما ان الرؤية الاسلامية والحاجة لها لم تكن لتقتصر على المتخصصين وحدهم بل هي للناس جميعا، لأنها تهدف الى السمو بكل الذين يمتلكونها الى أرقى درجات الوجود. فالاسلام يمقت تقسيم الناس الى خاصة وعامة، أي بكلمة أخرى الى طبقتين طبقة رجال الدين وطبقة عامة الناس، ويؤكد على أن الناس جميعا يجب أن يكونوا سواسية في اكتساب المعرفة وإدراك الحقيقة، «فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». والرؤية الاسلامية ضرورية لحماية الناس من المبادئ والعقائد الغربية التي تغزو وعيهم وأفكارهم. وما لم يتحصن كل مسلم في وجه هذا الداء الخطير بالرؤية الاسلامية فستصبح الأمة الاسلامية هي الضحية. فالاسلام هو دين الحياة الشامل الذي توجد لرؤيته صلة وثيقة بكل نشاط ومسعى انساني، سواء كان ماديا أو روحيا أو فكريا أو ثقافيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو سياسيا. فهو ليس دين الحياة الآخرة فقط كالنصرانية والبوذية يرضى بأن يدير الشؤون «اللاهوتية» ويترك ما عدا ذلك للحكام من البشر، أي ان ما لله لله وما لقيصر لقيصر. وحسبنا انه لايتم شيء أو يقال في أي حانوت أو مصنع أو مكتب أو منزل أو حقل، وبالذات في أي قاعة دراسية أو مختبر علمي مالم يكن له صلة وثيقة بالاسلام. ولذلك فان الرؤية الاسلامية ستبتر وتذوى إذا ما نشأت ونمت داخل علم واحد أو قسم واحد أو كلية واحدة. بل يجب أن تكون هذه الرؤية المرشد والأساس الأول الذي يحدد كل منهج وعمل يقوم به الجميع.

فالحاجة هي الى نظام تعليمي يرتكز في منطلقاته على أسس وقيم وغاية اسلامية، والحاجة أيضا الى مقرر دراسي في أسس الاسلام وقيمه كجوهر للفكر والحضارة الاسلامية وذلك لمدة أربع سنوات يشكل جزءا من البرنامج «الأساسي» أو «الرئيسي» لكافة الطلبة بغض النظر عن مجال تخصصهم أو عملهم. ومما يجب أن يقدم هذا المقرر الى الطلبة المسلمين ـ الى جانب المبادئ والقيم الأساسية للاسلام بوصفها جوهر الحضارة الاسلامية ـ الانجازات التاريخية للحضارة الاسلامية بوصفها شواهد في عصر الفضاء ـ هذا ـ على المبادئ الاسلامية، وكيفية تماثل أو تباين الحضارة الاسلامية مع الحضارات الأخرى في الجوهر والمظهر، وكذلك يجب أن يقدم الحضارة الاسلامية بوصفها الخيار العلمي الوحيد للتعامل مع المشاكل الأساسية للمسلمين وغير المسلمين في العالم المعاصر.

ب _ إسلامية المعرفة الحديثة:

إنها لخطوة عظيمة حقا الى الأمام إذا قامت الجامعات والمعاهد الاسلامية بإعطاء دروس اجبارية في الحضارة الاسلامية لكل الدارسين، باعتبارها جزءا من مناهجها الدراسية الأساسية. فمن المؤكد ان مثل هذه الخطوة الايجابية ستمنح هؤلاء الطلبة ايماناً أعمق بدينهم وتراثهم وتعطيهم الثقة بأنفسهم وتمكنهم من مواجهة مصاعبهم الحالية والتغلب عليها، والاندفاع الى الأمام لتحقيق الهدف الذي اختاره الله (سبحانه وتعالى) لهم، ولكن هذا كله غير كاف.

فلكي نشق الطريق نحو هذا الهدف الاسلامي، وبالتالي تكون كلمة الحق سبحانه وتعالى هي العليا في كل زمان ومكان، فان معرفة هذا العالم معرفة

دقيقة ضرورة حتمية لا غنى عنها. وهذه المعرفة هي الهدف الذي تنشده الفروع كلها. وكان المسلمون قبل أن يغطوا في سباتهم العميق وتضمحل حضارتهم قد طوروا مناهج فروع المعرفة، ورسموا بوضوح علاقة الاسلام ونظرته الشمولية العالمية وقيمه بكل فرع منها. واستطاعوا وبكل نجاح أن يدمجوها في الهيكل الرئيسي للمعرفة الاسلامية، وحقق المسلمون أيضا انجازات رائعة في كل الحقول والميادين، وطبقوا هذه المعرفة بكفاءة ليعززوا مثلهم الاسلامية العليا. وخلال فترة سباتهم قام غيرهم بانتحال تراث العلماء المسلمين وأهل االمعرفة فيهم وحازوه الى افكارهم بعد أن طوروا فروعه وأضافوا اليها اسهامات كبيرة، واستغلوا المحصلة النهائية فيه تحقيق مصالحهم. واليوم نجد أن غير المسلمين قد أصبحوا أسياد فروع المعرفة كلها بدون منازع. ونتيجة لذلك يدرس المسلم اليوم في كل جامعات العالم الكتب والانجازات والنظرة العالمية والمشاكل والمثل العليا من منظور غير اسلامي. وكذلك يقوم الأساتذة المسلمون في الجامعات الاسلامية اليوم بتدريس الشباب المسلم الثقافة والأفكار الغربية وبالتالي يبعدونهم عن اصولهم الحضارية وجذورهم الدينية.

وهذا الوضع يجب أن يتغير دون تأخير، وبلا ريب يقع على عاتق المربين والعلماء من أساتذة وأعضاء الهيئات التعليمية والتدريسية المسلمين مسؤولية التضلع في أصول الفروع الحديث. كما يجب أن يسيطروا سيطرة تامة على كل ما يمكن أن تقدمه هذه الفروع وهذا هو المطلب الأول لتحقيق كفاءة عالية. وعليهم بعد ذلك دمج هذه المعرفة في البنية الأساسية للتراث الاسلامي، بعد عملية غربلة دقيقة يتم فيها حذف بعض عناصرها وتصحيح وتعديل وإعادة تفسير البقية منها بما ينسجم ويتماشى مع نظرة الاسلام العالمية وكل ما يمليه الاسلام من قيم ومفاهيم. كما يجب تحديد علاقة الاسلام بكل وضوح بفلسفة

هذه الفروع، أي بطرقها وأهدافها. كما يجب أيضا أن تستحدث طريقة جديدة يمكن بموجبها أن توجه هذه الفروع، بعد اعادة تشكيلها، لخدمة المثل الاسلامية العليا. وأخيرا، يتعين على هؤلاء المربين والعلماء. بالقدوة التي يضربونها بوصفهم روادا في هذا العمل، أن يعلموا الأجيال اللاحقة من المسلمين وغير المسلمين اتباع آثارهم في توسيع نطاق المعرفة الانسانية واكتشاف أسرار جديدة للسنن الالهية في الخلق، وكذلك ايجاد مفاهيم جديدة تفضي الى تحقيق مشيئة الخالق ومجموعة أوامره ونواهيه ووصاياه بين البشر.

ومهمة اسلامية المعرفة، وأعني بصورة محددة اسلامية فروعها وبمعنى أوضح وضع كتب دراسية جامعية بعد اعادة النظر في حوالي عشرين فرعا منها بما ينسجم والرؤية الاسلامية فان ذلك من أصعب المهام.ولم يفكر أحد من المسلمين _ فيما نعلم ـ حتى الآن بهذه القضية أو يتلمس متطلباتها، ويوضح الخطوات والاجراءات اللازمة لتحقيقها. فكل ما فكر به المصلحون المسلمون السابقون هو اكتساب المعرفة والقوة من الغرب. بل انهم لم يدركوا تعارض المعرفة الغربية مع الرؤية الاسلامية. ان جيلنا هو الذي اكتشف هذا التناقض عندما عاشه في حياته الفكرية، على ان العذاب النفسي الذي ولده هذا التناقض فينا جعلنا نستيقظ مرعوبين مدركين تماما ما تتعرض له ـ أمام أعيننا ـ الروح الاسلامية من انتهاك في جامعات العالم الاسلامي. ولهذا فنحن ننبه العالم الاسلامي الى هذا الشر، ونسعى ولأول مرة في التاريخ الى تطوير خطة توقف سريانه وانتشاره وتتصدى لنتائجه وتعيد التعليم الاسلامي الى نهجه القويم الذي سيؤدي بالتالي ـ إن شاء الله ـ الى تحقيق هدفه الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى.

ومما يؤسف له بشدة ان العالم الاسلامي لازال يفتقر الى مركز يتم فيه مثل هذا المستوى الرفيع من التخطيط والتفكير. وما نحتاج اليه في الواقع هو جامعة تكون بمثابة مركز رئيسي للفكر الاسلامي تتم فيه اسلامية فروع المعرفة[1]، ومن ثم يجري اختيار النتائج في قاعات الدروس والحلقات الدراسية على مستوى مناهج الدراسة الجامعية والدراسات العليا. وقبل قيام المعهد العالمي للفكر الاسلامي وحتى اليوم لم يتصد معهد تربوي واحد في العالم الاسلامي لرسم خطة عمل لمواجهة قضية اسلامية المعرفة واعداد الكتب الاسلامية الجامعية المنهجية في مختلف فروع المعرفة، وتوفير وسائل البحث الضرورية لاعداد مثل هذه المناهج والكتب الدراسية. ومع ذلك يظل المرء يستمع في كثير من بقاع العالم الاسلامي الى الحاجة الى اسلامية التعليم واعداد كوادره ومؤسساته ومناهجه وكتبه. اما على الصعيد الرسمي في كثير من الجامعات والمؤسسات العلمية، حيث القوة التي تصنع القرار الحقيقي، لا يجد المرء أكثر من الكلام الذي لا يبدو انه يستهدف إلا مخاطبة العواطف دون أن يكون له كبير محتوى من واقع العمل والتنفيذ والممارسة في حلقات البحث والدرس.

ان هذا الواجب من أنبل الواجبات، وأهم الفرائض، كما انه الخطوة الأولى على طريق تحقيق الذات، واستعادة الهوية. فأديان العالم ونظمه العقيدية لم تبدأ، كما لم يبدأ الغرب وتبدأ الشيوعية بالنمو والتطور وتحقيق الانجازات بدون مثل هذه القضية التي تنشط همم المؤمنين بها وتحركهم. وليس أمام المسلمين إلا أن يتحركوا بتأثير قضيتهم إذا ما أرادوا أن يصبحوا سادة للتاريخ

---

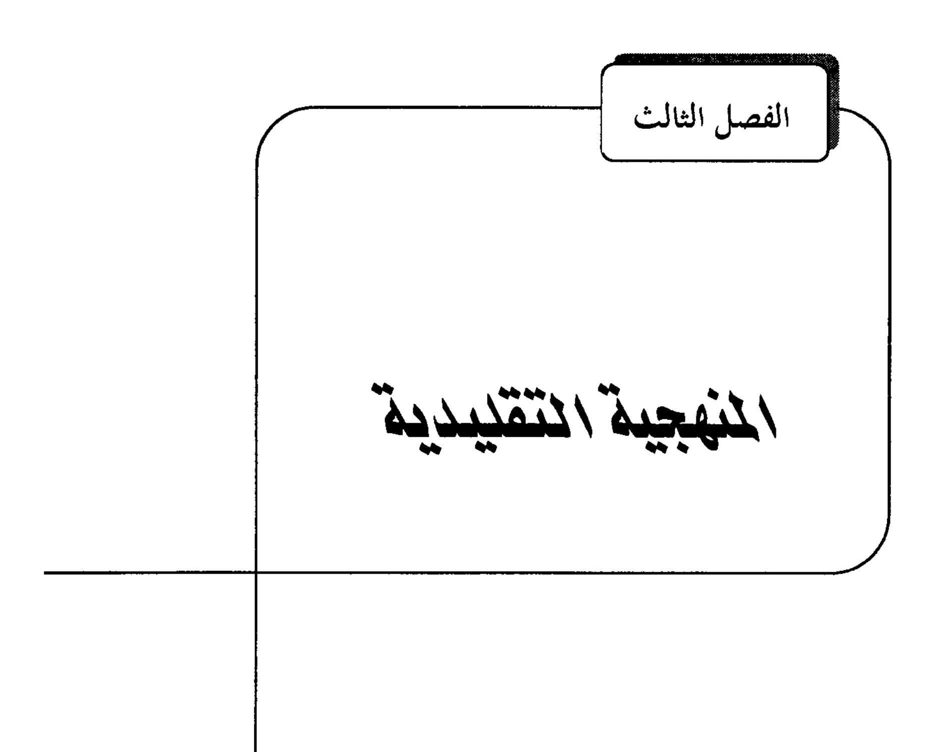
(١) يجري تطبيق مشروع اسلامية المعرفة حاليا في الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية في ماليزيا، وجامعة العلوم الاسلامية والاجتماعية في الولايات المتحدة.

لا عبيدا له. وفوق ذلك فالاسلام ليس مذهبا آخر يتساوى مع هــذه النظريـات، كما ان الاسلام لا يقدم قضيته وعقيدته ولا يعرض دعـواه كقضيـة خاصـة أو كعقيدة ناجمة عن تجربة شخصية أو اختيـار ذاتـي، وبـهذا يمكـن قبولـــها أو رفضها بصورة اعتباطية. بل ان دعوة الاسلام دعوة تخاطب العقل، ضروريـــة وحاسمـة تصلـح لكـل زمـان ومكـان، وجديـرة بـأن يتقبلـها جميـع البشـــر ويستسلموا لـــها ويتخذوهـا شـعارا. وبذلـك لا يمكـن مواجهتـها إلا بالحجـة العقلانية الـتي يجـب علـى المسـلم أن يتقبلـها ويـرد عليـها بالبينـات والأدلـة الاسلامية. كما لا يصح أن يقبل أي جزء من الدعوة الاسلامية، أو صلة الاسلام الوثيقة بأي فرع من فروع المعرفة، بدون أدلة مقنعة. ولكن كل هذا لا يكـون إلا عندما تكون الرؤية الاسلامية قد طرحت دعوتـــها ووطدتـها اسـتنادا الى أكـثر الدراسات دقة، وجسدتها أمام أكـثر مشـاعر الوعـي تمحيصـا، عندئـذ يمكـن رفضها أو مقاومتها، أو كلاهما، بدافع اللاعقلانيـة أو الحقـد. والأولى خاصيـة الجاهل ذي العقلية المشوشة، والثانية صفة العـــدو المتـأصل العـداء، وكلتاهمـا تمثلان ما يدعوه الاسلام بالجاهلية.

هذه اذن المهمة الشاقة التي تواجه المفكرين والقـادة المسـلمين الـتي تتمثـل بإعادة صياغة تراث المعرفة الانسانية برمتـه وفقـا لوجهـة النظـر الاسـلامية. فالرؤية الاسلامية لا يمكن أن تكـون رؤيـة إلا إذا كـانت رؤيـة لشــيء معـين، وبالتحديد رؤية للحياة والواقع والكـون. وذلـك المحتـوى هـو هـدف الدراسـة لمختلف فروع المعرفة. وإعادة صياغة المعرفة على أســس علاقـة الاسـلام بـها تعـني اسـلاميتها، أي إعـادة تحديـد وترتيـب المعلومـات، وإعـــادة النظـــر في استنتاجات هذه المعلومات وترابطها، وإعـــادة تقويـم النتـائج، وإعـادة تصــور الأهداف، وأن يتم ذلك بطريقة تمكن الفروع من اغناء وخدمـة قضيـة الاسـلام

ومن أجل تحقيق هذه الغاية يجب أن تأخذ التصنيفات المنهجية للاسلام ـ أي وحدة الحقيقة، ووحدة المعرفة، ووحدة الانسانية، ووحدة الحياة، وخصوصية الخلق الهادفة وخضوعه للانسان، وخضوع الانسان لخالقه ـ مكان التصنيفات الغربية، وتحدد تصور الحقيقة وتنظيمها. ويجب أيضا أن تحل القيم الاسلامية ـ ونعني بالقيم الاسلامية هنا قيم توجيه فائدة المعرفة لسعادة الانسان ـ مكان القيم الغربية وتفتح وتطور ملكات الانسان العقلية، وإعادة صياغة الحياة بحيث تتجسد فيها السنن الإلهية، وقيم الاسلام في بناء الثقافة والحضارة، والمعالم الانسانية وفي المعرفة والحكمة، والبطولة والفضيلة، والتقوى والورع.

ولمزيد من الوضوح والدقة سنقوم في القسم الثاني إن شاء الله بتناول ما سبق ذكره من المبادئ بشكل أوسع وأكثر تفصيلا.



الفصل الثالث

المنهجية التقليدية

١ – قصور المنهجية التقليدية:

كان من نتائج الدمار الهائل الذي الحقه غير المسلمين بالأمة الاسلامية أبان الحروب الصليبية وغزو التتار بعد ذلك الفرقة والانقسام وتعدد الدول والحكومات الاسلامية، مما جسد المخاوف لدى علماء المسلمين من تلاعب ضعاف النفوس من الحاكمين بأمور الدين، فنادوا بغلق باب الاجتهاد، وعدم جواز أخذ العلم والدين والفقه والتفسير إلا عن صلحاء علماء السلف الذين شهدت لهم الأمة بالقبول، وأرادوا بذلك الحفاظ على هويتهم وعلى دين الاسلام الذي هو أعز ما يملك المسلمون. وللوصول الى هذه الغاية تطرف بعض هؤلاء ومنعوا الأخذ بكل رأي جديد، ونادوا بالإلتزام الصارم بالنصوص الحرفية للشريعة وأقوال متقدمي الفقهاء، وأعلنوا غلق باب الاجتهاد، وبذلك فقد المسلمون المصدر الرئيسي للإبداع في فقه الشريعة الاسلامية. وبما أن الفقه الاسلامي قد أصبح - في نظرهم- بالغاً حد الكمال من خلال فقه السلف الصالح، لهذا اعتبروا ان كل فقه جديد زائد على فقه السلف أو مخالف بدعة وكل بدعة ضلالة. وأصبح الفقه جامداً على الصورة التي بلغتها اجتهادات المذاهب الفقهية المعروفة وقد فعلوا ذلك حماية للإسلام ووجوده. ولم تتمكن الانتصارات الاسلامية اللاحقة فيما بين القرنين الثامن والثاني عشر للهجرة التي تمت في روسيا والبلقان ووسط وغرب أوروبا من القضاء على هذه النفسية وإزاحة هذه القيود. وأدى الاندفاع العام نحو الطرق الصوفية الى مساعدة المسلمين على التغلب على مشاكلهم رغم غياب الاجتهاد كمصدر للإبداع عند المسلمين. وهكذا بقي الفقه الاسلامي نظاماً ودائرة مغلقة حتى

الوقت الحاضر في حين أعطت العلوم والتكنلوجيا الحديثة الغرب القـوة لتحـدي المسلمين وهزيمتهم.

واستطاع الغرب في الأزمنة الحديثة القضاء على كل مـا حققتـه الفتوحـات العثمانية في أوروبا، بل انه استعمر واحتل وقسم العالم الاسلامي كله فيما عـدا ما يطلق عليه اليوم تركيا حيث تم طرد القوى الغربية منها بالقوة، وكذلك اليمن ووسط وغرب الجزيرة العربية حيث لم يكن فيها حينئذ ما يحفز الدول الغربيـة على استعمارها.واستغلت القوى الغربية ضعف المسلمين الى أقصى حد ممكـن وأسهمت إسهاما أساسيا في علة الأمة الحالية التي سـبق شـرحها فيمـا سـبق. وكرد فعل لـهذه الـهزائم والمآسي والأزمات التي فرضها الغـرب علـى العـالم الاسلامي خلال القرنين المـاضيين حـاول القـادة المسـلمون في تركيـا ومصـر والـهند أن يغربوا الأمة بطريق تطبيق النهج الغربي فيها على أمل تمكينها مـن أن تنمو سياسيا واقتصاديا وعسكريا. وقد فشلت هذه المحاولـة في كـل مكـان وضعت فيه موضع التطبيق كما انها – في الواقع– واصلت اثبات فشـلها حتـى اليوم، كما اتضح انه كلما كان الاندفاع في سبيل تطبيقها أشد وأقوى كلما كـان الفشل أعظم وأعمق، كما حدث في تركيا ومصر، ففي تركيا هيأت المجـال لقيـام كمال اتاتورك بإلغاء ورفض كافة المؤسسات والمبـادئ والمعتقـدات الإسـلامية التي تؤثر في الحياة العامة. كما تم ابدال النظام الاسلامي فيها بنظام وتشـريع غربيين. واليوم وبعد مضي جيلين (ستين عاما) على عمليـة التغريـب الشـاملة هذه نجد أن تركيا ما تزال على ضعفها وفقرهـا في كافـة المجـالات مثلـها مثـل البلدان الاسلامية الأخرى. وأهم ما نجحت عملية التغريب فيه في تركيا الى حـد ما هو نـزع الروح الاسلامية لدى الطبقة المتعلمة من طبقات المجتمـع ولكـن لم تحقق –الى جانب مزيد من التدهور والضعف – أي شـيء آخـر. أمـا في مصـر

حيث كان السعي الى التغريب أقل دأبا فقد تم زرع نظـام غربـي لكـن سمـح في الوقت نفسه للوجود والنظام الاسلامي التقليدي بالبقاء الى جانبه. وهكـذا قـام الصراع بين النظامين، وعلى الرغم من الامتيازات الكبيرة التي يتمتع بها النظـام الغربي، من تخصيص الأموال العامة والدعم الحكومي لـه، فقـد فشـل النظـام الغربي في تحقيق أي تقدم أو تفوق بل أدى الصراع بينهما الى مزيد من إضعاف الأمة وإضعاف بعضهما بعضا.

٢ – الفقه والفقهاء:

إن كلمة «فقه» تعني في اصطلاح الفقهاء: «معرفة الأحكام الشرعية العمليـة المكتسبة من أدلتها التفصيلية» والفقيه هو المجتهد والممتلك لـهذه المعرفة، والفقه: بمعناه اللغوي والعرفي المعاصر يدل على التمكن من المعرفة بالأحكـام الشـرعية كافة. وتتوقف هذه المعرفة على تضلع في اللغة العربية، وفي نصوص الأحكام في القرآن الكريم والسنة النبوية مع القدرة العقلية والبراعة الذهنية في الوصـول الى المراد منها. ومن الواضح ان معنى كلمـة فقـه بـالمعنى الاصطلاحـي محـدودة بدرجة كبيرة إذا ما قورنت بالاستعمال القرآني العـام لمـادة (ف. ق. هـ) والتي تتكرر في آيات عديـدة مشـتملة علـى معنـى التفكـير والفـهم، وإدراك الجوهـر والتفسير، بحيث يمكن أن يفهم المراد بها: المعرفة التامة والشاملة بالاسلام. وقد فهم العلماء المسلمون جميعهم المعنى الشامل لتعبير «أصول الفقه» على انه يعني أدلة الأحكام الشرعية والمبادئ الأساسية للفهم الاسلامي للحياة والواقع ومنها – بطبيعة الحال – المبادئ العامة لأحكام الفقه الاسلامي.

إضافة الى ذلك، فان فقهاء الأمـة الأوائـل كـانوا علـى درجـة واسـعة مـن الاطلاع على كل الأمور التي تؤثر في حياة المسلمين. وكان فقهاء القـرون الأولى

رجالا موسوعيين حقيقيين متضلعين بسائر حقول المعرفة من الأدب والشريعة وفكر الفرق الى الفلك والطب وغيرها. كما كانوا هم أنفسهم رجالا متمرسين عرفوا الاسلام ليس كأحكام فقط بل كغاية ونظرية ونظام للفكر والحياة التي يعيشها ملايين البشر في ممارسة حقيقية. ولقد كان هؤلاء الفقهاء يتحلون بفطرة سليمة وبأهم وأسمى مؤهل للنظر الاسلامي ألا وهو حسن التذوق الشرعي وإدراك غايات ومقاصد الشريعة الاسلامية. وإذا كان هؤلاء الفقهاء هم النماذج المثلى للمعالجة الخلاقة لقضايا حياة المسلمين نظرا لسلامة فكرهم وقدرتهم العلمية الفائقة فان تكوين فقيه اليوم وجملة كبيرة من خريجي ما يسمى بالكليات الشرعية والاسلامية لا تؤهلهم مناهج هذه المدارس بما يكفي من المعرفة والمناهج العلمية لما يمكنهم من حمل المسؤوليات التي كان يضطلع بها الفقهاء الأوائل وبقدر من حظ النجاح الذي كان يحققه اؤلئك الفقهاء في توجيه حياة الأمة.

وقد قامت محاولات للإصلاح الذاتي داخل النظام التقليدي نفسه، كان أجرؤها تلك المحاولات التي قام بها كثير من المصلحين في مقدمتهم محمد عبده واستاذه جمال الدين الأفغاني وغيرهم من أهل العلم، ولكن على الرغم من ان المسلمين المتيقظين في كل مكان أيدوا دعوة محمد عبده والأفغاني الى فتح باب الاجتهاد إلا أن هذه الدعوة فشلت لسببين: أولا، لأن المؤهلات التقليدية التي يجب توفرها في المجتهدين بقيت على حالها، وبذلك حصرت صفة الاجتهاد في الأئمة السابقين الذين يحمل علمهم وفقههم خريجو المدرسة التقليدية، أي الذين لم تتوفر في مناهجهم مؤهلات الاجتهاد ولم يؤمنوا أصلا بوجود حاجة لمثل هذا الاجتهاد، مقتنعين – بسبب نوعية تعليمهم – بأن النهج التقليدي القائم مناسب تماما وأن مشكلة العالم الاسلامي تكمن في ضعف الإيمان وتردد الناس

وعزوفهم عن الاسلام وتحكيم قيم الاسلام. أما السبب الثاني فيكمن في التصور بأن المجتهد هو بالضرورة الفقيه أي الشخص الذي مكنته دراسته لكتب الفقه والأحكام الشرعية أن يترجم المشاكل والقضايا الاجتماعية المعاصرة الى مسائل تندرج تحت أبواب الفقه الشرعي وأحكامه وفق مذهب تقليدي أو آخر، وأصبحت قضية الاسلام في المجتمع والحياة هي مهمة تتعلق فقط بمهمة الصياغات القانونية الشرعية مما أدى الى تضييق معنى الاجتهاد وقصره على اعمال الافتاء واصدار الأحكام على أفعال المسلمين وتصرفاتهم في حياتهم اليومية. ولهذا لم يتوجه نظر الفقيه أو المجتهد بالمفهوم التقليدي أو فكره الى النظر الشامل من القاء نظرة على المسألة الاجتماعية ودوافعها وتوجهات حركتها وتفاعلها والحلول والبدائل المطلوبة لها لكي تحقق الرؤية الاسلامية والتنظيم الاجتماعي بمفهوم وبغاية اسلامية. فاعداد الفقيه والمجتهد بالمفهوم التقليدي يشده بعيداً عن مثل هذا النظر ويبقيه سجيناً في دائرة الربط والمواءمة بين الممارسات الاجتماعية القائمة وبين الأحكام التي تتعلق بها مما سبق أن قال به مذهب أو آخر من مذاهب العصور السابقة. هذه التصورات والممارسات العلمية القاصرة في معنى الاجتهاد حتمت العمل على اصلاح المنهج العلمي التقليدي والعمل نحو منهجية علمية اسلامية جديدة لم يستطع كثير من الفقهاء التقليديين ادراك دلالتها وأبعادها في إعادة النظر والفهم الجذري في أصول مصادر الشريعة والمعرفة الاسلامية.

٣ – توهم التعارض بين الوحي والعقل:

ربما كانت أكثر التطورات خطورة في التاريخ الثقافي للأمة هي فصل الوحي عن العقل. وقد حدث هذا – على ما يبدو – بتأثير الفكر اليوناني والمنطق

الأغريقي على بعض المسلمين الذين كانوا متلهفين للاستعانة بالمناهج التي وفرها هذا المنطق من أجل اقناع غير المسلمين بحقائق الاسلام. وهكذا قادهم هذا الفكر والمنطق الى الطريق التي أدت الى الخوض العقيم في الإلهيات من منطلقات اغريقية أدت بعد ذلك الى الفصل بين الوحي والعقل. وقد عاش النصارى واليهود الذين تأثروا بالحضارة الأغريقية قروناً عديدة في ظل هذا الانفصال الثنائي. وأصبح الكثير منهم وسيلة لنقل هذه العلل الى صفوف الأمة وعلمائها ومفكريها. وكان الفارابي هو الذي أعطى هذا الانفصال تعبيره الذي أيده الفلاسفة ضد المتكلمين. ثم قبله بعض المتكلمين الذين جاءوا بعدهم والذين ارتضوا بأن يفسروا العقيدة تفسيراً دفاعياً. ومن ثم سيطر هذا المنطق على النقاش الفكري في عصر التخلف، خاصة بعد ظهور التصوف المتأثر بالغنوصية[1] الذي دعى الى منهجية مقصورة على فئة من الناس مبنية على الإدراك الحدسي، ولهذا لم يلاحظ الخطأ في الفصل بين العقل والوحي. ولم يدرك الكثيرون أن فصل الوحي عن العقل أمر مرفوض تماماً في الاسلام، فهو معاد لروح الاسلام كلها، معارض لصريح القرآن الكريم وصحيح السُنَّة النبوية المطهرة، فالاسلام كرم العقل، وأناط به التكليف، وجعله دليلاً وهادياً ومرشداً. وعلى خلاف الأديان التي سعت الى إرباك فهم الانسان وإخضاع ضميره كي يستسلم الى اللاعقلائية، والى ما هو سخف ينفر منه العقل والذوق السليم. ان دعوة الاسلام دعوة تلقتها العقول بالقبول، دعت الناس جميعاً الى استخدام

---

(١) الغنوصية: «الغنوص» أو «الغنوسيس» هي كلمة يونانية الأصل معناها «المعرفة»، غير أنها أخذت بعد ذلك معنى اصطلاحياً هو التوصل بنوع من الكشف الى المعارف العليا، أو هو تذوق تلك المعارف تذوقاً مباشراً بأن تلقى في النفس القاء فلا تستند على الاستدلال أو البرهنة العقلية.

عقولـهم واخضاع كافة الدعوات الى ملكاتهم النقدية، والتفكير مليـا في البدائـل والتحلي دائما بالقدرة على الاقناع والترابط المنطقي، وأن لا يقولوا إلا الحقيقـة التي يثقون تماما في صحتها، وأن يسعوا دائما الى الانسجام مع الواقع والبعـد عن الظن والحدس والتخمين. ومثل هـذه النصـائح والوصايـا والأوامـر تنبث تقريبا في كل سورة من سور القرآن الكريم. انـه بـدون العقـل لا يمكـن ادراك حقائق الوحي كما لا يمكن قبولـها والاقرار بطبيعتها الالـهية والاعـتراف بـها. بغير العقل لا يمكن التمييز بين دعوى الوحي وبين الدعوات الكاذبة. وعندمـا لا يستند قبول الوحي الى العقل يكون الفهم والقبول اعتباطا وتوهمات نابعة مـن نـزوة شخصية. ولا يمكن لأية نظرية دينية مبنية على النـزوات الشـخصية أن تدعي أنها قادرة على اكتساب قناعة البشرية أو أي جزء يعتد به منـها، ولفـترة طويلة من الزمن. وحين أخذ المسلمون في العصور اللاحقة يركزون بشكل مبالغ فيه على الإدراك الحدسي على حساب العقل فتحوا بذلك الأبـواب أمـام افسـاد العقيدة الاسلامية وانحرافها. وحينما يسد السبيل أمام امكانية التمييز عقلائيـا بين العقيدة وبين ماهو خرافة وطرافة وسخافة فـلا عجـب حينئـذ أن تتسـرب الخرافة والأساطير والحكايات في ثنايا العقيدة وتتصدر كيانها. وهكذا ومثل ذلك تماما فقد أدى التأكيد المبالغ فيه على «العقل» على حساب العقيدة الحدسية الـى افساد «الحياة العقلية» عن طريق تقليصها الى مجرد حيـاة ماديـة نفعيـة آليـة خالية من أي معنى.

٤ – فصل الفكر عن العمل:

في الفترة الأولى للإسلام كان القائد هو المفكر والمفكر هـو القـائد، وكـانت الرؤية الاسلامية هي السائدة، وحدد الحمـاس لتحقيقـها في الحيـاة الانسـانية

والتاريخ البشري سلوك الأمة وغاية توجهها. وكانت هذه الرؤية الاسلامية شاغل المسلمين جميعا، ومسعى كل مسلم واع لسبر أغوار الحقيقة والواقع، يصوغ به نماذج ابداعية جديدة يثرى بها الوجود، والحياة الاسلامية. في تلك الفترة الأولى كان الفقيه في ذات الوقت اماما ومجتهدا وقارئا ومحدثا ومعلما ومتكلما وزعيما سياسيا وقائدا عسكريا وفلاحا وتاجرا ومهنيا. وإذا ما افتقر المسلم في أداء دوره الى خبرة اضافية في أي مجال من المجالات كانت له القدرة المطلوبة ممن حوله وكان كل من حوله على أتم الاستعداد لسد هذا النقص. وكان كل فرد يقدم - متبرعا في سبيل الله - كل ما يستطيعه من اجل قضية الاسلام،كما كان كل فرد يستمد قوته من قوة الآخرين. وكان المسلمون على درجة من الترابط فيما بينهم تجعل ضعف أحدهم يتلاشى أمام تضامن الجميع وتظافر خبرتهم. وبما أن الفكر الاسلامي كان مكيفا بطبيعته لإدراك حقائق الحياة والتعامل مع الواقع فقد أدى ذلك الترابط بين الفكر والحقائق الحياتية الواقعية الى أن يصبح واقع الحياة هو المختبر الذي يسعى الفكر الاسلامي أن يختبر من خلاله عطاءه وقدراته المبدعة، هذا التكيف والترابط في الاسلام بين الفكر وبين الواقع هو الذي جعل الصالح العام للأمة عند كافة أفرادها رجالا ونساء هو بؤرة هذا الفكر ومحط اهتمامه. وإذا كانت تلك الفترة قد شهدت قليلا من النظر الفكري والغيبي والتأملات التنظيرية فلم يكن سبب هذا ان المسلمين كانوا عاجزين عن ذلك، بل لأن الأولوية كانت بالنسبة لمعظم المفكرين المسلمين هي تمكين جماهير الأمة أن تعيش حياة صحية عقلانية ملأى بالفضيلة والازدهار.

ومن ناحية أخرى فان واقع حياة جموع الأمة والذي كان شغل تفكير القادة الشاغل قد استفاد من هذا التفكير المبدع. وجاءت المبادرات والحلول

مستجيبة لمتطلبات الحاجة والواقع، فـازدهرت حيـاة الأمـة في كـل ناحيـة مـن نواحي الفكر والحياة لأن افضل العقول كانت ترعى على الدوام أمـر رفاهيتـها ومصـالحها. ولأن الحلول التي كانت تتوصل اليها هذه العقول توضـع موضـع الممارسة والتطبيق لان العقول التي كانت تفكر كانت هي نفسها تتولى توجه أمر التطبيق والتنفيذ، أو على الأقل كانت على اتصـال وثيـق بمـن يتـولى التطبيـق والتنفيذ.

إلا ان هـذه الوحـدة بـين الفكـر والعمـل لم تسـتمر واختلفـت توجهاتـها وانفصمت عراها فيما بعد، ومنذ اللحظة التي تم فيها هذا الفصام بدأ تدهور كل من الفكر والعمل، وبدأت القيادة السياسية ورجال السلطة يواجهون أزمة بعـد أخرى دون أن يسـتطيعوا الافـادة مـن الفكـر والرجـوع الى اصحـاب المعرفـة للانتفاع بحكمتهم. وكانت النتيجة قيام حالة من التخبط أدت الى عزلة الحكمـاء والعلماء عن الواقع واعراضهم عن القضايا الـهامة للأمة من ناحيـة، والى عـزل القيادة عن منابع طاقات الفكر والحكمة من ناحية أخـرى، والى توسـيع الشـقة فيما بين الطرفين مع مضي الزمن. وساعد ذلك على دفع رجال السـلطة الذيـن كانوا في موقف الدفاع الى ارتكاب مزيد من الأخطاء الفادحة. ومن ناحية اخـرى اتجه المفكرون الذين ابعدوا وأقصوا عن المشاركة الفعلية في إدارة شؤون الأمة الى الانغماس في الفكر المثالي والنظري كفكر بديل للفكر العملي وفكـر الممارسـة الواقعية وكمنطلق للتنديد بالسلطة السياسية وانحرافاتها وبـدأ البعـض يطلـق العنان لإعلاء شأن معايير النظري والمثالي مقابل معايير الواقعي والعملي وعلـى حسابه. وتعرض المفكرون الذين كان لتنديدهم ومواقفهم آثار سياسية الى بطش القيادة السياسية الحاكمة. أما أولئك الذين لم يكن لتنديدهم ومواقفهم أي وزن سياسي فقد شـجعوا علـى التحليـق أبعـد فـابعد في سمـاء الخيـال والابتعـاد

عن الواقع. كما قام فريق آخر من المفكرين بالتهاون والتضحية بشأن المعايير والمقاصد ثمنا لمهادنة السلطة السياسية وارتباطهم بها. وقاد التوتر المتزايد الى حالة من الاستقطاب بين القيادة والعلماء أدت بدورها الى إنهيار الفكر والعمل معا. ففي الوقت الذي اصبح العمل فيه استبداديا ووراثة السلطة اصبحت دموية، هجر الفكر ساحة الواقع التجريبي واستهداف المصلحة العامة الحقيقية للناس ليكتفي بالتعليق على الكتب القديمة أو شرحها، أو بالتحليق الغيبي من خلال التأمل الصوفي. وسرعان ما أصبحت الأمة كلها منغلقة عن قيادتها السياسية وأدى التتابع الطويل لحكم الطغاة، والقادة الفاسدين، ومغتصبي السلطة، والخلفاء الدمى الذين كانوا مجرد ألعوبة في أيدي أصحاب السلطات والنفوذ الحقيقي الى قتل الروح المعنوية لدى الأمة وابعادها عن الساحة السياسية. واحتضنت الجماعات الصوفية الغنوصية الناس، وقدمت لهم التهذيب الذاتي الروحي وهيأت لهم أمر تطوير تجربتهم الغيبية، وعوضتهم بهذا عما فقدوه على مسرح التاريخ. وبهذا كان الدين في أيدي هذا الجماعات الصوفية مهربا من وطن العسف والطغيان الذي لم يعد في الطاقة مواجهته واحتماله.

وبعد أن استبد السلاطين بالسلطة دون مقاومة اتجهت أفضل الطاقات العقلية في الأمة نحو المفاهيم الروحية والشخصية والذاتية التي تمخض عنها التصوف الغنوصي واختفى التكافؤ والتوازن بين الأمور الروحية والدنيوية الذي كان خاصية الفترة الأولى للإسلام وحل محله الفصام بين ماهو روحي وما هو دنيوي،والسعي وراء الروحانيات على حساب الدنيويات، والسعي وراء الآخرة على حساب الدنيا. وعندما فقد الفكر الاسلامي صلته المتينة بواقع حياة الأمة أصبح فكرا محافظا متمسكا بحرفية النصوص في مجال التشريع، وتخمينا

فيما يتعلق بفهم القرآن وتفسيره والنظرة الى العالم، ومعرضا مزدريا للحياة في كل ما يتعلق بمجال الأخلاق والسياسة العالمية، ومحدودا مستغلقا في مجال المعرفة بالعلوم الطبيعية. وكان كبار المفكرين والفقهاء والأولياء الصالحين ينظرون الى السلطة والعمل السياسي على انها دون مكانتهم وانها غير جديرة إلا بالازدراء والاحتقار. وأصبح أول شرط للفضيلة مقاومة كل ماهو دنيوي وتجاهله ليصبح المطلوب فيما بعد هو نبذ الدنيا كلية والابتعاد عنها تماما. وبدا وكأن الأمة قد فقدت قدرتها على الموازنة بين القيم الشخصية والقيم العامة التي كانت سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تضرب لها أروع المثل.

٥ - الازدواجية الثقافية والدينية:

كان الصراط المستقيم، الذي اعتبره المسلمون الأوائل جميعا أملهم ونبراسهم، سبيلا مركزيا واحدا ينبع من الرؤية الاسلامية ويشمل كافة أهداف الانسان ونشاطاته فيه تدفق واحد مترابط من أجل تحقيق الذات الاسلامية في التاريخ. وخلال عصر التخلف وبسبب فصام الفكر عن العقل انقسم هذا السبيل الواحد الى فرعين: سبيل الدنيا، وسبيل الله والفضيلة. وانقسام الحياة الاسلامية الى هذين السبيلين بحيث يتعارض أحدهما مع الآخر على الدوام أدى ذلك الى أن يفسد كل منهما الآخر ويقضي على دوره ومعناه. وانتهى الأمر الى أن يصبح أحدهما جديرا بالإطراء ويشمل القيم الدينية،والآخر مشجوبا ويشمل الحياة المادية بكل قيمها. وتغير كل منهما فأصبح الأول روحانية خاوية شبيهة بالروحانية الفارغة في الرهبنة النصرانية والبوذية. فالروحانية التي لاتهتم بمصالح الجماهير التجريبية، والتي لا تعمل على تحقيق العدالة في أرجاء العالم التي تسودها الفوضى والاستغلال يجب أن تكون روحانية انهزامية انانية،

تنـزع فقط الى خدمة المصالح الدينية لمن يمارسها. وروحانية مثل هـذه تتسـم بالأنانية حتى ان دعت الى خدمة ومحبة الآخرين، لأن اهتمامها الرئيسي ينصب علىحالة الوعي لدى الأتباع السالكين، فالآخرون ومصالحهم عبارة عن وسائل وأدوات للاختبار والتطهير والسمو الذاتي. ولا عجب ولا غرابـة ان استسلمت مثل هذه الروحانية الى إغـراء المعرفـة الروحيـة والتجربـة الغيبيـة وأصبحـت فريسة للخرافات وتجارة المعجزات. ولم يخطر ببال الشيوخ الصـالحين الذيـن أوجدوا الطرق الصوفية بادئ الأمر، أو ببال تلك العقـول النـيرة التـي أمدتـهم بالأسس الفكرية والعقيدية، ان طرقهم سوف تنحرف الـى مثـل هـذه الدرجـة وتقود الى تطوير أخلاقيات وتطلعات تتعارض مع الإسلام. ولكن من المؤسـف ان معظم الجماعات الصوفية – بمختلف طرقها – استسلمت الى هذا الإغراء.

ومن ناحية أخرى، أوجد سبيل الدنيا نظاما خاصـا غـير أخلاقـي لا يتبـع الواجبات الاخلاقية التي اعتبرها ممثلو الديـن الاسـلامي مسـعى خاصـا بفئـة أخرى من المسلمين. وبدون قيم كامنة في النظام ومكونة له فلابد لـهذا النظـام من ان ينحدر، ويصبح مجرد جائزة لكل متنـافس يفـوز بـه. وهكـذا اصبحـت الحكومة والقيادة السياسية والمناصب مجرد أدوات لتعظيـم الـذات والممارسـة الوحشية للسلطة أو لابتزاز المنافع المعنوية والمادية من الناس. وعندمـا أقـامت الإدارة الاستعمارية نظاما تعليميا آخر وبدأت تشجع نمطا حياتيا وفكريا وعمليا مخالفا لما اعتادت عليه الجماهير، اعتبرت هذه الجماهير هـذا التغيـير مـن واقـع الحال، ورغم انه يدعو الى التنديد والإزدراء إلا انه لا يستحق من الأمر انتفاضة جهاد عارمة ضده.

الفصل الرابع

المبادئ الأساسية للمنهجية الاسلامية



إن اسلامية المعرفة على أساس ضروري للإصلاح الفكري والحضور الثقافي والعمراني للأمة، ولإزالة الفصام النكد بين الفكر والتطبيق وبين المثال والواقع وبين القيادة الفكرية والأيديولوجية وبين القيادات السياسية والاجتماعية، وفي نهاية المطاف فهي ضرورية لإزالة الثنائية الموجودة في النظام التعليمي. ولابد لاسلامية المعرفة أن تأخذ في الاعتبار عدداً من المبادئ الأساسية التي تكون جوهر الاسلام، وتكون اطاراً للفكر الاسلامي ومنهجيته ودليلاً لتكوين العقلية والنفسية والشخصية الإسلامية في جهودها العلمية والحياتية.

ان الخلط في الماضي ما بين قضايا علم الكلام والجدل وبين اطار الشخصية الاسلامية والعقلية الاسلامية ومنهجية المعرفة والأداء الحياتي أدى الى تشويهات للشخصية الاسلامية والمنهجية الفكرية والعلمية الاسلامية وتدمير قوة دفع الشخصية الاسلامية وجديتها في أداء دورها العبادي على هذه الأرض في العمل والاصلاح والابداع والاعمار.

ونتيجة للتحديات الفلسفية والثقافية الدينية الطارئة من جراء الفتح ودخول الأمم ذات التراث الحضاري والفلسفي العريق في الاسلام ونتيجة الغبش الذي لحق الرؤية نتيجة الصراعات والتمزقات التي قامت في جسد الأمة الاسلامية منذ عهد الفتنة الكبرى، فقد أدى الجدل الكلامي الى الخوض الفلسفي الغريب على العقيدة الاسلامية وذلك في قضايا مثل مفهوم الذات الالهية والصفات والقضاء والقدر والسببية حيث ان العقيدة الاسلامية في هذا تتميز ببساطة البناء المبني على حقائق الوجود التي أتى بها الوحي وبالقدر الذي يستطيع العقل البشري ادراكه بعيداً عن منهج البناء الفلسفي الظني النظري البشري المحدود والفاسد في كثير من تكهناته وتناقضاته.

فالله سبحانه وتعالى هو الحق والعدل، والواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وليس كمثله شيء، خلق النفوس وألهمها فجورها وتقواها، وخلق الأرض والكون على نسق من السنن والأقدار ليسعى فيهما الانسان بأمانة الاعمار والإصلاح ليلقى حساب عمله وأدائه وقصده.

وهذه المبادئ في حدود العقيدة الاسلامية المبنية على حقائق الوجود التي كشفها الوحي للإنسان هي المبادئ القويمة الحقيقية، لا تلك المبادئ القائمة على احكامات البنائيات الفلسفية الظنية النظرية التي تعجز عن ادراك الكليات الالهية التي يقوم عليها الكون والوجود، ولا ترتكز على مفهوم عدل الحق سبحانه وتعالى وجدية وجود الانسان وسعيه في العمل الحياتي والأعمار وفق مقتضى الحق الذي أودعه الله في فطرة كيان الوجود على أوفى ما تكون جدية العمل وحمل المسؤولية، وطمأنينة التوكل فيما وراء ذلك على مدبر الأسباب وخالق الكون الذي تقتضيه حقيقة محدودية الادراك البشري في هذه الحياة للكليات الالهية التي قام عليها الخلق والوجود.

هذا الاطار هو الاطار الصحيح الممثل لعقيدة الاسلام وفهم السلف الصالح وجدية أدائه وفاعليته في الحياة والوجود على عكس ما انزلق اليه الفكر الاسلامي اللاحق ومنهجيته المشوهة من خلط وتمزق وسخرية من الحياة ومسؤولية العمل والاعمار، ومن التخبط على غير هدى في مجال كليات وجود الكون وما وراء الكون والحياة مما لا مجال فيها للادراك البشري الكلي القطعي الكامل.

وكانت النتيجة ان أدى ذلك الى الانحراف والمسخ والغبش في الفكر والمنهجية الاسلامية والى زلزلة مفهوم علاقة الأسباب والمسببات والأعمال والنتائج وضعف النظر في آفاق الفطرة الاجتماعية والفطرة الفردية وأدى ذلك

بدوره الى سوء فهم دور الوحي في توجيه الغاية والسلوك الانساني وسلبية علاقة الوحي بالعقل الى الحد الذي انتهى اليه خلف الجدليين والفلاسفة حين اسقطوا الراية ليتسلمها نظراؤهم المفكرون والقادة والأمم التي رأت من البعد ما غمت رؤيته على أهل الجدل والفلسفة من المسلمين من قرب.

ولذلك لابد من ابعاد منهجية الفكر الاسلامي والتربية الاسلامية عن مناهج الجدل والفلسفة الفاسدة وانغماساتها النظرية الفاسدة في أمر التفسيرات العقيمة بشأن الكليات الالهية وادخالها في أمر المنهجية الفكرية والتربية الاسلامية التي أفسدت على الأمة حياتها ومسؤولية سعيها في هذه الحياة وأدت الى عجزها عن القيام بدورها في الهداية والقيادة ومجابهة التحديات.

والمطلوب الآن هو القيام بعملية اسلامية المعرفة وإعادة تشكيل العلوم الحديثة ضمن هذا الإطار الاسلامي ومبادئه وغاياته حتى تستعيد الرؤية الاسلامية والمنهجية الاسلامية والتربية الاسلامية والشخصية الاسلامية صفاءها وتتبين معالمها ومسالكها ويستعيد الوجود الاسلامي الفردي والجماعي جديته وفاعليته في الحياة والوجود.

وفيما يلي هذه المبادئ الأساسية التي نرى أنه يجب تفهمها وتمثلها ومراعاتها اطاراً ومنطلقاً وأساساً للفكر الاسلامي والمنهجية الإسلامية وللعمل والممارسة الاسلامية الحياتية:

١ — التوحيد:

إن وحدانية الله تعالى هي المبدأ الأول للإسلام ولكل شيء اسلامي وفحوى هذا المبدأ أن الإله هو الله، وانه لا اله غيره، وانه تعالى هو الواحد الأحد، الفرد الصمد،وانه مطلق الكمال بكل المقاييس، ليس كمثله شيء، وكل

موجود سواه مغاير له، ومخلوق له، هو الخلاق ليس له شريك، بأمره توجد كل الموجودات. هو الحق ومصدر كل حق وكل خير وكل جمال، وإرادته هـي التـي تحدد غاية وجود الكائنات، وهي القانون الذي يحكم الكون والمخلوقـات ويقنـن للسلوك والأخلاق. والتوجه اليه والرغبة اليه هـي التوجـه الـى الخـير والعـدل والحق وهي اسمى الغايات وأسمى مراتب الوجـود، وطاعـة أمـره هـي بداهـة تحقق العدل والحق والخير وهي واجب على كل الكائنات، وعلى رأسها الانسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم، وزوده بـالإرادة التـي بـها يحمـل المسـؤولية والأمانة في التصرف والخيار الحر بين السمو نحو الحق والخير والاصـلاح، أو الانحطاط نحو الباطل والشر والفساد، وأنـاط بالانسـان أمانـة عمـارة الأرض وابداع طاقاتها ليحقق بـالإرادة الحـرة المثـل الإلـهية في إبـداع معـاني الخـير والاصلاح وصور الحق والجمال.

ان يفكر المرء ويعيش واعيا بوحدانية الله معناه أن يعيش واعيا على ربوبية الله الحق وألوهيته في عالم غايته الخير والحق والجمال والاعمار والحيويـة لأن كل شيء فيه موجود بصنعته عز وجل، ولانفاذ ارادتـه، معتمـد في بقائـه علـى ربوبيته ومتجه دائما بطبيعته نحو تحقيق الإرادة الالـهية. في مثـل هـذا العـالم لاشيء موجود صدفة أو عبثا أو فارغا من المعنى. فكل شيء خلقه اللـه بقـدر. وحين يكون الانسان جزءا من عالم هذه صفته فانه يدرك مـن العلاقـات بينـه وبين كل الكائنات ما لا يحده عد، وفوق ذلك كله يدرك انه مخلوق لله ومعتمـد عليه ومدين له، هو - سبحانه - موضع تقديسه وحبه وولائه وطاعتـه. ولكـي يكون المسلم مسلما فان عليه أن يكون وعيه دائما عامرا بذكـر الحـق سـبحانه وتعالى والتوجه اليه. وما دام الله هو الخالق وهـو الديـان فلـن يكـون المسـلم

مسلما حقا حتى يفعل كل شيء كما حددته إرادة الحق وجاء به شرع الله، قاصدا به وجه الله وحده. وكما ان الحياة والطاقة منحة من الله فكذلك كل ما يناله الانسان من الخير والسعادة ثمرة الطاعة لما أمر الله به، وبما سخر الله من الخلق وقدر. هذا هو ما يجب أن تكون عليه الحياة الاسلامية.

ويترتب على ذلك في منهجية الفكر الاسلامي، ان الله هو الحق وهو مبدأ كل شيء، وهو غاية كل شيء فوجود الله - تعالى - وإرادته وأفعاله هي الأسس الأولى التي عليها يقوم بناء كل الكائنات، وكل المعارف وكل انظمتها. وسواء أكان موضوع المعرفة هو عالم الذرة الصغير، أم عالم النجوم الكبير، أم أعماق النفس، أم سلوك المجتمع، أم مسيرة التاريخ، فإن المعرفة الاسلامية تنظر الى موضوع المعرفة من الناحية المادية على أن وراءه عوامل وملابسات تقدمته ومنها انبثق هذا الشيء، أما خلق الأسباب والتصريف الفعلي لها الذي تقع الحوادث عنه وتنتج النتائج منه فمرد ذلك كله الى كليات أمر الله عز وجل ولنا منها في هذه الحياة مسؤولية الإيمان واليقين والالتزام والسعي والعمل وليس القول والجدل والسفسطة والظن والعجز والتقاعس والتقصير والكسل. وبذلك فان المعرفة الاسلامية تعتبر ان كل شيء في نطاق المعرفة انما يحقق غاية أو أخرى أرادها الله تعالى وذلك حتى يصبح نظام الأسباب في هذا الكون نظاما من الغايات على قمتها تقف الإرادة الالهية لتحدد غاية كل موجود فرد، وغاية كل سلسلة من الغايات، وغاية النظام العام كله. وتدرك المعرفة الاسلامية أنه ليس على وجه الحقيقة ثمة موجود أو حقيقة أو قيمة خارج النظام الالهي العام بسلاسله وتشابكاته مصدره وغايته الحق سبحانه وتعالى، وأن أي شيء

يتصور أو يعرف أو يقوم خارج النظام الذي حدده الخالق فهو غير موجـود أو زائف أو لا قيمة له أو أنه مجرد تصور خاطئ في أنه خارج ذلك النظام.

٢ – وحدة الخلق:

أ - النظام الكوني:

إنّ وحدانية الله الحكيم المقدر سبحانه وتعالى تستلزم بالضرورة العقلية وحدة خلقه. كما قال سبحانه في كتابه العزيز: **﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا﴾**[1] فلو كان هناك أكثر من حقيقة مطلقة واحدة لما بقيت هناك أية حقيقة مطلقة. زد على هذا ان الكون حينئذ كان سيتبع توجيهات وتنظيمات مختلفة، وان حدث هذا فلن يكون ذلك هو الكون والنظام الذي نعرفه نحن البشر منتظما. كذلك لن يكن من الممكن لنا - نحن البشر - أن نتعامل مع كون يسوده أكثر من نظام وتوجيه. ان علينا أن نتذكر ان النظام الذي يسود الكون هو الذي بمقتضاه يمكننا ان نتبين وندرك الأشياء في صورة مواد أو خصائص أو علاقات أو أحداث. إن ذلك الاتساق أو الوحدة في النظام الكوني هو الذي يمكننا من ادراك استمرارية المواد كأشياء وتكرر الحوادث كعلاقات سببية. وبدون هذا النظام الكوني لن تكون الأشياء ولا الأسباب والنتائج هي ما يعرف البشر أو يتصورون من أشياء وأسباب ونتائج.

إن الخليقة كل متكامل، والسبب الدقيق هو أنها من صنعة خالق واحد سرى نظامه وتقديره في كل جزء منها. إن النظام الكوني يتكون من قوانين الطبيعة، وهذه القوانين تؤدي وظيفتها في هذا العالم وتسري الى كل جزء أو جانب منه، ماديا أو فضائيا، جسمانيا أو نفسيا، اجتماعيا أو أخلاقيا، كل ماهو

---

(١) ٢١: ٢٢.

واقع يخضع لتلك القوانين وينفذها. هذه القوانين هي «سنن» الله تعالى في خلقه. إن الله سبحانه وتعالى في كليات الأمر والخلق ليس مجرد مصدر تاريخي لهذه القوانين، وأنه خلق الكون والطبيعة ووضع لها النظام والقانون الذي تسير عليه ثم تخلى عنها، بل ان الله هو الصمد المبدئ المعيد المقدر الذي بإرادته تدبر الأمور وبيده مقاليدها. وكل كائن يوجد وكل حدث يقع في الكون انما يتم على ما قضى به أمر الله وقدرت حكمته، وبما أودع في كل كائن من طبع وقوة، وما خص به كل نفس انسانية من ارادة وطبع وقوة تمكنها من الأداء والسعي والعطاء والتغيير وفق ما اقتضت كليات حكمة الله وارادته.

فإرادة الانسان المسؤولة وكل ما أودعه الله فيه من طبع وقوة وقدرة، انما يتحقق وفق ما قضت به حكمة الله سبحانه وتعالى وقدرته. وكل قوة دافعة في الكون انما أوجدها الله سبحانه وتعالى وهو الذي يحفظها وتبقى وفق أمره وارادته، منه بدؤها وبه حفظها واليه مآلها.

فالأسباب في هذا الكون هي أسباب وسنن إلهية مرد وجودها وعلاقاتها وآثارها الكلية اليه، وعلى الانسان أن يسعى في مناكبها وفق طاقته. ومسؤوليته نحو أدائها انما تكون بحسب ارادته وقدرته وهو بذلك في نهاية الأمر إنما يكون منفذا لمشيئة الله ساعيا بأمره في هذه الحياة، ومرده وحسابه على ما كسبت يداه بعد ذلك الى الله.

والبشر على هذا الأساس مسؤوليته في هذه الحياة هي سعي بالخير والحق والاعمار وفق السنن والأسباب التي سخرها الله للإنسان، أما الكليات الإلهية خلف مجمل هذه السنن والأسباب التي سخرها الله للانسان، أما الكليات الالهية خلف مجمل هذه السنن والأسباب فذلك من أمر الله ويتعلق بعلمه

المطلق الذي لا ينازع بشأنه إلا جاهل مستكبر، وتكون مسؤولية الانسان بكرم الله هي على قدر ما يدرك عقله ويقدر جهده من تسخير الأسباب لإبداع شؤون حياته واعمار حاجات وجوده على أساس الخير والحق والعدل. فالله سبحانه وتعالى اكرم الكرماء وأعدل العادلين، ولا يخدع أو يضلل، نظم الكون ليجعله صالحا لأن يحيى فيه البشر ولأن يفهموه، وكذلك لكي يتمكن البشر من ممارسة الخيارات الخلقية التي تواجههم ويبرهنوا - من خلال الأعمال- على مالهم من قيمة اخلاقية في هذا الوجود.

ومن هنا تتضح لنا حقيقة الإرادة الانسانية وحقيقة العمل والسعي الانساني وحقيقة سنن الوجود وترابط الأسباب والمسببات، وجدية الوجود الانساني على هذه الأرض وغايته ومسؤوليته وعلاقة ذلك بإرادة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته وتسييره لهذا الكون وفق مشيئته وحكمته في علاقات كلية عادلة حقة هي كما تدرك من أمر الله، تتعلق بحكمته وعلمه وعدله الكامل المطلق، ولا نكابر في أمر هذه الحقائق أو نطلب من أمر ادراكها ما ليس في طاقتنا ولا متناول ادراكنا وقدرتنا، ايمانا بعدل الله سبحانه وتعالى واستجابة لما نلمسه في انفسنا وفي الكون من حولنامن فطرة وسنن تؤهلنا للأداء والابداع والاشباع وحمل المسؤولية في ثقة وعزم وتوكل لا نلتفت فيه الى الجدل الكلامي ولا الى المبادئ الفلسفية الظنية ولا الى المكابرة الشيطانية في طلب ما ليس الى ادراك تفاصيله من أمر الله وتدبيره من سبيل، نعقل امورنا ثم نتوكل بعد ذلك على الله بعد أن أدينا أمانة المسؤولية الملقاة على عاتقنا في السعي والعمل والاعمار.

إن هذه الرؤية الاسلامية تعني أن المسلم يأخذ الحياة ووجوده فيها بكل عناية وجدية، وان دوره ومسؤوليته أن يأخذ بأقصى الجهد في طلب الأسباب والسنن، ثم هو حين يصعب عليه الأمر، وتغم الرؤية، ويعيى الفهم، وتسد السبل فلا ملجأ للمسلم من الله إلا إليه، يتوجه -بعد أن بذل الجهد - الى كليات صاحب الأمر ومسبب الأسباب، ويتوكل عليه في أمر حاجته وغاية سعيه، وذلك أعلى درجات الجد في الطلب والسعي، فما بعد الجهد والاجتهاد إلا التوكل والتوجه الى الله اللطيف الخبير، فالتوكل على الله جائزة الاجتهاد وطلب للأسباب وليس الغاء للسعي والعمل والاجتهاد وطلب الأسباب، وخير قدوة في هذا المنهج والفهم والخلق حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. حيث كان السعي والكد والعمل والاعمار وطلب الأسباب - عنده - من لب الإيمان وصميم العبادة حملا للمسؤولية وتحقيقا للمشيئة الإلهية، كما أن التوكل لا يتنافى والسعي وطلب الأسباب، وسنن الباري تعالى ومشيئته وارادته أمور عائدة له جل شأنه، وعلمه محيط بكل شيء وحكمته البالغة وراء كل شأن، وما على العبد إلا السعي الجاد المخلص وانتظار لطف الله تعالى وتدبيره بترتيب النتائج. ولا مجال في هذا الفهم للتقصير في العمل أو التقاعس في السعي في طلب الأسباب.

وهكذا، فالاسلام ومنهجية الاسلام لا مجال فيها لفكر التهويمات والعجز والضياع، أو لأصحاب الانحرافات والكهانة والدجل، أو مبرر للسفسطة وسوء فهم النصوص وخصوصيات المواقف وترك المحكم واتباع المتشابه. إن منهجية الاسلام في هذا العصر وفي مواجهة تحدياته ليست إلا انعكاسا مباشرا صادقا لمحكم عقيدة الاسلام في وضوحها وبساطتها واستجابتها لطبع الفطرة بكل

القدرة والفاعلية في فطرة الانسان التي كانت أفعال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحياته وحياة أصحابه الكرام خير قدوة ومثال واضح عليها.

وخلاصة القول أن تجدد الحياة الدائم واستمرارها منذ أن بدأ الله الخلق بناء على نظام السببية وربط الأسباب بالمسببات، والنتائج بالمقدمات، هو في حد ذاته أهم مظاهر قدرة الله -تعالى - ودلائل ألوهيته وشواهد ربوبيته جل شأنه. وان التشبث بالخوارق والخروج على السنن الكونية والقواعد الالهية فيما وراء عزم التوكل الصحيح لا يمثل الاسلام ولا فكر الاسلام في صفائه ونصوعه بل يمثل فترة حرجة من تاريخه جاء خلالها تعبيرا عن الاستكانة والركون الى روح التقصير والعجز والخمول والتواكل.

ب - الخليقة:

صنع الله سبحانه وتعالى وابداعه ﴿**خلق كل شيء فقدره تقديرا**﴾[١]. هذا التقدير هو الذي يعطي كل شيء طبيعته وعلاقاته بالأشياء الأخرى، ومنهجه في الوجود. كذلك، فإن التقدير الالهي يخضع كل شيء لنظام من الأسباب، ولنظام من الغايات فكل شيء له غاية، وهي المسوغ لوجوده في هذا الكون.

فالله هو المنشئ للأشياء والغايات والأسباب والمسببات، وإرادته سبحانه وتعالى هي التي تعطي الكائنات كيانها، وتحدد غاياتها، وتوضح ما هو مطلوب منها، وما هو حسن وما هو قبيح، يرجى أو يجتنب، والعقل بما أودع الله فيه من قوة مدركة للمعاني والأسباب، وما أرسل الله تعالى من رسل وأنزل من

---

(١) ٢٥:٢.

وحي تتكامل وتتكاتف وتتعاون في إدراك كمال الوعي على الغايـات والأسـباب التي تؤدي الى تحقيق العمل الصالح على وجه الحقيقـة في الحيـاة الدنيـا، دون مماراة أو تناقض. وهذا يكون ممكنا إذا استقام فهم معنى العقل ودوره، ومعنى الوحي ودلالته وتكاملهما -معا - في فهم الغايات والأسباب وعلاقاتـهما في هـذا الوجود كما فطره وسخره الخالق سبحانه وتعالى.

وعليه، فان لكل شيء موجود علاقة سببية بكل شيء آخر، وان كان هنـاك شبكة من العلاقات لا تنتهي إلا بالله سبحانه وتعالى. وان البشر مـهما أوتـوا من علم أو قدرة لن يستطيعوا أن يعرفوا سوى القدر المحدود من العلاقات بـين الأسباب والغايات المترامية الأطراف. لكن واجب البشر دون غيرهم من الخلائق ان يجتهدوا دائما في البحث عنها واكتشافها، والتعبير عن آرائهم وارادتـهم مـن خلالـها واحداث الاعمـار الصـالح المطلـوب منـهم في هـذا الكـون بواسـطتها. واكتشاف تلك العلاقات وتقنينها يعني وضع الأسس لمعرفة السنن الثابتة التـي وضعها الله سبحانه وتعالى ولتقديرها وتسخيرها لما يجب أن تسخر له.

ان وجود غاية لكل مخلوق يعمل لتحقيقها، ووجود علاقـات متبادلـة بـين الغايات والوسائل، يجعل من الكون نظاما هادفا نابضا بالحياة مفعمـا بـالمعنى. الطير في الفضاء والنجوم في السماء والأسماك في البحـار والكواكـب والعنـاصر كل تلك اجزاء متفاعلة في النظام الواحد. لا شيء منـها عـاطل أو عديـم المعنـى، حيث ان كل كائن له وظيفته ودوره في حياة الكل. وهي معا تكون بناء عضويـا تتفاعل أجزاؤه وأعضاؤه بطرق لا يزال البشر في بداية الطريـق الـى اكتشـافها بفضل العلم، لكن في أجزاء محددة جدا من الطبيعة. أما المسلمون فـهم يعلمـون جيدا أن الخليقة كيان عضوي، وان كل جزء فيها يخدم غاية ما، حتى ولو كانوا لا يعرفون على وجه التفصيل خاصياتها. وهذا العلم هو ثمرة لتوجيـه الوحـي

لعقولهم لتدرك كليات الكون على حقيقتها وفي حدود امكانات عقولهم ومنطقهم. فهو علم وادراك يمثل الايمان الصحيح بالفهم والتصور الصحيح لكليات علاقات الكون والوجود والأسباب والأقدار كما خلقها الله سبحانه وتعالى وقدرها وأراد لها من علاقات وأسباب وغايات. وحين تواجههم أمور مثل افتراس الذئب للحمل أو أكل الطائر للفراش أو تحول الجسد الانساني الى غذاء للديدان، فانهم يعلمون من ادراك عقولهم للكليات كما يوجهها ويعينها الوحي، ان ذلك جزء من نظام الكون، له دوره ضمن النظام وعلاقاته وأسبابه، وانه يجب أن يتم التفاعل مع الكائنات والأحداث في ضوء معطيات غاية الانسان التي حددها الله له في الحياة والكون: عبادة واصلاحا واعمارا.

فالمسلمون لا يمكنهم ان ينسبوا شيئا للمصادفة أو ما يسمى جهلا بالأقدار العمياء. فكل ما على الأرض وفي الكون مما نعلم أو لا نعلم، نفهم أو لا نفهم، ومما نحب ولا نحب، هو من خلق الله وقدره ونظامه للكون الذي يجب علينا السعي فيه بالعمل والاصلاح والاعمار في حدود الغاية من وجودنا وبقدر إدراكنا لعلاقاته وغاياته. والمسلم حين يرى الكوارث تحل به مهما تكن فواجعها وآلامها ـ بعد ان يكون قد أدى ما عليه من مسؤولية السعي والعمل والاصلاح ـ فموقفه من ذلك الطمأنينة الى العاقبة التي قد لا يدرك دلالتها وقت حدوثها بشأن حاضره ومآل أمره في الدنيا والآخرة.

ومادام نظام الكون من قدر الله فان المسلم لا ينهار أمام الأحداث والكوارث لأنه يعرف أن الله الذي قدر نظام الكون هو في نفس الوقت الحكيم الخبير العليم بالعباد. ولهذا فان التحديات والأحداث والكوارث هي في نظر المسلم جزء من نظام الحياة في العمل والجهاد والاصلاح، ومن امتحان الارادة وتوجهها

وعلاقتها بالله، فكل ما يناله المسلم وما ينال من المسلم هو مصدر شحذ لـــهمة العمل والجهاد والاصلاح ومصدر للتعامل الايجابي المتفائل مع نظام الكون والكائنات، ومصدر لتوثيق التوجه والعلاقة بالله منشئ الكون ومودع السنن وموجه الكائنات ومسخرها لغاياتها. والمسلم يواجه كل ذلك بالعمل والصبر والشكر ينتظر - في كل الأحوال - النجاح والأجر، وقد يخفق في تحقيق غايته المباشرة فينتظر الأجر وتكرار المحاولة، لأنه في كل ذلك يحقق غاية وجوده ومعنى حياته بأداء ما عليه من واجب صياغة الموجودات والأنظمة والمواد لتحقيق ارادة الله -تعالى- في الاصلاح والابداع والإعمار والعمل والبذل والسعي متحملاً أنواع المعاناة صابراً على الأرزاء على صراط من الحق والعدل والخير والجمال، وبذلك تكون المحصلة النهائية للمسلم في كل الأحوال هي مزيد من السعي والبذل والثبات والايمان والتفاؤل. وهذا الجانب من العقيدة الاسلامية هو على وجه التحديد ما يميز عقيدة الاسلام وما تحتاجه البشرية لما يزلزل كيانها ويعصف بنفوس أفرادها من فراغ روحي وقلق نفسي في مواجهة الحياة وتحدياتها ومآسيها التي لا يعينهم على فهم كلياتها ومآلها مختبر ولا معمل.

وواجب الانسان على هذا النحو هو ان يكتشف السنن الالهية في الكون الذي هو منحة الخالق للانسان يحقق فيه ارادته ويقضي فيه حياته، يعمره ويطوره ويسعى في صلاحه ويعبر عن ارادة الخير والعدل والحق ومعانيها في نفسه، ولينعم بخيراته ويستغلها لفائدته ومصلحته في معاشه. وبأن يصونه من عوامل الفساد والتدهور التي تهدف لإفساده وتدميره.

ج - تسخير الخليقة للانسان:

منح الله تعالى العالم للانسان نعمة منه ومجالاً لنشاطه في حياته الدنيا، وجعل كل شيء فيه مسخراً له، بمعنى أنه تحت تصرف الانسان يستخدمه لغذائه وحاجته ومتعته وراحته. وهذا الاستخدام قد يكون مباشراً كما في حالة الغذاء والمتعة، وقد يكون غير مباشر كما يحدث حين تسخر قوى الطبيعة لتنتج ما يحتاج اليه. وهناك تناسق ذاتي بين مفردات الخليقة والانتفاع الانساني. فالحاجات الانسانية جزء من بناء الخليقة، ومفردات الخليقة مصممة بقصد أن تخدم تلك الحاجات. كل مكونات الطبيعة ذات استعداد لقبول تأثير الانسان فيها، ولتحمل التغيير طبقاً لتصرفه والتحول الى أي شكل يرغب فيه، يستطيع البشر ان يجففوا البحار ويستخدموا الشمس ويحركوا الجبال ويزرعوا الصحارى أو أن يتركوا الدنيا كلها خراباً. في امكانهم ان يملأوا الدنيا بالجمال ويجعلوا كل شيء يزدهر، أو أن يملأوها بالقبح وأن يحطموا كل شيء.

ان تسخير الكون للانسان لايقف عند حد. لقد شاء الله تعالى ان تكون العلاقات والأسباب والغايات المتبادلة بين مفردات الخليقة هي مادة هذا التسخير، وبدونها لايكون للتسخير جدوى ولا معنى. فلو كان الانسان لا يستطيع الاعتماد على الأسباب لاحداث نتائجها، أو كانت الوسائل غير صالحة لتوصل الى الغايات لأصبح الانسان كائناً سلبياً ولفقد اهتمامه بالكون وعلاقات الكون ولكف عن أية محاولة لاعماره والسعي بالصلاح في مناكبه وبذل الجهد في منافعه واقامة الأنماط الحياتية الصالحة التي أودعها الله فطرة الانسان وحث الوحي على طلبها وأرشد الى السبل التي تؤدي اليها. «وما دمت مكلفاً فانك مستطيع» هذا المبدأ الذي ينسب الى «كانت» والذي يعد أول مبادئ «ميتافيزيقيا الأخلاق»، يعتبر مسلمة بديهية اسلامية، كان أول من عبر عنها

القرآن الكريم: ﴿**لايكلف الله نفساً إلاّ وسعها**﴾[1] وبدون هذه النتيجة الضمنية الضرورية يصبح العالم اما جامداً عديم الحركة والتغير واما عالما للمجانين، وهو على وجه القطع ليس عالم الجمود، وهو على وجه القطع يجب أن لا يكون عالم المجانين. بل هو عالم الخلافة عن الله في أرضه: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...**﴾[2].

٣ – المعرفة ووحدة الحقيقة:

من المؤكد ان العقل تعرض له الأوهام والضلالات والشكوك، ذلك انه وان كان قد أودعه الله القدرة على تصحيح نفسه، هذه القدرة التي توفر له درجة لا بأس بها من الحماية، لكنه بالنسبة للحقيقة المطلقة - وبسبب قصوره البشري - يحتاج الى تعزيز من المصدر المبرأ عن الخطأ، وهو الوحي. وبمجرد أن ترسى القضايا المتعلقة بالمبادئ الأولية أو المطلقة، فان العقل يكتسب عندئذ قوة بها يستطيع أن يتغلب على ما يعترضه من مشكلات. يجب ان تكون كافة افتراضات العقل الأولية صحيحة مؤكدة بشكل قاطع: بعضها يكون كذلك لأنه بدهي والبعض الآخر لأنه عبارة عن تجارب عامة للبشرية ككل، ولكن هنالك ضرباً ثالثاً غير ممكن ادراكه إلاّ لأولئك الذين تتوفر فيهم الدرجة المطلوبة من الحكمة أو نضوج الرؤية الدينية أو الأخلاقية، وأمثال هؤلاء هم الذين يتوقع منهم - لهذا السبب - أن يروا الحقيقة على وجهها الصحيح. ومن هنا فان ادراك مثل هذه الحقائق والقيم قد لا يكون عاماً بالمفهوم الرياضي، وانما يتطلب نوعاً آخر من المؤهلات الضرورية التي يتعين وجودها. وحيثما لا يتأتى للعقل الادراك

---

(١) ٢: ٢٨٦.

(٢) ٢: ٣٠.

الكامل واليقين الجازم، فان نور الايمان الصحيح يمكن أن يمده بهذا اليقين، بل انه ليلقي نورا كاشفا على سائر الفرضيات الأولية الأخرى كما يضفي مزيدا من اليقين على النظرة الشاملة للكون المبنية على تلك الفرضيات. إن بين قضايا الايمان الصحيح والفرضيات العقلية الأولية التي تصل الى حد الجزم لعلاقة وتناغما واتصالا وتكاملا. وان العقيدة في الاسلام - خلافا للديانات الأخرى القائمة على التسليم الكامل- لا تنفك عن العقل سواء في وظيفتها أو فيما تسهم به. فلا هي فوق العقل وليس العقل كذلك فوقها. ولذا فليس من الاسلام أن نضع الادراك العقلي والادراك الايماني على طرفي نقيض، وأن نخير الانسان.

أما فيما يتعلق بنظرية المعرفة، فان خير ما يوصف به موقف الاسلام هو انه قائم على وحدة الحقيقة. هذه الوحدة المستمدة من وحدانية الله المطلقة، أن «الحق» هو أحد أسماء الله الحسنى، واذا كان الله واحدا بالفعل - كما يجزم الاسلام - فلا يمكن ان تتعدد الحقيقة، والله يعلم الحقيقة كاملة ويوحي من علمه الكامل اليقيني بالحقيقة الى خلقه، فلا يمكن ان يجيء ما يوحيه مختلفا عن الحقيقة الواقعية، لأنه سبحانه هو الموحي وهو خالق الحقائق كلها الواقعيةمنها والمطلقة، والحقيقة التي هي موضوع عمل العقل متضمنة في قوانين الطبيعة التي هي سنن الله في خلقه، وهي بأمر الله سنن دائمة ثابتة، ومن هنا يمكن أن تكتشف وتقنن ويتم التعامل الانساني معها وتستخدم للوفاء بمسؤولية الانسان في الاصلاح والاعمار وخدمة مصالح الانسان.

والوحي - بجانب حديثه عن وجود الله وعن الخلق - يبين لنا ويرشدنا الى جوهر حقيقة القوانين الطبيعية أو السنن الالهية التي يسير الكون على أساسها والى الغاية منها. ومن الواضح أنه لا يمكن أن يكون هنالك ارشاد أو بيان أو تعبير يتعلق بتلك القوانين أصدق من بيان خالقها ومدبرها. ومن هنا، فان النظر

العقلـي والمنطقـي الانسـاني يقتضـي انـه لا يمكـن أن يوجـد أي تنـاقض أو اضطراب. هذا التطابق المنطقي بين العقل والحقائق المطلقة والواقعية ومـا يـأتي به الوحي، هو اخطر مبدأ عرفته نظرية المعرفة.هـذا التطـابق قـائم علـى ثلاثـة مبادئ عليها ترتكز المعرفة الاسلامية كلها:

الأول: ان وحدة الحقيقة المطلقة تفرض انه لا يوجد تعـارض بـين الحقـائق الواقعية وما يأتي به الوحي. فكـل مـا يقـرره الوحـي لابـد ان يكـون صادقـا منسجما مع الواقع موافقا له، اذ لا يتصور ان يكون الله - تعـالى - جـاهلا أو غاشا أو مضللا لمخلوقاته. وعليه، فان ما يبينه لـهم لا يمكن ان يتعـارض مـع حقائق الواقع، لأنه ما أنـزله اليهم إلا للارشاد والتعليـم والـهداية والتوجيـه. فإن ظهر أي تفاوت بين الوحي والواقع، فان على المسلم أن يراجـع دقـة فهمـه للوحي، كما عليه أن يستوثق من سـلامة كليـات وجزئيـات ادراكـه الصحيـح لحقائق الواقع مادام يؤمن بمبدأ وحدة الحقيقة المطلقة، هذا المبدأ هو الذي يحمي المسلم من خطـر التـأويلات والتفسـيرات المتسـرعة أو المغرقـة في المجـازات أو المعتمدة على معان باطنية لا سند لـها سوى الفـهم الشـخصي التحكمـي، كمـا يحميه من ضحالة الفكر وسـذاجة النظـر في سـنن الطبيعـة وفطـرة الكائنـات وحقائق الكون. ان فهم معاني الوحي في الاسلام يقوم على ركـيزتين صلبتـين: العربية بمعجمها ونحوها ثم الحقائق الواقعيـة، وكلاهمـا محفـوظ منـذ نـزل الوحي، ولـهذا السبب لم يعرف الوحي القرآني مشاكل تأويله مـن حيث هـو، وانما كل مسائل التفسير تدور حول امور لغوية تتصل بالمعجم أو بـالقواعد أو تتصل بنجابة الفهم وسلامة الفكر والتجربة وغزارة العلم والمعرفة.

الثاني: ان وحدة الحقيقة المطلقة تفرض أنه لا يوجد تعـارض أو خـلاف أو تفاوت مطلق بين العقل والوحي. كما ترفض رفضا قاطعا فكرة انه لا يوجد فهم

أو مبدأ أو علاقة أو حقيقة أو بعد أعلى يمكن أن يزيل التناقض. ان الانسان يبحث في الطبيعة ويحاول أن يكتشف السنن والقوانين التي أوجدها الخالق في الكون وكثيرا ما يخطئ فيتوهم أو يظن أنه قد أمسك بالحقيقة مع انه كان على خطأ. مثل هذا الموقف قد يخلق تعارضا - في الذهن - بين العقل والوحي. لكن وحدة الحقيقة ترفض هذا التعارض وترى انه وهم، وتطالب الباحث بالعودة الى النظر ثانية في معطياته وفحصها من جديد. فقد يكون سبب التعارض الظاهر بين العقل والوحي يرجع الى تعثر أو خطأ أو فساد في فهم الوحي، كما قد يرجع التعارض الى الخطأ أو فساد فيما انتهى اليه العلم أو العقل من نتائج، وفي مثل هذه الحالات، وان كانت في تاريخ الفكر والحضارة الاسلامية نادرة ومحدودة، يحسن بالباحثين أن يعودوا الى معطياتهم ويفحصوها ثانية، وباعادة النظر فيما توصل اليه الفكر الانساني في فهم الوحي أو فيما توصل اليه العقل الانساني في ادراك الحقائق الواقعية والسنن الكونية يتم تمحيص الفهم وشحذه ورعاية المصالح وتحقيق الغايات المقصودة. واستنادا الى وحدة الحقيقة لابد أن يتم على المدى تجلية الحقيقة وادراكها وحل التناقض الوهمي بين مفهوم الوحي ومسلماته ومدركات الحقائق الواقعية ونظرياتها.

الثالث: ان وحدة الحقيقة المطلقة، او طبيعة قوانين المخلوقات والسنن الالهية، تفرض أن باب النظر والبحث في طبيعة الخلق أو في أي جزئية منه لا يمكن أن يغلق، وذلك لأن سنن الله في خلقه غير محدودة، فمهما عرفنا منها، ومهما تعمقنا في هذه المعرفة، فلا يزال هناك المزيد منها ليكتشف ويسخر. ومن هنا، فان الاستعداد لقبول الجديد من المدركات والبراهين والاصرار على متابعة البحث هي خصائص لازمة للعقل المسلم الذي قبل ووعى مبدأ وحدة الحقيقة. فالموقف الناقد لكل الدعاوى الانسانية والبحث الدائب وراء قوانين الطبيعة التي

لاتكون نهائية أبدا، هما في ذات الوقت شرطان لازمان للمنهج الاسلامي وللعلم الأصيل. ومن هذا المنطلق، فان أقوى حكم يبقى دائما مؤقتا، ويظل صالحا حتى تظهر أدلة جديدة تشكك فيه او تفنده أو تؤكد صحته. ولهذا فان اعلى حكمة، وأوثق قرار يتوصل اليه العقل المسلم يجب أن يعقبه هذا التأكيد وهو قولهم «والله أعلم».

٤ – وحدة الحياة:

أ – الأمانة الالهية:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال: إني أعلم مالا تعلمون. وعلم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة، فقال: انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال: يا آدم انبئهم بأسمائهم، فلما أنبئهم بأسمائهم، قال: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فسجدوا...**﴾[1]. وفي آيات أخرى من القرآن يقول الله تعالى: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا**﴾[2]. ويقول: ﴿**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون**﴾[3]. ﴿**وهو الذي خلق السماوات**

---

(١) ٢: ٣٠ – ٣٤.

(٢) ٣٢: ٧٢.

(٣) ٥١: ٥٦.

والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا...﴾[1]. ويقول: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا...﴾[2]. هذه النصوص السابقة من القرآن الكريم وسواها تجيب، في كل آن، على التساؤل عما إذا كان - أو لم يكن - هناك سبب يفسر وجود الانسان. والاسلام يؤكد كل التأكيد أن لوجود الانسان سببا وان هذا السبب هو عبادة الله تعالى والاصلاح في الأرض وفقا لما اقتضته ارادة الخالق الحق. ان الارادة الالهية على ضربين: ضرب من باب القدر وهو أمر متحقق حتما ومن هذا الضرب السنن الالهية التي يجري الكون على أساسها وهي قوانين الطبيعة وفطرة الكائنات. وهذه السنن ثابتة ومتحققة على مستوى الكون كله. ومن الممكن أن تفهم عن طريق العقل أو عن طريق الوحي أو عن الاثنين معا. وقد أوجب الله على الانسان أن يبحث عنها وأن يفهمها ويقننها من اجل المعرفة ثم يستخدمها لصالحه واداء رسالته.

أما الضرب الثاني فهو من باب القضاء وهو يتحقق فقط عن طريق الحرية والاختيار، أي عندما تتحقق في وضع يكون فيه تحقيقها أو عدم تحقيقها، امكانيتين متميزتين. وتلك هي القوانين الخلقية. انها تتعايش مع قوانين الطبيعة، بمعنى انها تتحقق دائما في سياق من الأشياء والأشخاص والعلاقات في العالم الواقعي، لكنها تنتمي الى ضرب يختلف عن الواقع. انها عملية أولويات. فكونها تصبح جزءا من الموقف الواقعي وتتحقق من خلاله أولا، أمر يعتمد على تحقق ذلك الموقف، أو على المتطلبات الخاصة بهذه القوانين الخلقية. انها تتطلب

(١) ١١: ٧.

(٢) ٦٧: ١ - ٢.

ممارسة الشخص لارادته ممارسة حرة. ولهذا فان «السماوات والأرض والجبال» عجزن عن حمل «الأمانة» الالهية لعدم وجود هذه الارادة لديهن. وحملها الانسان لأنه دون باقي المخلوقات وهبه الله الآرادة ويتمتع بهذه الحرية الأخلاقية. وهذه الامكانية لديه جعلته في وضع أسمى من الملائكة الذين لا يتمتعون بالحرية في أن يطيعوا وألا يطيعوا. وهذا هو السبب في أمر الله لهم أن يسجدوا لآدم، فكان انعدام حرية الارادة لديهم سببا في انزالهم عن مرتبة الانسان. هم كاملون ويستطيعون فقط أن يطيعوا أوامر الله. انهم يقدسون الله ويسبحونه دائما ولا يعصون له أمرا. وعلى هذا، فان طاعة الانسان لله أعلى قيمة من طاعة الملائكة، وما ذلك إلا بسبب انها تصدر عن انسان منحه الله بحكمته وسابق مشيئته القدرة على الشر والعصيان مثل قدرته على الخير والطاعة. فاعراض مثل هذا الانسان عن طريق الشر، أو عما هو أدنى من الخير أو المادي النفعي الأناني البحت، ثم اتجاهه بمحض اختياره الى فعل ما يتطلبه القانون الأخلاقي، انما هو احراز لقيمة أسمى وغاية أصح وأشمل وأنبل. ان الحياة الأخلاقية ليست إلا ضربا من الحياة أعلى وأنبل وأعظم تتطلب في هذه الأرض السعي والاصلاح والاعمار بالحق والعدل والخير. وإن النمط الأعلى من الارادة الالهية يدخل التاريخ ويصبح واقعا حين يختار البشر في حرية أن يحققوه. ومن هنا، كان للانسان في نظر الاسلام هذه المكانة العظيمة الهامة في انه يعتبره وصلة كونية أساسية بين الارادة الالهية والواقع الحقيقي. وواضح ان وجوده بهذا المفهوم رفيع الشأن عظيم الأهمية يحقق في هذا الكون مقتضى الارادة الالهية في الاصلاح والاعمار على نسق معاني الخير والحق والعدل.

ب - الخلافة:

إن حمل الانسان للأمانة الالـهية يجعله في مقام الخلافة أو النيابة عن اللـه وتتمثل خلافته في انفاذ القوانين الأخلاقية التـي تعتـبر هـي والقوانـين الدينيـة الاسلامية شيئا واحدا، وان كانت الأخيرة تتحكم كذلك في الشعائر التعبدية وهي قليلة. لكن حتى هذه الشعائر عند المتأمل لـها جوانب ليست تعبدية أو أخرويـة محضة، ولكن لـها _من حيث دلالتها وخصائصها وآثارها _ علاقة قويـة بـهذه الدنيا. أما باقي التشريعات الاسلامية الدينيـة أو الأخلاقيـة فكلـها عبـارة عـن ممارسات فعلية للحياة والوجود والعمل. وما تضيفه هذه القوانين للممارسـات الفعلية انما هو الصفـة أو المنظـور أو الطريقـة التـي يتـم بـها تصريـف تلـك الممارسات المتشابهة. ومن الطبيعي أن يرغب الناس وأن يطلبوا المتع والخـيرات وأن تهوى نفوسهم وأن يحبوا وأن يتزوجوا وأن ينجبوا؟ وأن يسـعوا في طلـب المـال والـثروة والقـوة والحكـم.. الـخ، والاسـلام لا يـرى في هـذه النـزعات والتوجهات والرغبات إلا تعبيرا عن أصل الفطرة في النفوس والمجتمعات ولذلـك فهو يحب لكل هذه الأنشطة أن تزدهر وتستمر، والاسلام لا يشـجبها ولا يـود لـها ان تحد وتحارب أو أن تتوقف كما هو شأن النصرانية والبوذيـة. كـل مـا يطلبه الاسلام من الناس أن يقدموا على الأفعـال بدوافـع سـليمة وأن يؤدوهـا بطرق قويمة. الدافع السليم هو أن يبتغوا بـها وجـه الحـق سـبحانه وتعـالى، والاسلوب القويم هو أن يؤدوها بالعدل والاحسان بحيـث تـؤدي الـى تحقيـق غاياتها النفعية والأخلاقية دون أن يلحق بها فساد وضرر ونتائج غير مرغوبـة أو غير عادلة أو غير أخلاقية تعارض غاياتـها السـامية في الاصـلاح والاعمـار. ومن منطلق مبدأ وحدة الخلق يقرر الاسلام عدم الفصل بين الدين والدنيا. فمن وجهة نظر الاسلام توجد حقيقة واحدة فقط لا حقيقتان كما هو شـأن الأديـان

التي تقسم الحياة الى قطاعين: قطاع ديني قدسي وقطاع زمني دنيوي (لاديني). ففي الاسلام ليس هناك شيء مقدس بهذا المعنى سوى الله. كل شيء في هذه الدنيا في نظر الاسلام مخلوق وليس مقدسا وهو يفترض أنه وجود ووسائل مقصودة مادامت من صنع الله. وغايتنا وطريقتنا في أداء ما نفعل هي التي تحقق أو لا تحقق المقاصد الدينية أو الأخلاقية لما نفعل. فان أدينا الفعل بالغاية والطريقة الاسلامية الاخلاقية الصحيحة فالفعل خير، وإلا فهو شر. وعلى هذا فان أفعال الانسان وحده هي التي يمكن ان تكون خيرا أو شرا بناء على ما نقصد اليه وما تؤول اليه من تحقيق ما أمر الله به من العدل والحق والخير والجمال والسعادة أو العكس بالعكس. وعلى هذا فصفة «التدين» في الاسلام لا تعني قطعا أن ينسحب الانسان من الممارسات المعتادة في الحياة ولا أن يقتصر على الأعمال الخالية من أي تأثير أو قيمة نفعية. انما أمر الدين الاسلامي هو ممارسة كافة الأنشطة الحياتية والعمرانية ولكن بالغاية والطريقة الصحيحة، فكل فعل ونشاط حياتي هو فعل ونشاط ديني اسلامي إذا توجه الى الغاية الصحيحة وبالأسلوب الصحيح. وعلى هذا الأساس يبقى الاسلام ملتحما بواقع الحياة والتاريخ. وفي خارج نطاق الحياة والتاريخ ليس ثمة فضيلة ولا تقوى، بل ولا اسلام. قد ترى النصرانية والبوذية الدين في غير مجريات الحياة والتاريخ، وقد تفرضان اذلال النفس والتمسك والرهبنة والتضحية، بل تجميد تلك المجريات نفسها. انهما تفعلان ذلك لأن مجريات الحياة والتاريخ في نظرهما أهل للشجب على أساس أنها شر ومحكوم عليها بالهلاك. فالمسيحية تؤمن بأن الخليقة «آثمة» و «شر» و «لا خير فيها»، وترى الخلاص من ذلك في الايمان بالمسيح وتقليده. كذلك، فان البوذية تؤمن بأن الخليقة «شر» لا شيء

فيه سوى الألم والمعاناة وتفرض انكار الذات والحياة وتعتبر ذلك بابا للخلاص من مجريات الحياة والتاريخ.

أما الاسلام فانه ينكر مثل هذه المسلمات المسبقة التي تلعن الحياة والتاريخ، ويرى أن الله سبحانه وتعالى قد أوجد الخليقة لغاية طيبة يتأتى تحقيقها بالإخلاص لله وطلب الخير والعدالة للبشر. والمشاركة في مجريات الحياة من أساسيات نظرة الاسلام للإنسان. لقد عين الله سبحانه وتعالى للانسان هدفين ليحققهما. الأول، ان على البشر أن يسعوا في أرجاء الكون وما سخره الله من السنن الكونية، وان يعمروه لكي يصبح بكل طاقاته في خدمة الارادة والوجود والابداع الانساني والاستجابة لحاجات الانسانية، سواء كانت حاجات مادية (من طعام ومأوى وراحة وانجاب) أو خلقية أو فكرية أو جمالية. الثاني، ان على البشر في عملية توجيه الخليقة نفسها واعمارها أن يستعلوا بالقيم الخلقية فينتقوا منها - للدخول في عمليات التوجيه تلك وعلى أسس أخلاقية - ما يحقق ما يقتضيه الإخلاص لله وتحقيق الخير والعدالة للبشرية.

ان مضمون «الأمانة» الالهية، وبالتالي مضمون «الخلافة» هو بناء الثقافة والحضارة والسمو بهما، ان محور «الخلافة» هو الاعمار وهو تحقيق السلام والأمن على الحياة والممتلكات وتنظيم البشرية في مجتمعات منظمة قادرة على انتاج حاجات الانسان وتوفير الطعام وعلى معالجته وتخزينه وتوزيعه على الجميع بشكل كاف كما ونوعا، وتهيئة المأوى والدفء والراحة والاتصالات واليسر، واعداد ما يكفي من الأدوات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف وتنميتها، وأخيرا تهيئة الفرص للنمو والنضج والتعليم وتحقيق الذات، وللتمتع الترفيهي والجمالي الذي تتطلبه فطرة الانسان. وهذا مرادف لإقامة ثقافة وحضارة

مسلمة ولبناء الحياة والكــون واعمارهمــا وترقيتــهما وفقــاً لمقتضـــى ارادة الله لتحقيق معاني الخير والحق والعدل على هذه الأرض وفي مجتمعات البشر. لقــد أمر الله تعالى بأن يتم كل هذا وأعلن ان ذلك هو السبب الحقيقــي لخلــق العــالم، والدافع الالــهي الأسمى من وراء كل هــذا هــو تمحيـص الارادة البشـرية، وأن يبرهن البشر على أهليتهم من الناحية الأخلاقية على القيام به. وفي امكانـــهم ان يحققوا ذلك بأن يمارسوا أنشطتهم العادية في الحياة باسم الحق تعالى وخالصــاً لوجهه وتنفيذاً لمقتضى ارادته، وأن يحرصوا على اقامة مــيزان الحــق والعــدل خلال ذلك كله لقد فهم المسلمون بحق ان هذه «الخلافة» عمل سياسي في المقــام الأول، وكثيراً ما ربط القرآن الخلافة باقامة السلطان السياسي: ﴿**ثــم جعلنــاكم خلائــف في الأرض مــن بعدهــم لننظــر كيــف تعملــون**﴾[1]. وبتحقيــق الأمـــن والســلام: ﴿**وعــد الله الذيــن آمنــوا منكــم وعملــوا الصالحــات ليســتخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لــهم دينهم الذي ارتضـــى لـــهم وليبدلنهم مـــن بعــد خوفــهم أمنــاً**...﴾[2]. وبمقاومــة أنصــار البــاطل الداعــين الى الفساد وأعــداء الحــق المحــاربين لله ونــوره، وتوريــث ســلطانهم لعبــاد الله الصالحين وخلفائـــه: ﴿... **قــال عســى ربكــم أن يــهلك عدوكــم ويســتخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون**﴾[3]. ﴿... **فــأوحى اليــهم ربــهم لنــهلكن الظــالمين، ولنســكننكم الأرض مــن بعدهــم ذلــك لمــن خــاف مقــامي وخــاف وعيـــد**﴾[4].

---

(١) ١٠: ١٤.

(٢) ٢٤: ٥٥.

(٣) ٧: ١٢٩.

(٤) ١٤: ١٣ – ١٤.

والعمل السياسي، أو المشاركة في العمليات السياسية كانتخاب الحاكم أو بيعته وتقديم المشورة والنصيحة للحاكم ووزرائه وترشيد تصرفاتهم ونقدهم ومساءلتهم كل ذلك ليس مرغوبا فيه فقد، بل هي واجبات أولية دينيا وأخلاقيا (كلكم راع ومسؤول عن رعيته) [1] وإهمال هذه الواجبات يعني الوقوع في الجاهلية كما علمنا وأرشدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو لتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم بعضا] [2].

وتعتبر المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية للمسلمين جزءا لا ينفصل عن العقيدة نفسها. فاذا كانت المسيحية تعتبر العمل بالسياسة شرا مستطيرا وتحذر من المشاركة فيه، فإن الاسلام يعتبر ذلك أمرا جوهريا ويحرم التخلي عنه. والأمر نفسه، وبتأكيد أشد، صادق بالنسبة للاعمار وبناء الثقافة والحضارة. فالاسلام يعتبر أن بناءهما هو الثمرة الأساسية له. ولهذا فان تخلي جماهير المسلمين في عصور الضعف عن المشاركة في النشاط السياسي لما يتناقض كلية مع معايير الاسلام ومقاصده.

كذلك، فان المبدأ نفسه يصدق على متطلبات السلام والأمن، وهما أثمن جائزة يسعى اليها العالم الاسلامي اليوم. فكل مسلم يجب أن يأمن على حياته وممتلكاته وعلى كرامته الشخصية ومكانه في المجتمع. وتوفير هذا المطلب من أولى الواجبات الاجتماعية. ومن أجل هذا، طلب الاسلام من كل مسلم أن يكون

---

(١) البخاري ١٣/٤٥و٤٦ في الفتن، والترمذي رقم ٢٢٦٣ في الفتن، والنسائي ٨/٢٢٧ في القضاء.

(٢) أبو داود. رقم ٤٣٣٦ في الملاحم، والترمذي رقم ٣٠٥٠، وابن ماجة رقم ٤٠٠٦، في الفتن.

يقظاً وأن ينظم ويدفع الى أن يعمل على تحقيق هذا الهدف لنفسه، وكذلك لأفراد أسرته ولجيرانه ولكل اخوانه من المسلمين: ﴿**أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾[1].

ج - الشمولية:

ان منهج الاسلام في الاعمار والاصلاح وبناء الثقافة والحضارة منهج شامل، كما يجب أن يكون ان فهمناه حق الفهم. وهذا الشمول هو من الخصائص الأساسية للشريعة. فكل جانب من الحياة الانسانية له غايته ومقصده ومفهومه وحكمه الملائم في الاسلام. والحكم قد يكون ملزما كما في «الواجبات» و «المحرمات» أو غير ملزم كما في الارشادات «المندوبة» و «المكروهة» و «المباحة». المهم أن لاشيء يند عن أحكام الاسلام أو يخرج عنها. حقا ان دائرة «المباح» في اللاسلام واسعة، لكن سعتها ليست دليلا على اخراجها من دائرة توجيه الاسلام، وانما سببها ان المباحات تقع خارج نطاق «المطلوبات» المحددة، سواء أكانت «الزاميات» كالواجبات والمحرمات، أو «افضليات» كالمندوبات والمكروهات. وخارج هذا النطاق تقع التوجيهات والمفاهيم والقيم والثقافة وطرائق المعيشة، وهي لا تقل أهمية في نظر الاسلام عن قطاع «المطلوبات» التي تعتمد في الحقيقة على التربية الموفقة، فهي تمثل المنطلقات الأولية وبدونها تصبح غير واردة. فلا شيء يمكن فرضه بالقوة مالم تكن الجماهير قد تربت عليه من قبل وسبق اقتناعها به.

ومن هنا، فان واجب المفكر المسلم أن يعمل على تحقيق اسلامية الحياة، وان يحدد نظريا وتطبيقيا علاقة الاسلام بكل جزئية في الحياة الانسانية. ولقد

---

(١) ٦: ٨٢.

أوضح القرآن ذلك بالفعل في عدد من ميادين النشاط الانساني، وذلك عن طريق تحديد مكانة الأفضليات والمباحات، كما في التحية وخفض الصوت والاستئذان عند الدخول وسرعة الانصراف بعد تناول الطعام (عند الغير) واحسان معاملة الوالدين ومن يكبروننا ... الخ. وقد بذل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما في وسعه لاستكمال التطبيق سواء بالارشاد أو بالقدوة العملية في مجالات كيفية الأكل والشرب والمحافظة على النظافة والترويح عن النفس ومعاملة الجيران ... الخ. وأسلوب الحياة الذي قرره الاسلام تفصيليا في العصور الأولى وما تفرع عن تلك التوجيهات القرآنية والنبوية، نراه اليوم بحاجة الى اعادة تعريف وبلورة واستكمال بحيث تغطي مالم يكن معروفا من الأنشطة والوسائل والامكانات حينذاك، أو تصبح أدق تطبيقا على ما ترتب على التمدن الحديث من مجالات تمتد من الكماليات الى الضروريات. مثال ذلك: مجالات العلاقات الاجتماعية والسفر والنقل والترفيه والفنون السمعية والبصرية ووسائل الاتصال الجماهيري وغيرها من الميادين التي تحتاج الى أن تمتد اليها توجيهات الاسلام.

٥ – وحدة الانسانية:

مادامت الوحدانية صفة لله عز وجل، وهو سبحانه الخالق، فلابد ان تحكم صفة التوحيد الالهي علاقة الله بكل البشر لأنهم جميعا خلقه. ومن الطرف الآخر لابد للبشر أن يرتبطوا جميعا كمخلوقين بخالقهم، ولا فرق إلا بالتقوى والعمل الصالح حقا، ان البشر يمكن أن يتفاوتوا في الخصائص من العنصر واللون والبنية والشخصية واللغة والثقافة، لكن أيا من هذه الخصائص لا يمثل قيمة وجودية، بمعنى أن يجعل من الشخص كائنا مختلفا، كما لا يستطيع أي

منها أن يؤثر في وضع الشخص كمخلوق أمام الله سبحانه وتعالى. فهي أمور وصفات ليست أساسية أو هامة في علاقة مخلوقية الشخص لله، فهذه الخصائص السلالية العرقية التي تحدد معالم شخصية صاحبها وسلوكه قد يكون لها دور في امتيازه أو انهياره أخلاقياً، وهو أمر كثير الوقوع، لكن دورها في تحديد النتائج الاخلاقية ليس ضرورياً ولا نهائياً ولا مطلقاً. فليس من الضروري أبداً أن شخصاً ذا تركيبة خاصة منتخبة من تلك الخصائص يكون ذا قيمة خلقية عالية أو هابطة. فجوهر بناء وجود الشخص وأدائه الانساني يجب أن يبقى حراً الى الحد اللازم لحمل مسؤوليته وعدم سيطرة تلك الخصائص على ارادته وأن يكون قادراً على الخيار في أن يتبع قوتها الموجهة أو أن يخالفها بطريق تحويل تلك القوة الى غايات اخرى.

هذا المبدأ هو السبب الذي يقف وراء الحقيقة الالهية التي قررها القرآن الكريم: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، ان اكرمكم عند الله اتقاكم** ...﴾[1]. ان الانتماء الى نوع (ذكر أو أنثى) أو الى قبيلة أو أمة أو الى سلالة دون اخرى ربما كان أوضح خصائص البشر وأيسر عوامل التعرف عليهم. يلي ذلك عوامل اللغة والملامح الوراثية والذكاء والمهارة والقوة البدنية، وهي أقل ثباتاً عند الميلاد وأكثر قبولاً للتغير. ثم تأتي الشخصية بخصائصها ذات القابلية العالية للتغيّر والتي تكون الفضائل والرذائل: من الحكمة والمعرفة والتقوى والصبر الى الجهل والحمق والكفر والتمرد. هذه العوامل كلها تشكل الشخصية الانسانية وطريقة الحياة، على الأقل من حيث الأساس والقاعدة. أما بقية بناء الشخصية ونمط الحياة

---

(١) ٤٩: ١٣.

فيتكون من العادات أو الآراء، من الميل أو المزاج، من السمعة ومن تاريخ وتقاليد هذه الشخصية عبر تراكمات أعمالها. كل من هذه العوامل له دور في بناء الفرد الانساني وفي تحديد هويته. لكنها تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا، فبعضها خلقي محدد من قبل المولد، وهو - لهذا - ثابت لا يتغير، وبعضها مكتسب في مراحل مختلفة من الحياة، ولذلك ينمو ويتطور، أو يتغير ويزول.

والبشر معرضون كثيرا لأن يخطئوا تقدير قيمة هذه الخصائص وطبيعة الدور الذي تقوم به في حياة الشخص. ففي التاريخ لم يكن لأي من خصائص الانسان دور في تحديد الحكم على الأشخاص والجماعات اعظم من الدور الذي قامت به المجموعة الأولى من الخصائص ونعني بها النوع والسلالة. ومع ذلك فهي أشد تلك الخصائص براءة من هذه التبعة نظرا لأنها أقلها اعتمادا على القرار أو العمل الأخلاقي، وأضعفها قابلية للتغيير. ان طبيعة المباشرة والوضوح فيها كثيرا ما تظلل الحكم فيأخذها على أنها حقائق وجودية ويبني التفرقة والتمييز على أساسها. وهذا هو السبب في ان القرآن بدأ بها وقصد الى هدم كافة الأحكام المبنية عليها. ان هذه خصائص من صنع الله، ضرورية ولا تتغير وقد خلقها الله لتكون فقط عوامل تعارف، ان علينا أن نأخذها على أنها «جواز سفر» أو «هوية شخصية» لاتنبئ بشيء عن قيمة صاحبها أو طبيعته الأخلاقية. اذن، كل البشر خلق واحد متساوون: وهذا هو أساس العالمية في الاسلام. كل البشر عند الله سواء تميز بينهم أعمالهم في الفضائل الخلقية والانجازات الاعمارية والاصلاحية الحضارية والثقافية. فاذا كانت هذه الاعمال تعتمد على خصائص ثقافية موجودة تعرقل مثل هذا الإنجاز، فالواجب علينا أن نغير هذه الخصائص وننمي أخرى وهذا أمر في الامكان دائما، والباب مفتوح أبدا أمام مثل هذا التغيير. أما حين يتم الحكم على أساس الخصائص الثابتة، فاننا نرتكب

جريمة اخلاقية، وهي التعصب العنصري. والتورط في جريمة كهذه ينذر بشر مستطير: انتهاك وحدة البشرية والخروج على أوامر الخالق سبحانه ومصادمة تعاليمه. ولا شيء أشد مقتا عند الله تعالى من الشرك، والتعصب العنصري من أقرب الأمور الى الشرك. ولا شيء كالعنصرية أدى الى العداوة والحروب وإراقة الدماء بين البشر. لقد ألصقت بالدين وبضروب كثيرة من الأسباب تهمة التسبب في اثارة مختلف الصراعات بين جماعات البشر. والحق ان كافة الصراعات بين الجماعات البشرية كان الدين الحق - الداعي الى حرية العقيدة والى العدل بين عباد الله - بريئا منها، وترجع في حقيقتها الى قرارات عنصرية اتخذت على أساس الخصائص الثابتة لأولئك الذين اتخذوا «اعداء». والقصد منها ظلم أولئك العباد ونشر الفساد والاستعلاء في الارض.

ان الاسلام لا يلتقي أبدا مع التعصب العنصري الذي يعتبر التمييز العنصري والقومية من صوره السائدة. ان الصراع بينهما لا حد له نظرا لأن ما ينـزله التعصب العنصري من دمار في الروح الانسانية لا يمكن جبره.

وادانة التعصب العنصري كما يفعل الاسلام ليست ادانة للوطنية، إذ الأخيرة تعني موقفا ايجابيا مفهوما من الحب والاعزاز والتقدير لحياة الجماعة وقيمتها، ومن الاستعداد لتحمل المرء كل بذل وتضحية، بما في ذلك التضحية بالنفس، في سبيل الدفاع عنها. فليست الوطنية على هذا بريئة من الشر فقط، بل انها عمل ايجابي صالح يفرضه الاسلام. فمن الواجب على المرء دينيا وأخلاقيا أن يحب أقرباءه وقومه ويخدمهم ويدافع عنهم بالحق ضد كل اعتداء وظلم، وكذلك أرضه دون ان يعني ذلك عداء لسواهم من البشر والأوطان بل بالعكس فان حب المسلم واعزازه لأقربائه وقومه ووطنه جزء وحلقة من مجموعة من المشاعر الفطرية السليمة التي تبدأ بالذات وتنتهي بالانسانية قاطبة، جزء من كل

موحد، ومصلحة واحدة ومصدر واحد وغاية مشتركة في الهداية والاصلاح والاعمار ونفع الخلائق. فما ابعد الفرق بين التعصب العنصري والوطنية. ان جوهر الأول هو الادعاء بأن مزايا الشخصية السلالية هي المعيار الأول للحب والبغض والخير والشر، وأشيع صوره وأبشعها هي اعتبار سلالة ما أسمى من كل البشر نتيجة للخصائص الذاتية في أفرادها ثم اجلال تلك المزايا والتمسك بها على حساب كل المزايا الأخرى. والتعصب العنصري بهذا الزعم يتطلب الولاء المطلق له ممن يؤمنون به، مادامت الدعوى التي يقدمها هي ان العنصر هو الحقيقة المطلقة. ان الشعب الملتزم بالتعصب العنصري يهوديا كان أو المانيا أو فرنسيا أو روسيا، يدعي مخلصا أن اليهود أو الألمان أو الفرنسيين أو الروس هم الحقيقة الهامة التي تمثل معيار الخير والشر. ان ما غرسته الصهيونية في روح الشعب اليهودي وما غرسه «هيجل» و «فيخته» و «نيتشه» وغيرهم من المفكرين الرومانسيين في روح الشعب الألماني عما هو «الوطن الألماني» وما غرسه «روسو» و «فوستيل دي كولانج» وغيرهما في روح الشعب الفرنسي عما هي «الأمة»، قد وصل الى ما يشبه المبدأ المقدس الذي نفخ الغرور في اليهود والألمان والفرنسيين فصار عندهم أشبه بالحقيقة المطلقة للمعتقد الديني. وان مشاعر الاعتزاز والاستعلاء والالهامات والتطلعات النفسية المؤثرة التي تشعها هذه المفاهيم والأفكار الغامضة وتسيطر بها على قلوب أتباعها ومعتنقيها وخيالاتهم هي في الواقع عند هؤلاء الأتباع خصائص المؤثرات النفسية الغامضة المبهرة المسيطرة وكأنها ذات صفات شاملة أزلية مطلقة تستحوذ في قوة على مخيلة هؤلاء الأتباع ونفسيتهم.

أما المسلم فموقعه وعقيدته عكس ذلك تماما، لأن «الـهه» هو الاله الواحد وهو وحده اله كل شيء على الاطلاق، وهذا التوحيد هو المقدمة الضرورية التي

تبنى عليها لزوما كل صور وحدة الانسانية. ومن التناقض في التسمية بالضرورة أن نقول «مسلم قومي» أو «عنصري» والمسلم الذي يعلن أن ولاءه لقومية أو عنصرية فهو إما كاذب منافق أو جاهل ذو ولاء سطحي زائف لا يميز ولا يستطيع أن يقف أمام التعميات والاغراءات والمصالح الخاصة التي تلوح بها وتبذلها قوى المفاهيم والعقائد والولاءات القومية والعنصرية. وهذا أيضا السبب الذي يفسر كيف ان الممارسة العملية للكثير من الزعماء المسلمين الذين يدعون الالتزام كمسلمين قد خلت كثيرا من انسجام المواقف وجدية الالتزام اخلاصا للمبدأ المعلن.

إن مفهوم الانسان في العصر الحاضر في ظل مفاهيم الحضارة الغربية يكاد يقوم كله على العنصر كتحديد مطلق الانسانية، ومفهوم المجتمع يقوم على العنصر كأساس مطلق للنظام والبناء الاجتماعي. ولم تتح أبدا فرصة تجربة وممارسة مبدأ عالمية «عصر التنور» قبل أن يتم رفضه لصالح المبدأ العنصري الذي دانت به الرومانتيكية. بل لقد كانت عالمية «عصر التنور» تجريدات نظرية وموضع شك حتى على يد أمير هذه الحركة «ايمانويل كانت» حيث تعتبر أن مختلف شعوب البشر تتدرج ما بين رفيع ووضيع على أساسين/ أحدهما: تصور أوروبي موروث، والآخر: يتأتى من تصور دلالة الخصائص الذاتية الداخلية للشعوب الآسيوية والأفريقية والأوروبية. لقد اكتسحت الرومانتيكية الغرب كله، وأتت على كل أثر للعالمية العقلانية أو النصرانية. وأعطت حركة الرومانتيكية هذه على أساس من مفاهيمها ومنطلقاتها أعظم اهتمام ودعم للدراسات الانسانية والفنون والعلوم الاجتماعية. ولقد حدد هؤلاء المفكرون الانسان على انه حصيلة لوظائف مجموعة من الحقائق والخصائص والصفات والقدرات والقوى التي تنبثق وتتغذى من تصور غيبي غامض لوطن أو لسلالة

أو شعب أو دم يمتد في غموض الى ابعـاد زمنيـة لا نهائيـة ومـن تقـاليد تمتـد جذورها الى اعماق وأبعاد لا نهائية في كل من الزمان والمكان.

والأسوأ ان هذه الأمور لم يتم عرضها وفهمها على أساس من العقل، وانما يتم عرضها وتكتسب القناعة بها بأساليب عاطفية ومـن خـلال التـهيؤ الذاتـي والحدس الشخصي وقد وجدت هذه المفاهيم أبلغ وأوضح تعبير عنها في الفنون، خاصـة الموسـيقى والرسـم والأدب. حتـى الديـن تصـوره أولئـك المفكـرون الرومانتيكيون، خاصة «شلير ماخر» تصوراً جديداً على انه يرتكز على أسـاس وحيد هو التجربة الذاتيـة للمؤمـن بـه الـتي لا يمكـن وصفـها، أي أحاسيسـه الشخصية، وذلك بعد التسليم لمن تهجموا على الدين وحطوا من قدره في أنه غير عقلائي بل اعتباطي تحكمي لا يختلف في طبيعته عن «الأوهام» و «المخدرات».

لقد اسـتمرت الدراسـات الانسـانية في الغـرب تتحـدث عـن «الانسـان» و «الانسانية»، لكن بالمفهوم الذي يحصر مضمون هذه المصطلحـات في «الانسـان الغربي» و «الانسانية الغربية». وهي حين لم تستبعد تماماً من دائرة الانسـانية ملايين «السود» و «الحمر» و «الصفـر» في افريقيـا وآسـيا وأمريكـا اللاتينيـة، فلأنها عدتهم مخلوقات قريبة من الانسـانية يمكـن أن تسـتعمر وأن تسـتغل لصالح الانسانية الغربية. وهذه دراسات ومفاهيم ولكن يجب أن تدرس علىانها عينات ونماذج لعصر مر به الغرب في فترة ما في فترات تاريخه وتطوره وبذلـك تسهم هذه الدراسات في تمكين الانسان الغربي من فهم ذاته وتاريخ تطوره.

ان التعصب العنصري بطبيعته مثير للشقاق والتفرق، إذ من الممكن دائماً أن تجد داخل أيـة مجموعـة مجموعـات أصغـر تكشـف عـن مزيـد مـن الـتركيز للخصائص الداخلية أكثر من المجموعة الكبرى، وهذه «الحقيقة» يمكـن أن تمـهد القاعدة لمجموعة أصغر تطلق على نفسها كياناً عنصريـاً مـزوداً بخصوصيـات

أقوى. واذا كانت الرومانتيكية قد فصلت الغربيين عن بقية العالم الذي كانوا على وشك ان يحتكوا به احتكاكا مكثفا نتيجة لتطور الصناعة والنقل، فانها، ايضا قد مزقت الغرب الى قوميات متعادية متنافسة تسعى كل منها الى «مصالحها القومية» وكأنها وحدها معيار الخير والشر. وسرعان ما تعلمت أمم الغرب من بعضها وقبلت كل منها ما انتهت اليه الأخرى. كما انتقلت بسرعة، النظرات والتحليلات والتعبيرات الرومانتيكية من أمة الى أخرى على انها حقائق ثم تبنتها وطبقتها كما لو كانت من صنعها.

وبتأثير الدفعة التي قدمتها الرومانتيكية تطورت أيضا العلوم الاجتماعية الغربية: التاريخ والجغرافيا والاقتصاد وعلم السياسة والاجتماع والانثروبولوجيا (علم الانسان). وهي تقوم كلها، كل بطريقته الخاصة، على أساس نظرة عنصرية مؤداها ان الأمة أو الكيان العنصري بمفهومها المحدد جغرافيا وسكانيا وتاريخيا - لكن الأخير يكون مشوشا وغير محدد - هي الوحدة المطلقة للتحليل والتقويم. وحينما يتحدثون عن «المجتمع» أو «النظام الاجتماعي» فانهم يقصدون كيانهم ونظامهم القومي. بعضهم يذكرها صراحة منذ الصفحة الأولى، وآخرون لا يصرحون بها على أساس انها أقوى الفروض الأساسية التي لا تحتاج الى ذكر. ويؤكد علم الاجتماع بجرأة ووقاحة على المقولة العنصرية لانه يتعامل مباشرة مع المجتمع والنظام الاجتماعي. وعلى أثره يقفو علم السياسة.

أما علما الجغرافيا والتاريخ الغربيان فلا يتصوران العالم إلا كتابع للغرب، عالم يدور حول بريطانيا أو أمريكا أو فرنسا أو المانيا أو ايطاليا، التي هي بمثابة القلب والنواة له، وذلك حسب المؤلف ومكان النشر. أما علم الاقتصاد الغربي فقد كان في مراحله الأولى بعيدا عن الموضوعية العلمية بحيث ادعى

لنفسه مكانة العلم العالمي. لكنه أرجع الى مكانه كتحليل غربي لأمة غربية على أيدي النازيين وهم قادة الرومانتيكية والعنصرية في أوروبا. ونفس الدعاوى الفارغة التي اسبغها «كارل ماركس» على هذا العلم انكرها «لينين» و «خرشوف» من خلال الممارسة العملية. لكن نظام حكمهم لم يسمح حتى الآن باعلان أي شيء مكتوب بهذا الخصوص، وان سمح بقدر معقول من الاعلانات العنصرية (المدعوة هنا بالاشتراكية - القومية) أن يدرج في الدستور الجديد للاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٨م.

وأخيراً فان علم الانسان (الانثروبولوجيا) يعتبر أجرأ هذه العلوم الاجتماعية جميعاً فالانسانية في نظره صراحة تعني العنصرية، وانهما منطقيا متكافئتان كل منهما قابلة لأن تحل محل الأخرى. وفي القرنين الأخيرين كان تأثير هذا العلم يسوق البشرية الى سعار من الوعي بالعنصرية وذلك من خلال فرز مجموعات ثانوية واحدة بعد الأخرى واقامة نظام من المبادئ والقيم لكل منها، مستقى من الخصائص الذاتية لها أو مما لفقه دعاة هذا العلم وأعلنوا انه ذاتي ومختص بتلك المجموعة العرقية. فبدلاً من ادراك الخصائص العالمية في الانسان وتأكيدها، اذا بهذا العلم ينمي ويضخم بشكل كبير الجوانب الخصوصية.

والاسلام وهو يرفض السلبية العنصرية يؤكد ويدعم ايجابية الأسرة وصلة القرابة ويعترف ويؤكد على مفهوم الأسرة وانها وحدة البناء في النظام الاجتماعي ولذلك فهو يدعم صورتها الممتدة بالتشريعات المتعلقة بالارث والانفاق حتى يمكّن اكبر عدد من أعضاء الأسرة أن يأكلوا من مطبخ واحد وأن يتكافلوا، من ثم، اقتصادياً. والغاية هي أن يصبح أفراد الأسرة الممتدة - من خلال عيشهم في تقارب، وكثيراً ما يكون ذلك تحت سقف واحد - متكاتفين في

سبيل صحتهم وحاجتهم المادية والنفسية والعقلية والعاطفية والاجتماعية وصالحهم العام. أما فيما وراء الأسرة فان الاسلام لا يعترف في تنظيم الجماعة والمجتمع الانساني والنظام الاجتماعي العام على أساس قومي أو عنصري وانما على أساس أصل الانتماء الانساني لذلك فلا شيء يقف بين دائرتي الأسرة والانسانية. وهما معاً يكونان كل شيء في النظام الاجتماعي. وعضوية الانسان في هذا النظام هي ما يهتم به الاسلام في العلوم الاجتماعية.

أما سائر التقسيمات للبشر بين دائرتي الأسرة والانسانية، كالقطر والاقليم والشعب والأمة، فان الاسلام يعتبرها وحدات ادارية بحتة لا علاقة لها أبدا بتحديد الخير والشر ولا بفهم الشريعة أو تطبيقها. وعليه، فان ما عند الغرب الحديث من فنون وعلوم انسانية واجتماعية يجب ان تعاد صيغتها برمتها، وأن تقوم قواعدها الأولية على أساس جديد يتطابق مع أسس الاسلام ومبادئه وعدله وسماحته وعالميته بحيث تعتبر هذه العلوم من غايات الاسلام ومقاصده وتعكس مفاهيمه وقيمه الأساسية، تستنير الدراسات ونتائجها العلمية والحضارية بنوره. كما ينبغي أن يمدها المفكرون المسلمون بالقيم والغايات الاسلامية لتكون بمثابة أهداف عليا لترشيد وجهة البحوث والدراسات الاجتماعية والانسانية.

٦ – تكامل الوحي والعقل:

إن تكامل الوحي والعقل لدى المسلم قضية بديهية أساسية تنبع من مبدأ التوحيد في العقيدة الاسلامية، فالعقل من خلق الله وهبه الله للإنسان ليدرك به الدنيا التي يحيا فيها ويسعى في أسبابها ومناكبها ليلبي حاجاته ويحمل أمانة مسؤلياته فيها. فالعقل خلق مقصود للادراك والسعي وحمل المسؤولية.

وإذا كان العقل هو وسيلة الانسان للإدراك وطلب الأسباب وحمل المسؤولية فان الوحي المنزل على الانسان من لدن الخالق العظيم مقصود به هداية الانسان وتكميل ادراكاته بتحديد غايات الحياة الرشيدة للإنسان وتحديد مسؤولياته في هذه الحياة وترشيد توجهاته فيها ووصل ادراكه الجزئي بالمدركات الكلية فيما وراء الحياة وعلاقات الكون والوجود وكليات المركبات والعلاقات والمفاهيم الانسانية والاجتماعية اللازمة لتمكين العقل الانساني والارادة الانسانية من حمل مسؤوليتها وترشيد جهودها وتصرفاتها وفق الغايات المحددة لها في هذه الحياة.

ولذلك فالوحي والعقل ضروريان ومتكاملان لتحقيق الحياة الانسانية الصحيحة في هذه الأرض.

وإذا كان العقل قد وجد بوجود الانسان كذلك صاحب نزول الوحي والرسالات بدء وجود الانسان ليمثل دعوة الانسان للايمان بالحق والعدل والاصلاح والاعمار في هذه الأرض ولتجزى كل نفس يوم الحساب ماكسبت، ان خيراً فخير وان شراً فشر ولو كان مثقال ذرة من خردل.

ولذلك فلا مجال ولا معنى لتناقض الوحي والعقل أو تعارض العقل والوحي، فالعقل والوحي مقصودان متكاملان في حياة الانسان وفي سعيه لبلوغ حاجاته وتحقيق غايات وجوده وحمل مسؤولياته في هذه الحياة.

ولكن من المهم لادراك الموضع الصحيح لكل من الوحي والعقل في كيان الشخصية المسلمة والفكر الاسلامي وسعي الانسان المسلم أن ندرك الادراك الصحيح علاقة كل واحد منهما بالآخر حتى نحقق شروط التكامل ولا نقع خطأً ودون قصد في وجوه وهمية من ألوان التناقض والتعارض بين الوحي والعقل.

فالعقل الانساني رغم كل مكانته وامكاناته في حياة البشر يظل محدوداً جزئياً يعتمد الاستقراء وتراكمات المعرفة والخبرة لادراك مسيرته وسبل أدائه. وجاء الوحي على أيدي المعصومين الصادقين من الأنبياء والرسل ليمد العقل الانساني بالمدركات الكليّة في علاقات الكون وموضع الانسان منها ومهمة وجوده تجاهها وقواعد علاقاته الانسانية والاجتماعية الأساسية اللازمة لترشيد سعيه وتحقيق غاية وجوده.

والعقل سيظل رشيداً في أدائه مادام يسعى بالعمل والاصلاح ضمن توجيهات الوحي وارشاداته في معنى العلاقات وغاية الوجود.

وما ضل المسلمون وانحرفوا إلاّ حين استخدموا العقل في غير موضعه وأخذوا بالظن والتخمين الباطل في أمور الالهيات وقضايا كليّات القضاء والقدر متأثرين باطار فكري اغريقي ليس له مرشد ولا ضابط ولا موجه من معرفة الوحي القطعية الكلية.

فالركن الأول للتكامل بين الوحي والعقل لدى المسلم وفي تكوين شخصيته ومعطيات فكره ان مرجع كليات الوجود هي الى ما انزل الله من وحي يصول العقل ويجول في اطارها لتحقيق غاية السعي الانساني في هذه الأرض وتلبية حاجاته بكل الجد والبذل والاخلاص وعدم صرف جهوده الكبرى الى غير موضعها المثمر الصحيح الذي تتعلق به.

والركن الثاني لتحقيق التكامل الصحيح بين الوحي والعقل هو فهم الاسلوب في التعامل مع الوحي والعقل والتفاعل بينهما. فعند واقع التعامل مع الوحي والعقل واسقاط قضاياهما على واقع الحياة الانسانية بتفاصيلها ومجرياتها يواجه الانسان بألوان من النقص والقصور تنعكس على ادراكات الانسان لقضايا الوحي والعقل والعلاقة التطبيقية بينهما.

فقد يتعارض فهم الانسان لقضية من قضايا الوحي وتشريعاته ومدركات العقل واستقراءاته بشأن تلك القضية. وهذا التعارض وان كان استثناء إلا انه جزء من طبيعة محدودية الادراك الانساني. وحل هذا الاشكال في أي قضية من القضايا ينشأ فيها لا يكون حلا عاطفيا بالانتصار لأحدهما على الآخر. لأن المصدرين صحيحان ومتكاملان ولا مجال للمفاضلة أو الانتصار بينهما، ولا مجال للمسلم إلا السعي لتجلية حقيقة القضية التي لابد أن تستند في تأصيلها الى المصدرين متعاضدين متكاملين.

وإذا كان منطوق الوحي في أي أمر لابد أن يمثل الحق في شأن ذلك الأمر فان الادراك العقلي السليم لابد أن يؤيد منطوق الوحي ويمثل الحقيقة في شأن ذلك الأمر.

ولكن هذا التطابق المطلق بين منطوق الوحي ومنطوق العقل في أي أمر انما يمثل المنطوق المطلق الكامل للوحي أو للعقل.

أما الإدراك الانساني لهذا المفهوم في أي لحظة بذاتها وفي اي أمر بعينه فانه جزئي ويحتمل الخطأ، فقد يكون فهمه للوحي خاطئا قد جانبه الصواب وقد يكون إدراكه العقلي لأمر قاصرا قد جانبه الصواب. ولذلك في حالة تعارض الفهم والادراك يجب ان يتحلى المفكر المسلم بالتواضع ويأخذ نفسه بالاخلاص والتمحيص ويدير دفة الحياة في ذلك الأمر وفق القيم الأساسية والغايات والمقاصد الكبرى الاسلامية التي تتعلق بها المصلحة في ذلك الأمر حتى يتم الاهتداء الى وجه الحق والحقيقة في الأمر، فأما أن يصحح فهم منطوق الوحي في الأمر أو يتم تصحيح وجه ادراك الحقيقة العقلية فيه.

وهكذا يظل الوحي والعقل في الحقيقة عند المسلم على كل الأحوال متكاملين متعاونين كمصدرين للفكر والعمل والتنظيم والسعي الانساني في الحياة لا

مجال للتعارض بينهما، وكل تعارض فهو تعارض وهمي يحمل بمزيد من الفكر والتدبر والتمحيص والشمول في أمر مفهومنا وتفسيرنا للوحي وفي أمر منـهجنا واسلوبنا في الوصول الى النتائج العقلية حتى يتضح وجه الصواب ويزول وهم التعارض، وتتضح مقتضيات المصلحة الانسانية التي تستهدفها مقاصد الشريعة في توجيه الحياة الانسانية خلال فترة التدبر والتمحص تلك. وبهذا تظل الحياة الانسانية المسلمة متدفقة سليمة تسير في ايمان وقوة وقناعة عقلية كاملة نحو تحقيق غايات الوجود وحمل مسؤولية الحياة ومواصلة جهود الهداية والاصلاح والاعمار.

٧ – الشمولية في المنهج والوسائل:

قصر الاسلام على جانب من الحياة دون جانب أو تحويله الى قضايا غيبية تجريدية ليس من طبع الاسلام وليس على منواله. ولذلك فقصر الاسلام على ممارسات الوعظ أو قضايا نظام الاسرة أو حصره في قوالب قانونية فقهية نظرية أو تاريخية بحتة أمر تأباه طبيعة الاسلام الذي يمثل دنيا ومبادئ وقيما وفلسفة اجتماعية حياتية شاملة.

ولذلك فحصر الاسلام بشكل عام في دراسات لفظية نظرية لغوية استنباطية بحتة لا تتعلق بدراسة الأحياء والمجتمعات وتفاعلاتها أمر يأباه الاسلام لأنه يدل على عدم ادراك الحياة وقضاياها ووسائلها وامكاناتها ومتغيراتها فلا يتيح فرصة لتوجيه دفة الحياة والمجتمعات والأنظمة والأفراد في كل شأن من الشؤون وفق قيم الاسلام وغاياته مثل ذلك الحصر وضيق الأفق يأباه ويرفضه الضمير المسلم وينبو عنه النظر المنصف في تعاليم الاسلام ورسالته.

فاذا كان الاسلام دينا شاملا لتوجيه الحياة الانسانية عبادة وسعيا وتنظيما وتعلما وقضاء وتربية وموعظة وتدبيرا وحكما فوسائل الفكر الاسلامي والمنهجية الاسلامية هي - بالضرورة - وسائل شاملة لكل الوسائل والامكانات البشرية التي تحقق غاياتها، وغايات منهجيتها أيا كانت هذه الوسائل والامكانات استنباطية وإستقرائية، لغوية وتحليلية، نظرية وتطبيقية، نوعية وكمية وتجريبية بحسب حال أمر كل مجال من مجالات المعرفة والبناء والعمل وتداخلاتها وكل ما يتصل به من توجيه الوحي وادراك العقل.

الفصل الخامس

خطة عمل المعهد

ورغم أن الخطة - التي نتناولها في هذا الكتاب - هي في جوهرها خطة يهدف المعهد الى السير على هداها، وتنفيذ أكبر قدر منها إلا أنها في الواقع خطة عامة شاملة يمكن أن يشارك في انجازها وانجاحها كل مخلص يهتم بالقضية العلمية والفكرية من رجال الأمة ومؤسساتها العلمية والحضارية. هي خطة لاسلامية المعرفة، واصلاح مسارات الفكر الاسلامي المعاصر، وتجديد مناهجه، واستعادة طاقته الأصيلة في العطاء والابداع، لا تقتصر على المعهد وجهوده الخاصة، ولكنها خطة عامة يستطيع أن يشارك المعهد فيها ويتعاون معه عليها بإذن الله كل مجاهد مخلص، وكل مؤسسة اسلامية معنية ممن يسعون لنصرة دين الحق واقامة حضارة الاسلام هداية وسعادة للانسانية وتحقيقاً لمسؤولية الانسان المسلم على الأرض.

١ – أهداف الخطة:

تهدف خطة عمل المعهد لإسلامية المعرفة الى العمل على تحقيق الأهداف العامة التالية:

أ – توعية الأمة على الأزمة الفكرية: توعية الأمة على موقع أزمة الفكر الاسلامي ومنهجيته من أزمة وجود الأمة الثقافي والحضاري.

ب – تحديد معالم العلاقة بين قصور الفكر الاسلامي وقصور منهجيته من ناحية وبين غياب الأمة ومؤسساتها ونظمها وتخلفها علمياً وثقافياً وحضارياً من ناحية ثانية، وبين ذلك القصور، وبين ضعف الأمة وفشل جهودها في التحرر والتقدم من ناحية أخرى.

ج – تفهم طبيعة أزمة الفكر الاسلامي المعاصر وأسبابها والسبل والوسائل المطلوبة لمواجهتها والتغلب عليها وعلى آثارها.

د - العمل على تجديد فكر الأمة، وتجديد طاقاته وتطوير مناهجه وبلورة منطلقاته، وربطه بمقاصده الاسلامية الأصيلة.

هـ - العمل على تأصيل شمولية المنهج الاسلامي في ميدان الدراسات الاجتماعية والانسانية وتأصيل الدراسات العلمية والاسلامية في ميدان الواقع الحياتي والفطرة الانسانية والاجتماعية.

و - البدء بأعمال تمكين الفكر الاسلامي والثقافة الاسلامية المعاصرة من استيعاب الأصول الاسلامية والتراث الاسلامي ومن العلوم والمعارف الحديثة وتيسيرهما للدارسين المسلمين.

ز - العمل على تقديم الأبحاث والدراسات والكتب المنهجية بقصد بلورة المفاهيم والمنطلقات الاسلامية وارساء أسس العلوم الاجتماعية والانسانية الاسلامية.

ح - اعداد الكوادر العلمية اللازمة لريادة مجالات اسلامية المعرفة وذلك من خلال برامج المنح الدراسية والاشراف العلمي والبرامج الدراسية الاسلامية في مجالات العلوم الاجتماعية والانسانية المعاصرة كافة.

٢ – خطوات العمل:

وإذا كان الهدف الأسمى هو ان يحل مفهوم «الاسلامية» محل مفهوم «التغريب» ومفهوم «التحديث» كمفهوم اسلامي وانساني شامل وان يصبح اطاراً حضارياً وثقافياً مبدعاً أصيلاً يستوعب طاقات العصر وامكاناته تجسيداً للغايات والقيم الاسلامية الاصلاحية الاعمارية السامية، فلابد اذن لهذه الجهود ان تعمل في مسارات متعددة متوازية ومترابطة تنظم جهود المعهد وجهود كافة العلماء والمفكرين والمثقفين والهيئات العلمية الاسلامية، وان تتم

تلك الجهود في تنسيق وتعاون مع كافة الجهود والتوجهات الاسلامية في مختلف مجالات العمل والاصــلاح الحيـاتي. فرغـم مـاالإصلاح الفكـر ومناهجـه - إذا اضطرب عقده - من أولوية إلا أن ذلك لا يتعارض مـع أهميـة بـذل الجـهود في مختلف الجبهات الحياتيــة التطبيقيـة والتنظيميـة والجهاديـة، بـل أن الجـهود الحقيقية تتكامل ولا تتعارض وتتساند ولا تتناقض إذا أردنا حقـاً دفـع عجلـة الحياة الاسلامية على الطريق الصحيح.

وجهود اصلاح الفكر الاسلامي ومناهجه وتحقيق المعرفة تتطلب مســارات العمل ومجالاته المترابطة المتكاملة التالية:

أ - التوعية:

مهمة اصلاح الفكر واسلامية المعرفة ليست قضية من القضايا الــتي تحـل لمرة واحدة وتنفض منها اليد، كما انها ليست القضية التي تخص نفراً محــدوداً من الناس تنحصر في دائرتهم ولا تهم واحداً سواهم.

ان اصلاح الفكر واسلامية المعرفة هي مهمة دائمة ومستمرة في حياة الأمة تبقى ببقائها سليمة قادرة تجدد بها مسيرتها وتطور وتســتوعب بـها طاقاتـها وامكاناتها وواقعها المتطور المتغير.

كما ان قضية المعرفة والفكر تتعلق بكل علمـاء الأمـة ومفكريـها ومثقفيـها وقياداتها يشاركون في بنائه وتجديده والانتفاع به وتقديمه موجهاً لجهود الأمة وجهود بنائها الحضاري.

ولذلك فان الخطوة الأولى لتحقيق الاصلاح والاسلامية هي توعية المعنيـين به والمستفيدين منه وشرح القضية لـهم ليبدأوا في أخذ مواقعهم في كتائبها ومد أثارها الى أعمالـهم وجهودهم العلمية والفكرية.

ولذلك يجب توجيه الخطاب الى جموع هؤلاء العلماء والمفكرين والمثقفين والقادة وطلاب العلم والمعرفة في مؤسساتهم وتجمعاتهم ونواديهم وعلى منابر الاعلام الاسلامي.

والتوعية لا تقتصر على الخطاب التوضيحي المباشر لهم ولكن تمتد الى تقديم الأعمال والبرامج والأدوات التي تخدم الفكر وإسلامية المعرفة وتستجيب لتطلعاتهم وتخدم جهودهم كما تمتد الى دعوتهم الى المشاركة بمختلف الصور في اعمال الاصلاح والتطوير والتعليم والنشر. والمعهد يستخدم لهذه الغاية الندوات والمؤتمرات والاعلام والنشر ويسعى الى التعاون مع كافة المؤسسات العلمية والاعلامية من اجل شرح هذه القضية وتوضيح جوانبها ودعوة الجميع الى المشاركة والابداع فيها.

وقد عقد المعهد عددا من الموتمرات العالمية وعددا من الندوات العلمية في مختلف مجالات المعرفة، دعا ويدعو الى المشاركة فيها المفكرين والعلماء وطلاب المعرفة المسلمين، ويسعى الى تكوين حلقات دائمة للتوعية على قضايا الفكر الاسلامي واسلامية المعرفة في كافة الحواضر العلمية في العالم قاطبة والاسلامي على وجه الخصوص.

كما ان المعهد لا يتوانى في دفع عجلة حملة متصاعدة لاشراك وسائل الاعلام الاسلامي لشرح هذه القضية ورعاية مسيرتها لتصبح قضية علماء الأمة ومفكريها وطلابها واطار جهودهم العلمية والفكرية.

ويتطلع المعهد الى وعي القادة والمفكرين والمؤسسات العلمية بحيث يدفعون بامكاناتهم الوفيرة جهود التوعية حتى تتضح للأمة وتتمثل كافة الجهود العلمية والفكرية في مسيرة مبدعة متجددة.

ويرجو المعهد أن تأتي تراكمات ثمار أعماله وندواته ودراساته ومنشوراته مع ما تحققه المؤسسات العلمية والمخلصون الذين يتبنون هذه القضيــة لتضـع أمام أبناء الأمة النماذج والبدائل الجيدة المطلوبة التي تعطي القدوة والمثال الـذي يلمسه الناس ويجيدون العمل على غراره.

ب - بلورة منطلقات الفكر الاسلامي ومفاهيمه ومناهجه:

ولما كانت معالجة أزمة الفكر الاسـلامي لتحقيـق اسـلامية المعرفـة غايـة لاطلاق جهود الأمة الناجحة في الحضارة والاعمار فان هذه المعالجة لا يمكن أن تتم إلا أن تسبقها جهود علمية جادة لبلورة منطلقات الفكر الاســلامي وتجليـة مفاهيمه واصلاح مناهجه.

ولذلك لابد للمعهد وكل معني مخلص أن يعمل على تجنيد طاقات المفكريـن والعلماء والمثقفــين وطـلاب العلـم المؤهلـين في الثقـافتين الاسـلامية والغربيـة القادرين على العمل في مجال اسلامية المعرفة خاصة وان هذا النوع - مـن اهـل العلم - محدود العدد في العالم اليوم.

ويعمل المعهد على تجنيد المفكرين والعلماء بكافة الصور الممكنة من الدعـوة الى الكتابة والانتاج العلمي في القضايا المتعلقة ببلورة الفكر واصلاح المنهج الــى الدعوة الى المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية لتبادل وجهات النظر واجراء الحوارات العلمية واثراء المفاهيم المشتركة.

كما يعمل المعهد علــى توفـير المـوارد لتوفـير الامكانـات اللازمـة للعلمـاء والمفكرين لقضاء الاجازات الدراسية وما يتعلق بذلك من خدمات مكتبية وعلمية ولقاءات وحوارات فكرية ينتج عنها أعمـال علميـة رائـدة نحـو تحقيـق غايـات اصلاح الفكر واسلامية المعرفة.

وبانتهاء أعمال مباني ادارة المعهد وأعمال سكرتاريته ومكتبته الكبرى وقاعات اجتماعاته ولقاءاته العلمية سيبدأ - باذن الله - برنامج قضاء التفرغ العلمي للاساتذة الجامعيين والعلماء والمفكرين وذلك بدءا من شهر سبتمبر عام ١٩٨٦. كما يعمل المعهد على توفير الموارد اللازمة لحمل نفقات التفرغ العلمي الكامل لبعض المفكرين والعلماء أصحاب القدرة الفذة الريادية في مجالات اسلامية المعرفة.

ان جهود بلورة الفكر واصلاح المنهجية هي جهود اساسية تعنى بدراسة محتوى الفكر الاسلامي ومناهجه كما نعرفها اليوم، ونقدمها، واعادة صياغة قضاياهما الأساسية الكبرى في صورة متكاملة وترابط علمي رصين ومن خلال وسائل تعيد اليهما طاقاتهما الذاتية وفاعليتهما المفقودة وتعيد عرضهما على الأمة في صورة واضحة وفلسفة دافعة مؤثرة ومناهج واضحة شاملة، ووسائل علمية فاعلة تقوم في كل ذلك على قاعدة صحيحة متينة من عقائد الاسلام وقيمه ومنطلقاته كما جاءت اصولها القرآنية والنبوية، وليؤدي الفكر الاسلامي دوره من جديد على وجه أشبه بفهم جيل الرواد وتفاعلهم مع عالمهم وطاقاتهم وامكاناتهم فيما واجههم من أمور وتحديات.

وهذه الجهود الرائدة لبلورة منطلقات الفكر الاسلامي المعاصر ومناهجه تستدعي تمكنا من أصول الاسلام الكبرى وهي: الكتاب والسنة وعلوم الشريعة المتعلقة بهما وعلوم اللغة العربية، وتاريخ الصدر الأول للاسلام ودراية بقضايا العصر الحاضر ومعارفه ووسائله وتحدياته، وذلك لتوفير القدرة على النظر الفاحص الناقد الذي يستطيع - في اداء معاصر - أن يستهدف قضايا العصر وتحدياته، وان يبلور غايات الاسلام ومقاصده وفلسفته الأساسية في كل مجال هام من مجالات الحياة والمعارف المعاصرة، وأن يقدم تصورا شاملا متكاملا

منطقيا لما ألم بـالفكر الاسـلامي ومناهجـه مـن ثلمـات أدت بـه الـى القصـور والجمود ويبين أسباب ذلك ويوضـح المفـاهيم ويبيـن المؤسسـات والتنظيمـات والوسائل والاصلاحـات الأكادميـة والتربويـة والاجتماعيـة المطلوبـة لتحقيـق الاصلاح في واقع الأمة بحيث يستعيد الفكر الاسـلامي دوره في توجيـه جـهود الأمة في الاعمار والحضارة.

فبلورة مفاهيم الاسـلام الأساسـية وفلسـفته المتميزة في كـل مجـال مـع مناهجه العلمية المتكاملة هي حجر الأساس الذي يجب ان يأخذ أولوية الانجـاز في هذه المرحلة الأولية مـن مراحـل التجديـد والاصـلاح. وهـي الجـهود التـي يستهدفها المعهد في تجنيد طاقات القلة القادرة النـادرة مـن العلمـاء والمفكريـن الاسلاميين في هذه المرحلة.

هذه الرؤية الفلسفية المنهجية الاسلامية العامة هي التي يرجـى أن تعطـي ضوءا كاشفا أمام العلماء في كل حقل من حقول الدراسات العلمية من أجل اعادة صياغة مجالاتهم وفقا للعقائد والمفاهيم والقيم والغايات الاسلامية وتحقيق مـا أسميناه باسلامية المعرفة في كل مجال من مجالاتها.

ان تواصل العمل ومتابعة التطبيق مع التقويم والمراجعة المستمرين سـوف يزيد الرؤية وضوحا وشمولا، وتتوالى جهود تطوير اسلوب عرضها ووسـائله لتواكب حركة الأمة وتطوير قدراتها وامكاناتها وما تواجهه من تحديات الاعمار والحضارة.

ج - التمكن من التراث:

تمكين المثقف المسلم من اصول الفكر الاسلامي ونفائس التراث هو الدعامة الرئيسية لبناء اسلامية المعرفة. فليس من الممكن لجهود الأمـة اليـوم أن تؤتـي

ثمارها المرجوة في البناء والاعمار والحضارة إلا أن يكون أساسها في المنهج والفكر أساساً سليماً. والمنهج والفكر السليم لا غناء فيهما إذا كانا قاصرين على عدد قليل من القوم تكونت قدراتهم بشكل عفوي وبمؤثرات خاصة. بل لابد أن يكونا منبثقين من كيان الأمة ومكوناتها الثقافية بحيث يتحولان الى سيل من ينبوع معارفها، ينهل منه كل متعلم ومثقف من ابنائها.

فاذا كانت اسلامية الثقافة والتمكن من اصول الفكر الاسلامي ومن نفائس تراثه أمراً لا يتمكن منه الا بعض الأفراد من المفكرين والعلماء لأسباب خاصة بنشأتهم وطاقاتهم والظروف الاستثنائية المتاحة لهم فان هذا وضع لا يحقق كثيراً في مجال اصلاح الفكر واسلامية المعرفة.

لابد لبلوغ الاصلاح وتحقيق اسلامية المعرفة أن تكون وسائلها في متناول المثقفين كافة وجزءاً طبيعياً في مجالات معارفهم وملكاتهم العلمية ومناهجهم الثقافية. ومن أهم الوسائل الثقافية لتحقيق الأصالة واسلامية المعرفة هو تمكين المثقفين، من أصول الاسلام ومن نفائس تراثه.

وخطة المعهد لتمكين المثقفين من أصول الاسلام ونفائس التراث وتيسيرهما لهم هي في جوهرها رسم الطريق وتقديم النماذج ودعوة العلماء والهيئات العلمية للمساهمة في انجاز هذه المهمة الهائلة.

والتراث المطلوب تيسيره وتبويبه على انواع ثلاثة:

النوع الأول: وهو نصوص اصول الاسلام الكبرى وهي القرآن الكريم والسنة المطهرة.

النوع الثاني: وهي آثار السلف الصالح من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسيرتهم وفكرهم ومنهج عملهم.

النوع الثالث: وهو فكر علماء الأمة ومفكريها وقادتها المصلحين على مر العصور وتأملاتهم في مختلف مجالات المعرفة. وهذه آثار من نوعين، نوع من الكتب الموسوعية التي تتناول كل وجوه المعرفة بشكل استطرادي متداخل ومن أهمها كتب التفسير وشرح الحديث النبوي، وكتب أخرى متخصصة في موضوع أو مجال بعينه ومن أمثلتها كتاب السياسة الشرعية وكتاب الأحكام السلطانية وكتاب الكسب.

ومن الواضح إن أي ادعاء بالقدرة على الأصالة الاسلامية وامتلاك ناصيتها وجعلها جزءا من كيان الأمة وفكرها وضميرها ومخيلتها وعطائها العلمي والحضاري لا يمكن أن يتم إذا كانت ثقافة المثقفين من رجال الأمة ومعارفهم تقوم في معزل عن أصول الاسلام الكبرى وهي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وعن الروافد الشارحة الموضحة من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الكرام وتاريخ الصدر الأول للاسلام.

أما خطة عمل المعهد فتهدف الى بذل الجهود العلمية المركزة لتحقيق أمرين:

الأمر الأول:

توفير الوسائل المساعدة لتسهيل تبويب التراث على نهج يتفق وتقسيمات المعرفة والعلوم الاجتماعية والانسانية المعاصرة وأهم قضاياهما مما يسهل مهمة العلماء والمثقفين والمفكرين المشتغلين بالعلوم المعاصرة وقضايا المجتمعات في الرجوع الى التراث ووصل فكرهم وقضاياهم بمنابعه وغاياته وتوجيهاته.

كما ان تيسير التراث لا يقتصر على توفير الوسائل المطلوبة لتبويب التراث بل يقتضي أمرا آخر وهو تيسير فهم التراث وتيسير التعامل مع مادته المبوبة، الأمر الذي يقتضي العمل على تيسير جوانب المصطلحات التراثية ووضعها في

صور وقوالب يسهل على عامة العلماء والباحثين والمفكرين التعامل معها والاستفادة منها وخاصة علم الحديث ومصطلحاته. فلابد لتيسير التعامل مع التراث من تقديم المصطلحات التراثية بشكل موحد وبلغة واضحة ميسرة يتم على أساسها فهم النص ودلالته وحجيته دون كبير عناء.

الأمر الثاني:

القيام بتبويب نماذج من النصوص التراثية وتقديمها الى العلماء والهيئات العلمية تسهيلا للتصور والعمل في انجاز التبويب الذي يتناول كميات هائلة من كتب التراث الجيد المنتقى الذي كونته عقول الأمة على مر العصور والأجيال والذي يستوجب جهود أجيال من عمل علماء الأمة وباحثيها لاعادة نشر هذه الأعمال مبوبة ميسرة. والى جانب النماذج المبوبة فسيسعى المعهد الى تيسير جهود المعنيين بالعمل في مجال تبويب التراث الى التعريف بألف من أهم كتب التراث الجيد السليم الموسوعية وتوضيح أهميتهما لمن يشاء القيام بتبويبها.

د - الموسوعة التراثية:

وعمل المعهد في مجال التراث وتيسيره سيأتي باذن الله في شكل موسوعة علمية مكونة من عدة أجزاء، وتقدم الوسائل والنماذج المطلوبة على الوجه العام التالي:

الجزء الأول:

يتناول وسائل تيسير التبويب وتتعلق باستخدام الحاسب الآلي وتسخيره لتسهيل العمل في التبويب وذلك بتكوين نظام مفاتيح في كل مجال من مجالات

المعرفة المعاصرة يناسب ذلك المجال وبالاسلوب الذي يمكن الحاسب الآلي من استخلاص المادة الخاصة بذلك الكتاب المقصود.

وبالطبع فان فصل المادة المطلوبة في كل مجال ولكل قضية بواسطة الحاسب الآلي سوف يوفر قدراً كبيراً من الجهد والوقت دونه يصعب تصور عمل واسع فعال في تيسير التراث.

وقد بدأ المعهد بالفعل العمل لاعداد المفاتيح المطلوبة لتسخير الحاسب الآلي.

وباستخدام هذه المفاتيح سوف يصبح جهد العلماء منحصراً في تدقيق المادة العلمية التي قام الحاسب الآلي باستخلاصها واعدادها للنشر أو التخزين على برامج تراثية باستخدام الحاسب الآلي.

والحاسب الآلي كما هو واضح سوف يساعد في وجوه ثلاثة:

١ - تسهيل تحقيق كتب التراث بتسهيل مقارنة نصوصها المختلفة.

٢ - تيسير استخلاص المادة العلمية التراثية في كل موضوع وقضية باستخدام مفاتيح كل علم ومجال وقضية علمية.

٣ - تخزين المادة العلمية التراثية المبوبة على شكل برامج يسهل رجوع الباحثين اليها.

ويلاحظ ان استخدام الحاسب الآلي لتيسير تبويب أعمال التراث لا يقتصر على تأليف نظام المفاتيح بل يقتضي أولاً تطويع نظام الحاسب الآلي العربي الكترونياً لأعمال التبويب.

والمعهد يقوم ببذل الجهود مع شركات انتاج وتطوير الحاسب الآلي العربي لاحداث التطوير المطلوب، والذي يتلخص بالدرجة الأولى في ادخال نظام التصوير الألكتروني والموجود فعلاً في أنظمة الحاسب الآلي بلغات أخرى. وادخال هذا النظام الى الحاسب العربي سوف يسهل مهمة العمل في ادخال

المادة التراثية المطلوب تحقيقها أو تبويبها ونرجو أن يتم ذلك قريبا وفي مدى زمني يواكب اكمال نظام مفاتيح التبويب.

الجزء الثاني:

ويتناول تيسير مصطلحات التراث وعلومه، وهذه تتناول في الأساس مجالات ثلاثة هي:

١ - مجال علم الحديث ونقد سنده ومتنه وتعديل وجرح رجاله والمصطلحات المستخدمة فيه.

٢ - مجال مصطلحات علم الفقه وأصوله.

٣ - منهجية علم التاريخ الاسلامي ومصطلحاته.

والمطلوب هو تقديم دراسات توحد المصطلحات وتيسرها وتشرحها وتوضح خلفياتها وتقدمها بأسلوب واضح ميسر منسق بشكل يسهل على الباحثين والمثقفين والمفكرين تداوله واستخدامه والقياس عليه وبناء الأحكام السليمة بمقتضاه.

وفي ضوء هذه الدراسات والصور الجديدة الميسرة للمصطلحات وفهم خلفيات المادة التراثية والمناهج التي سارت عليها واتبعتها فان عمل الباحث والدارس سيكون ميسرا وسوف تتوفر له بذلك منابع التراث بشكل صحيح سليم.

الجزء الثالث:

وتتناول فيه الموسوعة نماذج من كتب نصوص الاصول والكتب الموسوعية وتقوم بتبويبها واعداد المقدمات اللازمة لها التي توضح الخلفيات الضرورية لفهم النصوص المبوبة ونقدها كما تذيلها بالحواشي الشارحة والموضحة للمادة

والمصطلحات التي تحتاج الى شرح أو تعليق، وتلحق تلك الأعمال بالفهارس اللازمة والضرورية لحسن وسهولة استخدام تلك المادة.

الجزء الرابع:

وتقدم فيه الموسوعة دراسة لألف كتاب من كتب التراث تقوم بانتقائها من كتب التراث وتنهل بها من الفكر الصحي السليم لعلماء الأمة ومفكريها من رجال السلف وتتجنب كتب فكر الانحراف والتخلف والغلو والتطرف الذي مثل أمراض الأمة وتدهورها وأفقدها شموليتها وتوازنها وجديتها وفاعليتها.

وفي هذا الجزء يتم التعريف بكل كتاب وخلفيته ومؤلفه وعصره ومنهجيته الأساسية والقضايا الكبرى التي يهتم بها ووجوه التبريز والابداع أو القصور والمؤاخذة على الكتاب مادة ومنهجا وانجازا مع تقديم كافة المعلومات التي تسهل مهمة الحصول عليه لمن شاء خدمته وتبويبه.

الجزء الخامس:

ويقصد بهذا الجزء من خطة العمل في خدمة التراث اصدار مجموعة سلاسل من الكتب التراثية المتخصصة في المجالات المختلفة، فالكتب التراثية كما سبق أن وضحنا ان منها ما هو موسوعي تسترسل فيه الكتابة وتتداخل مجالاتها، وهذه كتب لابد من اعادة تبويبها وفق مجالات العلوم والمعرفة المعاصرة. أما الكتب التي بطبعها اقتصرت على قضية واحدة أو مجال واحد فالأولى بهذه الكتب والأيسر هو اصدارها كاملة مع تحقيق جيد يسهل استخدام تلك الكتب.

والمعهد يعتزم ـ باذن الله ـ اصدار سلاسل من الكتب التراثية في مجالات العلوم والمعارف المختلفة تمثل نماذج لهذا اللون من الاصدار مكملا لأعمال

الموسوعة التراثية في توضيح طبيعة الجهود المطلوبة لخدمة نفائس التراث وتيسرها لعلماء هذا العصر وباحثيه ومثقفيه.

والمأمول إن شاء الله أن يتمكن المعهد من أن يضع أمام المثقف المسلم من خلال كتب هذه الموسوعة وما يصدر عنه وعن سواه من العلماء والهيئات العلمية الاسلامية من مجموعات أهم الكتب المتخصصة وغير المتخصصة مع ما يصحبها من دراسات نقدية وتحليلية توضح رؤية الأسلاف الاسلامية ومنهج بلورتهم لتلك الرؤية على عصورهم وعلاقة ذلك بقضايا تلك العصور والقوى المؤثرة فيها وكيف حركت تلك الرؤية أولئك الأسلاف وكيف ترجموها الى أعمال حضارية ومناهج تطبيقية في الأفعال والسلوك، وكيف أعانتهم تلك الرؤية على حل ما واجهوه من مشاكل وصعوبات وتحديات.

اننا نرجو أن تضع هذه الموسوعة المثقف المسلم على طريق ممهدة الى التراث ليصل كل الى ما يريد في مجال تخصصه، اذ سنقدم له ـ في منهج موضوعي مألوف عنده ـ أفضل ما ساهم به التراث في مجموعة القضايا التي تشكل الموضوعات الرئيسية لمجال دراسته وتتخطى به نقص خبرته ودربته وعدم ألفه للغة التراث وكنوزه.

ومن خلال هذه الجهود العلمية المنهجية في التعريف بالتراث وتحقيقه وفهرسته وتبويبه وشرحه يصبح المثقف والعالم باذن الله مؤهلين للإجابة على ثلاثة أسئلة هامة هي:

الأول: ما هي مساهمة التراث الاسلامي ابتداء من القرآن الكريم وانتهاء بالمجددين المسلمين المحدثين في جملة القضايا التي يثيرها هذا العلم؟

الثاني: كيف تتطابق أو تتعارض مساهمات التراث الاسلامي مع ما أنجـــزه هذا العلم؟ وأين وصل التراث الى مستوى رؤية هذا العلم وآفاقــه؟ وأيــن يتفــق معها وأين يخالفها ويتميز عنها وفيم تخطاها أو قصر عنها؟

الثالث: في أي اتجاه يحسن أن تبذل جهود المسلمين لكي تستوعب الجيد من المعارف الحديثة ولكي تحدث التعديل المطلوب في مسار هذه المعارف لكي تـؤدي أهداف الرؤية الاسلامية؟ وكيف يجب أن توجه جـــهود المسـلمين لكـي تواجـه التحديات المعاصرة وتسد وجوه النقص وتعيد صياغة القضيــة وتوســع مـدى الرؤية الاسلامية حتى تصبح الرؤية الانسانية الحضارية الحاكمة التي أرادهـا الله للناس في هذه الأرض؟

د - التمكن من المعرفة المعاصرة:

تمكين الفكر الاسلامي والمثقف المسلم من استيعاب المعـارف الحديثـة أمـر ضروري لتحقيق اسلامية المعرفة، فانـــه إذا كـانت قـد تمـيزت أعمـال الـتراث الاسلامي في مجالات دراسات الفطرة الاجتماعية والفطرة الطبيعيـة بالتـأملات الفردية العميقة إلا أن الفكر المعاصر غير الاسلامي بعــد أن اسـتوعب المعـارف الاسلامية والمنهجية الاسلامية الاستقرائية والتجريبية دفـــع بــها في قـوة الـى مجال دراسات الفطــرة الاجتماعيــة والفطـرة الطبيعيـة وانتقـل بــها مــن دور التأملات الفردية الى الدراسات المتعمقة المنظمة بمعايير ومنـاهج للقيـاس كـون بواسطتها تراكمات هائلة تكون ما نعرفه لدى غير المسلمين من معارف وعلـوم اجتماعية وانسانية وطبيعية وتطبيقية يعتد بها وتجني الانسانية كثيرا من حلـو ثمارها ومره في كل مجال من مجالات الحياة.

وبهذه المناهج والعلوم وثمارها خاصة في مجالات التنظيم السياسي والتعليمي والاقتصادي والعسكري والتكنلوجي تمكن الغرب من احراز سبق هائل في البناء المادي الحضاري وفي غزو العالم الاسلامي سياسيا واقتصاديا وعسكريا وثقافيا وحضاريا، وذهل المسلمون من جراء هذه الهجمة الساحقة وتسابقوا الى بلاد الغرب ومعارفه يطلبون فيها العلاج لأدوائهم والقدرة لضعفهم والانتصار لهزيمتهم، ورغم مر العقود والقرون فما زال عجزهم يتنامى ومعاناتهم في ازدياد، لم يملكوا ناصية المعرفة والقدرة التي ينكفئ في طلبها أبناؤهم يوما بعد يوم وجيلا بعد جيل رغم استظهارهم لها حرفا حرفا، وكأنها شيء من نفائس التراث وعيون الشعر.

ومن اسباب هذا العجز عن بلوغ التحصيل المطلوب أنهم يأخذون هذه العلوم والمعارف والتنظيمات في تجزئة وعلى علاتها دون تمحيص ولا غربلة ولا ادراك لما يخالطها من غايات وقيم ومفاهيم تتعلق بأصحاب تلك المعارف وقيمهم وغاياتهم وتكوينهم النفسي.

وهذه التجزئة والحرفية في منهجية معارفنا المتأخرة التي بها أخذنا في تلقي معارف الغرب هي التي منعتنا من القدرة على الدراسة العميقة النقدية الشاملة التي يمكن أن ندرك بها كليات معارف الغرب ولباب حضارته والفلسفة التي بنيت عليها والغايات التي تستهدفها والقيم التي تعكسها.

ولذلك لم نتمكن من ناصية تلك العلوم ولم نحقق القدرة الابداعية في مجالاتها وبقينا تبعا وعالة على تلك المعارف لا يستقيم لنا صرح علمي ولا تزدهر لنا حضارة علمية ونعود نرسل الى بلاد الغرب وحواضر الغرب النابهين من أبنائنا جيلا بعد جيل وفوجا أثر فوج.

وحتى يمكن أن نضع حدا لـهذا العجز وهذه المرارة، وحتى يمكن أن ننمـي في كياننا طاقات المعرفة وقدرات الابداع فلابد لنا من استيعاب المعارف الحديثـة وهضمها وتمثل طاقاتها المبدعة بشكل سـليم. وهـذا يتطلـب أولا أن نعـي وأن نـزود بالفهم الشمولي والدراسة النقدية الموضوعية للحضـارة الغربيـة أصـلا ومنبعا وغاية وفلسفة وانجازا.

ان القبول الجزئي الأعمى والرفض الشـامل المتشـنج لا يفيداننـا شـيئا في مواجهة التحديات المعاصرة التي لا يمكـن أن نتغلـب عليـها إلا أن نتمكـن مـن امكانات الحضارة الحديثة وطاقاتها ثم نتقدم الى ما وراءها مما هو أشـمل في الدلالة وأزكى في العطاء.

هذا لا يعني اننا حين ندرس معطيات الحضارة المعاصرة ونتمكن منها اننـا سنقوم بأعمال الدعاية وفتح الصـدور للغـزو الثقـافي والمسـتعمر الاجنبـي. ان التمكن من هذه الحضارة وطاقاتها العلمية والحضارة يجـب أن يتـم في الاطـار الصحيح الذي يفتح العين ويوضح الرؤية على مادانت به الحضـارة المعـاصرة للاسلام والحضارة الاسلامية، هذه الحضـارة التـي بنيـت انجازاتـها العلميـة والتكنلوجية على ما قدمناه لـها من مفاهيم ومناهج وانجازات لم تكن معروفـة قبلها مما يجعل هذه الحضارة تراثا انسانيا المسلمون من بناتـه وأولـى النـاس بالتمكن منه وباستنقاذه وتناوله من جديد بالترشيد والاصلاح والتنمية.

وفي الوقت نفسه يجب التنبه للشـوائب العقيديـة والاخلاقيـة التـي شـابت الحضارة الانسانية على يد غير المسلمين وتحولت الى عـائق عـن القـدرة علـى التلقي المباشر المفيد منها. فالتقليد والتناقض العقيدي الذي يدخل على كياننا اذا لم نفهم معنى ما نأخذه عن غير المسلمين وننقيه من شوائبه ومستنقعاته سيزيد

ويضاعف من عوامل ضعفنا وقصورنا وتمكين قوى التسلط والغزو من ديارنا وامكاناتنا.

وللمساعدة على تحقيق هذه النظرة الناقدة الشمولية للحضارة الغربية المعاصرة، يعمل المعهد على تقديم دراسات مسح شمولية للعلوم الحديثة، خاصة العلوم الاجتماعية والانسانية الأساسية، تبين الخطوط الأساسية لكل علم من تلك العلوم وقضاياها الرئيسية ومناهجها وانجازاتها العلمية وأهم الكتب والمصادر الأساسية له، وأهم أوجه النقد التي تتعلق به من وجهة نظر رجال ذلك العلم ومن وجهة النظر الاسلامية، ويقدم مثل هذا مرجعا أساسيا شموليا يزود العالم المسلم في ذلك الحقل باحاطة شمولية ناقدة تمده بالقدرة والاستقلالية الفكرية الضرورية لاي نمو علمي ومساهمة فكرية اسلامية في هذا المجال.

ويأمل المعهد بعد ذلك اصدار دراسة شاملة مختصرة هي خلاصات لتلك الدراسات تعرض الحضارة المعاصرة عرضا شموليا علوما وتاريخا وجذورا وفلسفة وقيما ومناهج ونقدا تحليليا موضوعيا يزود العالم المسلم والمثقف المسلم بالنظرة الشمولية الاستقلالية ليس فقط تجاه القضايا والعلوم وانما تجاه الحضارة والغزو الحضاري وتساهم في اعادة بناء الشخصية العلمية وبلورتها واستقلاليتها.

ان تمكن العالم المسلم من ناصية العلوم الحديثة وبلورة وعيه الشمولي النقدي الموضوعي تجاه الحضارة المعاصرة ووصل جذوره بقيم الاسلام وغاياته وزبدة فكر اسلافه ونفائس تراثه أمر أساسي وشرط مسبق وأدوات ضرورية وأساسية لنملك ناصية الابداع الاسلامي والقيام بأداء واجب اسلامية المعرفة في فكر وعطاء علمي وحضاري اسلامي قادر يوسع آفاق الحضارة

الانسانية ويزود الانسان بالقدرة على الخلاص مما يطبق على آفاقه من مخاطر وما يلاحق كيانه من مشاكل ومعضلات.

وخطة المعهد لتمكين المثقف المسلم من ناحية الثقافة المعاصرة تتألف من الخطوات التالية:

الخطوة الأولى:

استكتاب ثلاثة في كل علم أو مجال علمي اجتماعي عن العلم بشكل كامل في حدود الف صفحة.

الخطوة الثانية:

يقوم عالم بمقابلة النسخ واستخلاص نسخة موحدة يستبعد فيها التكرار بكل ألوانه.

الخطوة الثالثة:

اعداد ملف علمي من تلك المادة مع مقدمة عن المشروع وغاياته في خدمة العالم المسلم للتمكين والمعرفة والشمولية والتعامل المستقل وأسس النقد الاسلامي، ويوزع هذا الملف على مكتبات الجامعات الاسلامية (حوالي ١٨٠ - ٢٠٠صفحة). ثم ينظر فيما بعد اذا كان هناك طلب يبرر طبع ذلك في كتاب واعداده للبيع.

كذلك لا مانع من محاولة الدخول في مشروع مشترك مع الهيئات العلمية لترجمته الى اللغات الاسلامية لتوسيع دائرة المعرفة والتمكن.

الخطوة الرابعة:

يكلف عالم متخصص بدراسة الملف والخروج بكتاب يتكون من بعض أجزاء المادة واختصارات لأجزاء أخرى ويقع الكتاب في حوالي ١٥٠ صفحة أي بحجم مقروء دون كبير عناء، وليس القصد من هذا الكتاب التفصيل العلمي والفني بل يقصد به بالدرجة الأولى النظرة العامة والشمولية التي يستفيد منها الفني وسواه معرفة عامة وشمولية ايضا مع ادراك لأسس النقد الاسلامي. ويطبع الكتاب ويترجم.

الخطوة الخامسة:

دفع العلماء المسلمين الى كتابة مقالات ومناقشات لقضايا هذه الكتب وفكرة الشمولية وآثارها في الاستقلالية الفكرية كجزء من قضية اسلامية المعرفة.

الخطوة السادسة:

يقوم فريق علمي بكتابة كتاب كامل مقارن عن الحضارة الغربية ككل، جذورها وأسسها الفلسفية وغاياتها ومنطلقاتها وخصائصها الزمانية والمكانية وتاريخها العام وانجازاتها ومناهجها ونقدها الغربي ونقدها الاسلامي. مع مقدمة توضح الغاية من الدراسة في الفهم الشمولي واستقلالية التعامل وفهم وجوه القوة والضعف ووجوه الاستفادة ومحدوديتها الزمانية والمكانية مع نظرة مقارنة موجزة مع فلسفة مفهوم الحضارة الاسلامية واختلاف الغايات والجذور الفلسفية.

ويقوم الكتاب على الكتب السابقة عن العلوم الغربية مع بعض الكتب عن الحضارة الغربية عامة.

ويعتبر هذا الكتاب الزبدة والخلاصة في التغيير والاعداد الفكري للعقل المسلم ولشمولية العمل وموضوعيته وعرض الفكرة في أمثلة ونماذج وحديث محدد عن التاريخ والمنطلقات والمجالات والمنجزات.

وتأكيد فكرة الاستعلاء العقيدي والأخلاقي الاسلامي وأثره في بدء التغيير الغربي والأسس التي يلبس بها ثم انهياره العقيدي والأخلاقي بعد نجاحاته المادية وبعد تأثره بالمؤثرات الاسلامية وتنكره لها ووجوب الاستمساك بالمنطلقات العقيدية والاخلاقية الاسلامية أساسا ضروريا للانطلاق الحضاري واطارا للاستفادة من الانجازات العلمية المادية والمنهجية الغربية.

ويكون هذا الكتاب في حدود ٢٠٠ - ٢٥٠ صفحة ليكون مقروءا وسهل الترجمة إن شاء الله.

هـ - الكتب العلمية المنهجية:

وكما سبق ان ذكرنا فان خطة عمل المعهد تقتضي المساهمة في توضيح الرؤية ومساعدة رجال الأمة ومؤسساتها على البناء على أسس سليمة والسير على الطريق القويم وذلك بتقديم نماذج من الأعمال المطلوبة لاعداد العالم المسلم والمثقف المسلم واصلاح الفكر الاسلامي واقامة أسس العلوم الاجتماعية الاسلامية وتحقيق اسلامية المعرفة وذلك بتقديم نماذج من أعمال التراث تضم بطاقات مصنفة حسب تقسيمات كل علم من العلوم في مجالات اصول الاسلام (القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف)، ومن الجيد من نفائس التراث وذلك لاقامة الصلة بين المثقف المسلم وجذوره التراثية.

وكما سبق أن ذكرنا فان المعهد يعمل على اصدار دراسات شمولية نقدية للعلوم الحديثة والحضارة المعاصرة وذلك لتمكين المثقف المسلم من التمكن

الواعي من ناصية العلوم الحديثة والحضارة المعاصرة وتحقيق الاستقلالية الفكرية والنفسية تجاهها.

والى جانب هذين المجالين وهذين النوعين من أنواع الأعمال الأساسية النموذجية فان المعهد يعمل على استكتاب المفكرين والعلماء المسلمين، المتمكنين من التراث والمتمكنين من العلوم الحديثة الذين يتميزون بالابداعية والاستقلالية الفكرية مما يؤهلهم للعطاء في مجال اسلامية المعرفة.

والمقصود من عطائهم أولا ريادة مجالات اسلامية المعرفة وارساء اركانها بتوضيح المنطلقات الأساسية الاسلامية وعرض قضايا العلوم الحديثة ومناهجها الأساسية ودراستها دراسة مقارنة توضح الرؤية الاسلامية في تلك المجالات وكيفية معالجة قضايا ذلك العلم في ضوء المنطلقات الاسلامية واجراء دراسات نموذجية تطبيقية في تلك المجالات مما يساهم في تيسير الأمر للعلماء المسلمين في تلك المجالات ليدركوا المقصود باسلامية المعرفة والمطلوب منهم موالاته واستكماله ولينسجوا على منوالهم ويوسعوا دائرة البحث والدراسة فيما بدأوه وشقوا طريقه.

ومن هذه الأعمال العلمية الأساسية تتكون ثمرة الاستكتاب في شكل مقالات وأبحاث وكتب تتم من خلال التعاون مع دعوات المعهد وخطة ندواته ومؤتمراته ودورياته ونتيجة للتفرغ الجزئي أو الكلي الذي يتم في المعهد وباشرافه وحسب ظروف وامكانات كل عالم ومفكر وما يتوفر لدى المعهد من موارد لمن لا يستطيع حمل نفسه من العلماء.

وبتراكمات الأبحاث والكتابات وبتزايد وعي العلماء والمثقفين وانصرافهم لامتلاك ناصية مؤهلات اسلامية المعرفة يأمل المعهد أن يتمكن من انجاز كتب علمية منهجية في مجالات المعرفة المختلفة من منظور اسلامي رفيع أصيل.

فجهود المعهد في النهاية انما يقصد منها بلورة كتابات علمية منهجية تخدم الساحة العلمية الاسلامية كنماذج رائدة للكتابات المنهجية العلمية من منظور الاسلام ينسج على منوالها علماء الاسلام ومفكروه ومثقفوه وتصبح اسلامية المعرفة قضيتهم ومنوال ممارساتهم العلمية والفكرية.

و - أولويات البحث العلمي:

وأولوية المعهد في البحث والاستكتاب والتأليف خلال السنوات الخمس التالية، هي كما يلي:

أولاً: علم المنهجية:

وهو أساس للعمل والبحث في كل علم عداه، فلابد من تمحيصه وتطويره واصلاحه ليأخذ الشمول الذي يتسم به الاسلام ويصبح متصلاً بمصادر الفكر الاسلامي في الوحي والعقل بشكل سليم، وليستفاد منه في قضايا الحياة واحتياجاتها الفكرية والتربوية والتنظيمية كافة.

ثانياً: العلوم السلوكية:

والمقصود بهذه العلوم علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الانسان وأهمية هذه العلوم التي تجعل أولويتها تأتي مباشرة بعد علم المنهجية هو أن هذه العلوم تضم الأسس الفكرية التي تبني عليها كافة العلوم الاجتماعية والانسانية ومنهجية العلوم الطبيعية، فهذه العلوم وفرضياتها هي التي تحدد مفهوم الحضارة الحديثة لمعنى الانسان وغاياته ومغزى وجوده وانجازه، فكانت هذه العلوم في الجوهر هي التنظير في أصل كل علم اجتماعي، وان العلوم الاجتماعية والانسانية الأخرى انما هي تطبيق لتلك الفروض والمفاهيم والنظريات.

ولذلك فان اسلامية هذه العلوم وبلورة المفـاهيم والمنطلقـات الاسـلامية في مجالات قضاياها الكبرى تحتل أولوية هامة في جهود اسلامية المعرفة، وانجـاز الكتب المنهجية الأساسية في مجالاتها أساس لانجاز الكتب العلميـة المنهجيـة في سواها من العلوم، ودون ذلك تظـل هنـاك حلقـة مفقـودة في اسـلامية العلـوم الاجتماعية والانسانية الأخرى لا تتم دون استكمالـها.

ثالثا: علم التربية وعلم السياسة:

ويأخذ العلمان أهميتهما في أنهما يمثلان الحلقتين الأساسيتين اللتين تكونان كيان الأمة فالأول يمثل علم تنشئة الفرد والثاني يمثل علم بناء نظام الجماعـة، وهما من اهم وألصق العلوم بـالعلوم السـلوكية، ويمثـلان تطبيقـات مباشـرة لفرضياتها ومفاهيمها كما يمثلان في نفس الوقت نقطة ضعـف ووجـه قصـور ملموس في كيان الأمة الاسلامية، فواقع تكوين الفرد في الأمة الاسلامية وواقـع تنظيمات المجتمع العامة في البلاد الاسـلامية هـي النقيـض لكـل مايـهدف اليـه الاسلام ويأمله المخلصون، وتمثل قاعدة الضعـف والفسـاد والـهدم في كيـان الأمة الاسلامية، ولذلك فمن المهم المبـادرة الـى اصـلاح هـذه العلـوم وبلـورة المفاهيم الاسلامية في مجالاتها ودراسة هذه المجالات بعمق وامتحان فرضياتـها ووسائلها والعمل على أن يأتي التنظير والتنفيذ الاسلامي البديل علميـا محققـا للدعاوى والفرضيات التي نرفعها ونبني عليها.

رابعا: علوم الاقتصاد والادارة والاعلام والفنون:

وهذه العلوم هي في مجملـها وسـائل هامـة في تسـيير حياتنـا وتوجيهـها تتكاتف مع ما سبق من مجالات في تكويـن هيكـل البنيـة الأساسـية للمجتمـع

المسلم، كما انها ترتبط معها برباط مفاهيم العلوم السلوكية مما يسهل مهمة العمل ويهون الجهد المطلوب لأسلمة هذه المجالات.

وقد بدأ المعهد جهوده في أسلمة هذه العلوم العشرة وبلورة المفاهيم الاسلامية الأساسية فيها بعقد المؤتمرات العلمية الدولية والحلقات الدراسية العلمية، يجمع لها العلماء المسلمين من شتى بقاع الأرض، كما بدأ أعمال الاستكتاب واصدار الأبحاث والمؤلفات في هذه المجالات التي بدأت تتوالى في أيدي القراء من العلماء والمثقفين. وخطة المعهد في هذا الجانب واسعة طيبة الثمار متعددة الجوانب بفضل الله ثم بفضل وعي العلماء والمفكرين والمثقفين وتعاونهم مع المعهد لانجازها تفهما منهم لأهمية قضية اسلامية المعرفة وأولوياتها في ارساء القواعد والمنطلقات.

ز - تكوين الكوادر العلمية:

من الواضح أن قضية أزمة الفكر الاسلامي ومنهجيته وقضية اسلامية المعرفة وازدواجية نظام التربية والتعليم وضرورة اسلامية هذا النظام وتوحيده هي ما تزال الى حد كبير حتى اليوم في الحقيقة مجرد فكر ورؤية.

كما ان من الواضح ان العناصر العلمية والمثقفة المستوعبة للثقافتين الاسلامية والمعاصرة والقادرة على الاداء والابداع في مجال الفكر الاسلامي واسلامية المعرفة عددها محدود وأقل منه عدد العناصر الراغبة أو التي تسمح لها مسؤولياتها الحياتية بمزاولة العمل الفكري التعليمي التربوي في هذه المجالات.

ولذلك لابد للمعهد أن يبذل الجهود كافة، مستفيدا من سائر أقنيته ووسائله لاعداد الكوادر العلميـــة المطلوبـة للقيـام بـالأدوار اللازمـة لاسـلامية المعرفـة وايصالـها الى الشباب.

وسبب اهتمام المعهد بــاعداد الكــوادر العلميـة الرغبـة في تـلافي الفشــل أو التخبط والقصور الذي ينشأ لا لسبب الفكر أو ضعف التصور ولكن بسبب عدم وجود الكوادر المطلوبة للأداء أو التقصير في اعدادها وتكوينها التكوين الصحيح المطلوب بالمواصفات والاعداد المطلوبة لحمل الفكر وتنفيذ المطلوب وهذا الســبب كان في تصورنا من أهم أسباب فشل عدد من المؤسسات العلمية والتعليمية التي تبنت بشكل أو بآخر جانبا أو آخر من قضايا اسلامية المعرفة التي رفعت لواءها جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين وذلك ان تلــك المؤسســات لم تـدرك أهميـة تربية الكوادر العلمية بالشروط الصحيحة.

ولذلك فان المعهد لم ير مهمته قاصرة على مجرد البلورة الفكرية والدعــوة والحوار والنشر ولكنه يرى انه تتعدى ذلك الى اعداد الكــوادر العلميـة المؤهلـة المطلوبة لحمل طلائع الرسالة وأداء العمل الريادي المطلوب بكل الوسائل الممكنة.

وخطة المعهد في اعداد الكوادر المطلوبة تتم على عدة وجوه ومستويات هي: التفرغ العلمي والتفــرغ التعليمــي ودراســات الاســتاذية ومــا بعـد الدكتــوراه والدراسات الجامعية والعليا والمنح الدراسية والاشراف على الرسائل الجامعية. ونوضح هذه الجوانب كما يلي:

أولا: التفرغ العلمي:

والتفرغ العلمي هو وسيلة هامة من وسائل اعداد الكوادر العلميــة وتنميـة قدراتها في وجه أو آخر من وجوه البحث والدراسة. ويبحث العلماء والدراســون

عادة عن المراكز العلمية التي توفر لـــهم الخدمـات المكتبيـة والأجـواء العلميـة لقضاء فترة تفرغ علمي كثيرا ما تكون فترة صيف أو عام كامل، وفي قاعات هذه المراكز يتم البحث العلمي وتدور الحوارات العلمية التي تترك أثرهـا في الأبحـاث والدراسات التي يقوم بها هؤلاء الدراسون.

وبالطبع فان المعهد من خير المراكز العلمية التي يستطيع العلماء المســلمون قضاء فترات تفرغهم العلمي فيها لما توفره مباني المعهد ومكتبتــه مـن خدمـات فنية جيدة للأساتذة المتفرغين من ناحية ولحسن اختيار الموقع في منطقــة هامـة آمنة على مقربة من عدد من أكبر مكتبات العالم وعدد من أهم الجامعات العلمية في هذا البلد، ولما تتميز به المنطقة من اعتدال المناخ وسهولة الاتصال بكافة ألوانه بالداخل والخارج. ولوجود نخبة متميزة من الأساتذة الذين لـهم قصب الســبق في مجال اسلامية المعرفة وباع الريادة فيها.

وامكانية المعهد للتفرغ العلمي الذي يقوم به الاســاتذة المسـلمون بنفقتـهم الخاصة أو بنفقة جامعاتهم ومؤسساتهم العلمية للبحث العلمــي فيمـا يختـص بقضايا اسلامية المعرفة تتسع لعدد وافر منهم، ويستطيع المعهد أن يقدم اليـهم ما يحتاجون اليه من خدمات مكتبية وفنية وحــوارات علميـة بشـأن مواضيـع بحوثهم العلمية التي تتصل بقضايا الفكر الاسلامي واسلامية المعرفة.

أما ألوان التفرغ العلمي الأخرى التي تقتضي مســاهمة ماليـة مـن المعـهد بشأن توفير نفقات اقامة العالم أو المفكر وما اليها فان امكانية المعهد في توفيرها تتوقف على اهمية المشروع العلمي الذي يرغــب العـالم أو المفكـر في القيـام بـه ومدى أولويته لدى المعهد ومدى تأهيل المتفرغ للبحث الأصيل المبـدع في مجالـه الى جانب مدى توفر الميزانية المطلوبة لذلك التفرغ لدى المعهد.

والمعهد يأمل أن يتلقى من أصحاب القدرة من المسلمين ومن الهيئات الاسلامية المهتمة باسلامية المعرفة واصلاح الفكر الاسلامي الهبات والمنح الدراسية لتوفر نفقات التفرغ العلمي للاساتذة في هذه المجالات.

ثانيا: التفرغ التعليمي:

وهذا اللون من الدراسة يقصد به خريجو الدراسات العليا الذي تحصلوا على درجة الدكتوراه وقد تم اعدادهم فنيا في حقول المعرفة التي تخصصوا فيها ويرغبون في استكمال قدراتهم في المعرفة الاسلامية من ناحية وفي الدراسة العلمية لمفاهيم اسلامية المعرفة على يد كبار الاساتذة الذين يضمهم برنامج المعهد.

وهؤلاء الدارسون يعد لهم برنامج دراسة علمية يتتلمذون فيه على يد عدد من العلماء العاملين في المعهد على شكل حلقات دراسية وقراءات وحوارات ومناقشات علمية يتم فيها استكمال اعداد هؤلاء الدارسين في جوانب المعرفة المطلوبة للتمكن من مصادر الفكر الاسلامي وقضايا ومفاهيم اسلامية المعرفة، ويقوم كل واحد منهم خلال ذلك باعداد عمل علمي تحت اشراف أحد هؤلاء الاساتذة في قضية من قضايا اسلامية المعرفة لتنشر في عمل علمي رائد في مجال اسلامية المعرفة.

وهذا البرنامج من أكثر البرامج فائدة وأقصرها في اعداد الكوادر العليا أمدا واسرعها نتيجة إلا أن الأعداد التي يمكن ان يتبناها المعهد تحدها امكانية المعهد في تقديم المنح الدراسية والتسهيلات اللازمة لتحمل نفقات هؤلاء الدارسين.

ثالثاً: الدراسات العليا:

وهي أكثر الصور شيوعاً في اعداد الكوادر العلمية حيث يتم اختيار العناصر النابهة من الخرجين الجامعيين في مختلف الاختصاصات الاجتماعية والانسانية وضمها الى برامج للدراسات العليا يتم فيها صقل هؤلاء الطلاب في اختصاصاتهم وتنمية استعداداتهم. ويضيف المعهد الى البرامج برنامجاً اسلامياً يمكن هؤلاء اطلاب من مصادر الفكر الاسلامي والأدوات العلمية اللازمة لذلك، ويساعدهم على فهم التراث الاسلامي واسهاماته، وحسن التعامل معه، كما يمكنهم من مفاهيم اسلامية المعرفة بمختلف جوانبها وأدواتها العلمية على يد أساتذة المعهد ثم يعينهم على توجيه رسائلهم العلمية نحو خدمة اصلاح الفكر الاسلامي ومنهجيته واسلامية المعرفة في فروع تخصصهم وبذلك يتم تأهيل هؤلاء الشباب ليكونوا كوادر علمية ذات اختصاص رفيع تتميز بالقدرة والتفوق العلمي والمعرفة الاسلامية، كما تجيء رسائلهم العلمية مساهمة في أعمال اسلامية المعرفة وبلورة مفاهيمها وتطبيقاتها العلمية المعاصرة.

وبالطبع فان المعهد يملك القدرة الفنية على انشاء هذه البرامج التي تشتد اليها الحاجة لا بسبب توجه المعهد نحو اسلامية المعرفة فقط ولكن ايضاً لتزايد الصعوبات أمام الشباب المسلم وتفاقم الضغوط العلمية عليهم لتبني مفاهيم أجنبية معادية لأمتهم تنبع من موقف تاريخي حاقد طامع في أمتهم لم تعد تخفى عليهم آثاره، كما يملي عليهم قضايا ومنطلقات كثيراً ما تكون ضارة بنموهم العلمي الاسلامي وبمصالح أمتهم الحضارية.

وقد قام المعهد العالمي للفكر الاسلامي بتسجيل معهد علمي للدراسات العليا[1] سيكون برنامجه _ باذن الله ـ من أقوى وأفضل البرامج العلمية في مجال العلوم الاجتماعية والانسانية اى جانب مادته في اعداد الطالب في مجال الثقافة ومصادر الفكر الاسلامي وأدواته ومناهجه مما لا يتمتع به أي معهد علمي للدراسات العليا في هذا البلد، كما سيتميز بما يختص به من الاساتذة العلماء والمفكرين الرواد في مجال اسلامية المعرفة الذين لا يتوفر نظائرهم في سواه من المؤسسات العلمية.

ويظل هذا البرنامج يعتمد في شأن طاقته وتوسع أعماله علة مدى ما يتوفر له من الموارد المالية لتقديم المنح الدراسية للنابهين من أبناء الأمة الذين لا يجدون النفقة اللازمة لمواصلة الدراسة.

رابعا: الدراسات الجامعية الأولية:

يستوجب الاعداد الصحيح للطلاب وشباب الأمم والكوادر العلمية تغذية أبنائها بمبادئها وقيمها وفلسفتها واهتماماتها ومصالحها الحياتية منذ نعومة أظافرهم لكي تتغلغل هذه القيم والمفاهيم والمنطلقات في نفوس هؤلاء الأبناء وتصبح طبيعة في هؤلاء النشء.

ولذلك كلما بدأ اعداد الطلاب في مرحلة أبكر من مراحل حياتهم كلما كان الأثر أعمق والجهد ايسر.

واقامة برنامج للدراسة الجامعية على أساس المنهج الاسلامي الذي يبني كيان المعرفة ومنهاجها منذ البداية على أساس غايات الاسلام وقيمه ومصادر

---

(١) – افتتح المعهد جامعة العلوم الاسلامية والاجتماعية في العام الدراسي ١٩٩٧/ ١٩٩٨ في الولايات المتحدة الاميركية.

معرفته أمر طبيعي ومطلوب ولا تقوم لأمة قائمة إذا لم تكن محاضن تربية أبنائها وتعليمهم في المرحلة الجامعية تمثل عقائد الأمة وغاياتها وفكرها ومنهجها واهتماماتها. ولكن من الواضح ان البرامج العلمية المطلوبة لمرحلة الدراسة الجامعية في مختلف مجالات المعرفة على اساس المنطلق الاسلامي وعلى أساس منهجية علمية اسلامية اصلية لا تتوفر اليوم وذلك لأن ارساء قواعد المعرفة الاسلامية العلمية الأصلية لا يزال في بدايته، كما ان الكوادر العلمية المطلوبة للأداء في تلك المستويات لم تتوفر بعد.

ان الأمل مستقبلاً ان تتسع امكانات المعهد للمساهمة في هذا السبيل مع بقية جامعات العالم الاسلامي، وسيكتفي المعهد في هذه المرحلة بالمشاركة بارساء قاعد المعرفة الاسلامية والعمل على توفير الكتب المنهجية في مختلف مجالات المعرفة مما ييسر المهمة على الجامعات والمؤسسات التي تستطيع مواردها ان تمكنها من اقامة البرامج الدراسية الاسلامية لمثل هذه المرحلة.

خامساً: الكتب المنهجية الجامعية وأهميتها:

وإذا كانت مزاولة التدريس الجامعي الأولى ليس مما يشغل بال المعهد في هذا الوقت فان خدمة هذه المرحلة من مراحل التعليم الجامعي تعتبر من أهم أولويات المعهد، ومن أهم ثمرات جهوده المختلفة في الاعداد والتمكن من التراث والمعرفة الحديثة، وفي الاستكتاب والتفرغ والحوار والنشر والبرامج الدراسية خاصة توفير الكتب المنهجية وذلك في سبيل بلورة الفكر الاسلامي ومناهجه وجعل المعرفة الاسلامية حقيقة واقعة.

وأهمية الكتب المنهجية الجامعية لصلاح الفكر الاسلامي واسلامية المعرفة لا تنحصر في انها كتب أساسية تدرس لمرحلة أساسية هامة في تكوين العقلية

المسلمة وقدراتها العلمية والفنية، بل تتعدى ذلك الى تكوين نماذج منهجية علمية متكاملة ضرورية لوضع جهود اسلامية المعرفة على أساس سليم.

فالكتاب المنهجي الجامعي يعني في حد ذاته تصوراً متكاملاً دقيقاً وناقداً بشكل منظم ومنتظم في المجال العلمي الذي تعرض له.

وبذلك فالكتاب المنهجي الجامعي يعني في صورته الصحيحة الواسعة خطة أساسية متكاملة في بناء التصور العلمي والفكري المعاصر الذي يمثل أساس التصور الحضاري للأمة.

وهكذا، فان المعهد باهتمامه البالغ بالكتاب المنهجي الجامعي لن يكون باذن الله غائباً عن ساحة هذه المرحلة الأساسية من مراحل التعليم الجامعي.

سادساً: المنح الدراسية والاشراف العلمي:

من أهم ما يجب التنبه له ـ في تشكيل مستقبل الأمة الاسلامية ومسيرة أصالتها الحضارية ـ ما يجري من تكثيف صياغة عقلية مثقفي الأمة الاسلامية وقياداتها الفكرية والسياسية والاجتماعية على نمط غربي في البلاد الغربية.

فبتأثير السيطرة السياسية على العالم الاسلامي واضطراره للتقليد والمحاكاة، ولتخلفه الحضاري، ورغبته في مواجهة التحدي، ورد كيد الطامعين، لذلك كله ولغيره شحنت جموع الشباب المثقفين ووجهت بأعداد كبيرة الى العواصم الاوروبية خلال القرنين الأخيرين. وكانت أهم هذه المراكز هي لندن وباريس عواصم القوى الاستعمارية التقليدية الكبرى التي حكمت العالم الاسلامي من المحيط الباسفيكي وبحر الصين الى شواطئ الأطلسي.

ومنذ سيطرة الدولتين العظميين أمريكا وروسيا في هذا القرن على مقاليد النظام العالمي تغيرت أساليب السيطرة والتوجيه وصاحب ذلك التركيز على

السيطرة الفكرية والثقافية والاقتصادية واستخدام النظم السياسية لتحقيق مصالح تلك القوى في صراعاتها العالمية. وقد تحول مئات الألوف من مثقفي العالم الاسلامي وشبابه خارج الكتلة السوفيتية بوجوههم الى الولايات المتحدة وجامعاتها لتتكون منهم القيادات الفكرية والسياسية على نمط النموذج الغربي ومصالحه وغاياته واهتماماته.

وادراكاً من المعهد لهذه الحقائق الهامة كان لابد من الالتفات الى هذه الجموع من المثقفين وعونهم على الاستفادة الصحيحة من ارتيادهم للجامعات والمؤسسات العلمية في هذه البلاد وذلك باقامة مشروع للمنح الدراسية تكون مهمته الوصول الى الدارسين في المراحل العليا للماجستير والدكتوراه والعناية بهم من جانبين:

الأول: تجنيد العلماء المسلمين في الجامعات الغربية وسواها للمساهمة في الاشراف العلمي على هؤلاء الشباب وترشيد جهودهم العلمية ومساندتهم بكافة الوسائل لكي يستكمل هؤلاء الشباب الجانب الاسلامي اللازم لهم للتعامل الأصيل المستقل مع دراساتهم الغربية ولتوجيه رسائلهم العلمية الى القضايا التي تهم الأمة الاسلامية، وتعين على تجلية رؤيتها. ولتكون وسيلة لعرض اسهامها الخلاق خدمة للانسانية، ولاقتراح البدائل العلمية التي تمثل الرؤية الاسلامية لحل المعضلات التي تعاني منها، ولتكون هذه الرسائل العلمية أيضاً وسيلة للاسهام في تناول قضايا الفكر الاسلامي ومعضلاته وتحقيق اسلامية المعرفة بدل أن تنحرف هذه الدراسات والرسائل لتكون وسيلة في صياغة غربية أجنبية بحتة، وتطويع العقل المسلم للمصالح والغايات الأجنبية، وتوفير المعلومات والاحصاءات لأصحاب الأغراض من الدارسين والهيئات الأجنبية.

والثاني: تقديم الدعم المادي للمتفوقين النابهين وأصحاب القدرات الابداعية من أبناء المسلمين الذين هم في فصول الدراسة أو الذين يتم اختيارهم للدراسة في المجالات ذات الأولوية لتحقيق أهداف الأمة والمعهد في اصلاح الفكر ودفع عجلة اسلامية المعرفة، وتقديم البدائل الأصيلة في حل معضلات الأمة وقضاياها الهامة، أو توفير تخصصات بعينها يحتاجها بلد مسلم أو جالية مسلمة تتعثر مسيرتها وتتضاعف معاناتها لعدم وجود هؤلاء المتخصصين من أبنائها.

الفصل السادس

ايضاحات لابد منها

في ختام هذه الرسالة عن رؤية المعهد في أزمة الأمة، والوجوه اللازم اضافتها الى قائمة الأولويات الاسلامية، وتوفير الجهود والمؤسسات اللازمة لها، نود أن نوجز بعض الأمور وأن، نركز القول حول عدد من القضايا الهامة التي تتعلق بهذه الرؤية وذلك كي يسهل توحيد التصورات وتظافر الجهود بين سائر المخلصين من رجال الأمة وعلمائها ومفكريها ومثقفيها وذلك فيما يلي:

١ – الاسلامية:

ان من يدرك حال الأمة اليوم يعلم أنه دون تكامل الرؤية لن تحل أزمة الأمة، وأنه لا يكفي التركيز على جانب من حياتها وقضاياها الهامة واهمال الجوانب الأخرى أيا كانت الرؤية أو الأسباب، وان علينا أن نتحلى بالذكاء والشجاعة وأن نتغلب في النهاية على الأسباب التي تمنعنا من استكمال عدتنا وتأهيلنا لبناء فرد ومجتمع وأنظمة حضارية اسلامية قويمة، مادية كانت تلك الأسباب أو معنوية.

لقد ارتفعت في سماء الأمة لقرون عديدة شعارات كثيرة دخيلة لعل أهمها شعار «التغريب» وشعار «التحديث»، وقد آن لنا أن نرفع اليوم شعار «الاسلامية». هذا الشعار ينبعث من ضمير الأمة ومن صميم كيانها ولذلك يجب أن يكون شعار «الاسلامية» هو شعار الأمة وأبنائها وان يكون رائد الأمة ودليلها المرشد ونجمها الساطع الوضاء. يجب أن تختفي نهائيا شعارات «التغريب» و «التحديث»، لأن الأمة اسلامية العقيدة والنفسية والغاية والتاريخ، ولأن شعار «الاسلامية» يحتوي «المعاصرة» و «التحديث» ولكنه يختلف عنها في أنه شعار مرشد يحدد الوجهة ولا يترك غبشا في الرؤية أو مجالا للدلس والتضليل.

«فالاسلامية» لمن يفهمها ويعيها ويفهم الاسلام ويعيه في حقيقة هديه واصلاحه وسماحته وشموله يعلم دون ادنى شك أن «الاسلامية» هي بالضرورة «المعاصرة» و «التحديث» الدائب المستمر ولكن باتجاه اسلامي وغاية اسلامية وقيم اسلامية وهداية ربانية.

يجب أن يكون واضحاً أن «الاسلامية» هي شعار حق وعدل واعمار واصلاح لا يختص بالمسلم وحده يمد ظلاله بالرعاية لكل كائن مخلوق وبالكرامة لكل انسان يمشي على وجه البسيطة.

إن «الاسلامية» هي نداء حضارة ربانية لهذا العالم الممزق المتناحر المهدد بالدمار، والمسلم الحق من خلال رسالته وتكوينه القيم الحامل للراية، وهو النموذج الفردي الشمولي الحق لحضارة الحق والعدل والأمن والسلام، حضارة العصر الجديد، العصر الذي يتطلع اليه منذ أمد بعيد الحكماء والعقلاء وأصحاب البصائر والضمائر.

٢ – اسلامية المعرفة:

يجب أن يكون واضحاً أن «اسلامية المعرفة» هي جانب من جوانب «الاسلامية»، «فالاسلامية» هي اطار قيمي حضاري شامل للفرد والمجتمع، للفكر والعمل، للتعلم والممارسة للمعرفة والتنظيم، للراعي والرعية، للدنيا والآخرة، يبتغي بها الانسان المسلم مرضاة الله سبحانه وتعالى بالحق والعدل والاعمار والاصلاح رضا وسلاماً وأمناً ونعيماً في الدنيا والآخرة.

ان «اسلامية المعرفة» هي جانب أساسي وأولي في بناء «الاسلامية» يختص بالفكر والتصور والمحتوى الانساني القيمي والفلسفي وكيفية بنائه وتركيبه وعلاقاته في العقل والنفس والضمير. ولذلك «فاسلامية المعرفة» شرط أساسي

مسبق لنجاح بنـاء الأمـة الاسـلامية ومفهومـها في الحيـاة الاجتماعيـة في كـل صورها الفردية والجماعية، الفكرية والعلمية، العملية والحركية على حد سـواء، ولذلك يجب أن لا تهمل «اسلامية المعرفة» وأولوية اداء حقها في زحمـة معانـاة الأمة على الصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري. في الوقت الذي لا مفر فيه من الدفاع علـى المسـتويات السياسـية والاقتصاديـة والعسـكرية إلا ان هـذه المعارك هي مزيد من استنـزاف طاقـة الأمـة إذا لم تقـم الأمـة ببـذل المجـهود والمطلوب لتطوير قاعدة طاقتها وهي طاقة الفكر واسلامية المعرفة، ولذلك يجـب بذل جهود البناء والاصلاح لقواعـد «العقليـة الاسـلامية» القويمـة ومتطلبـات وجودها ونمائها وذلك ببذل الجهود اللازمة لاقامة صرح «المعرفة الاسلامية».

و«المعرفة الاسلامية» أو «اسلامية المعرفة» تعني منهجية اسـلامية قويمـة شاملة تلتزم توجيه الوحي ولا تعطل دور العقل بل تتمثل مقاصد الوحي وقيمه وغاياته وتدرس وتدرك وتتمثل موضوع اهتمام الوحي وارشـاده وهـو الفـرد والمجتمع الانساني والبناء والاعمار الحضاري ومـا أودع الله في هـذه الكائنـات والعلاقات من فطرة ومن طبع، وكيف توجه تلك الطبائع وتتفاعل وكيف تطـوع وتستخدم وكل ذلك من أجل تفهم هذه الكائنات وعلاقاتها حتى يمكن تسخيرها لتوجيه الاسلام وغاياته.

«المعرفة الاسلامية» تعني وتتمثل بالضرورة القدرات والانجـازات العلميـة والحضارية الصحيحة كافة، تلـك الـتي توارثتـها البشـرية وانتجتـها بعـد أن تمحصها وتزنها بميزان الاسلام وشمولية قيمه وتوجيهه وغاياته.

«المعرفة الاسلامية» تعني معرفة ناقدة بصيرة تتمثل وتتمكن من كل معرفة صحيحة.

«المعرفة الاسلامية» تعني معرفة تصدر عن قيم الوحي وغايات الرسالة وتتصل بكل صحيح ونفيس من تراث الأمة وفكر علمائها ومفكريها على مر العصور والقرون.

«المعرفة الاسلامية» ليست قيماً وغايات فقط وليست تأملات فردية، وليست تاريخاً وتراثاً فحسب ولكنها سبيل لتكوين عقلية علمية منهجية بوجوه العلم والمعرفة الاجتماعية والانسانية والطبيعية والتطبيقية كافة.

«المعرفة الاسلامية» هي معرفة علمية منهجية، هي معرفة ربانية القيم والغايات في مصدرها، عقلية في فهمها وبحثها ودرسها ونظرها في قضايا الحياة والنفس والمجتمع والبيئة والطبيعة والفطرة والسنن.

«اسلامية المعرفة» هي اليوم على سلم أولوية الأمة أولوية آنية، أولوية تستهدف تطوير منهجية الفكر الاسلامي وتطهيره مما اعتوره على مر العصور بعد الصدر الأول من انحرافات وفساد وعزلة وجزئية وجمود، وأولوية تستهدف اعداد الفكر الاسلامي ومنهجيته بتراث الأمة السليم ووصل شرايينه به كما تهدف الى تمكين الفكر الاسلامي من كل وجوه القدرة والمعرفة الانسانية السليمة في كافة مجالات الفكر والمعرفة أيا كانت اجتماعية أو طبيعية أوتطبيقية وذلك لتكوين أساس اسلامي معاصر سليم للعمل والجهاد في كافة المجالات الحياتية والحضارية.

أولوية «اسلامية المعرفة» واصلاح الفكر والمنهجية وتمثل التراث والمعارف المعاصرة لا تعني ايقاف العمل في مجالات العمل والاصلاح الحياتية الأخرى، ولكنها تعني اعطاء الاهتمام والموارد العقلية والبشرية والمادية اللازمة لكي يتم الاصلاح المطلوب في هذا المجال ليواكب الجهود والتضحيات والموارد الميسرة

لجوانب البناء والاصلاح الأخرى والتي لن يستقيم أمرها ولن تتصاعد الطاقة التي تمدها اذا لم يصلح الفكر الاسلامي ومنهجيته.

المقصود بـ«اسلامية المعرفة»: أن تواكب قدرة العقل والفكر والمنهج المسلم حاجة الأمة والتحديات التي تواجهها، وأن تقدم لها الطاقة والزاد الفكري والرؤية والمناهج الفكرية والحضارية اللازمة لانجاح مسيرة جهود بناء مرافقها وأنظمتها. فالأمة لا ينقصها الاخلاص ولا القيم ولا الامكانات البشرية أو المادية ولكنها تحتاج الى فكر سليم ومنهج متكامل قويم ورؤية واضحة تسير على هداها وتسعى الى تحقيقها وتنشئ أبناءها على مقتضاها.

من المهم أن نتذكر وأن نتيقن أنه دون اصلاح الفكر والمنهج وتحقيق رؤية أصيلة واضحة فلن يستقيم جهد ولن ينجح عمل ولن تفيد تضحية. هذا ما نشأت عليه حضارة الاسلام، وما قامت عليه الحضارات من قبل. وتاريخ المواجهة الأوروبية الاسلامية وكيف واجهت فيها ضعفها وهزائمها أمام هجمة المسلمين العثمانيين وذلك بانطلاقها في أحلك ساعات المواجهة الى اصلاح فكرها وتمثل انجازات المسلمين الحضارية من خلال قيمها وغاياتها وتراثها هو تاريخ معلوم لنا ماثلة نتائجه أمامنا.

وإذا كان لا يصلح للمرء المسلم أن يتكرر عليه الدرس فلا يتعظ ولا يرعوي فقد تكررت الدروس والعظات والتجارب، وآن لنا أن ندرك أولوياتنا وتكاملاتنا، وأن لا نهمل الأسس مهما كان إلحاح الأحداث وهجمات التصدي التي تصرفنا عن اعادة بناء الطاقة التي يتولد عنها الجهد الصحيح بالقدر الصحيح في الاتجاه الصحيح.

ولوضوح الرؤية وسلامة المسيرة وقطع دابر سوء الفهم وقصور الادراك نود ان نؤكد لكل مخلص حكيم أن أولوية جهود «اسلامية المعرفة» لا تعني

بحال من الأحوال تناقضا أو الغاء لجهود الأمة الاسلامية في المجالات الحياتية المختلفة بل تعني التكامل معها والتداخل في ادائها وعلاقاتها يقوي بعضها بعضا ويدعم بعضها بعضا، ويستكمل بعضها متطلبات البعض الآخر.

ان المقصود بـ«اسلامية المعرفة» انما هو استكمال أدوات مسيرة الأمة في عملها الاسلامي وتوفير الطاقات والقدرات اللازمة لتسديد مسيرة وبلورة رؤيته ومنهجيته وعمله وجهاده في واقع الحياة المعاصرة بمتغيراتها وطاقاتها وامكاناتها وطموحاتها وتحدياتها المتعاظمة المتنامية.

«الاسلامية» بمفهومها الشامل اطار للحياة الانسانية والحضارة والاعمار البشري، وغاية كل نشاط وعمل وتنظيم اجتماعي اسلامي، غاية واحدة ومسيرة واحدة ولا يصح اهمال أي جانب منها أو التقليل من شأنه، ولكن المطلوب اعطاء كل أولوية ما تستحقه من الرؤية والاهتمام ومن حاجات البناء والنمو وفق حاجات كل مرحلة من المراحل وكل مهمة من المهمات التي تواجه الأمة.

فأولوية «اسلامية المعرفة» لا تلغي الأولويات الأخرى ولا الجهود الأخرى أيا كانت جهودا سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو علمية أو عسكرية، ولكنها تعني أن «اسلامية المعرفة» أولوية ماسة وحاجة ملحة يجب أداؤها في مقدمة الأولويات والحاجات وذلك استكمالا للعدة، وتبصيرا للرؤية وتجديدا للطاقة في البناء والقدرة في اللقاء.

٣ – أولويات عمل الأمة في انجاز خطة اسلامية المعرفة:

لكي تتحقق «اسلامية المعرفة» كاملة وتؤتي ثمارها يانعة هناك قواعد لابد ان ترسى وجوانب لابد أن تتم وتستكمل قبل ان نستطيع أن نقول: «اسلامية

المعرفة» قد قامت وأصبحت فعلا مؤسسة من مؤسسات المجتمع الاسلامي، تستطيع أن تمد الأمة بحاجاتها من الفكر الأصيل والمعرفة المبدعة.

وقاعدة بناء «المعرفة الاسلامية»: التمكن والاحاطة بمادة الأصول والنفائس التراثية والمعلومات الاجتماعية والتطبيقية المعاصرة، كما يشمل التمكن من الرؤية الاسلامية ومنطلقاتها ومفاهيمها الفلسفية والمنهجية، ثم تتبع «مرحلة العطاء والابداع» وفيها تظهر وتزدهر مادة العلوم والمعرفة الاسلامية الحضارية، وهذا معناه أن اسلامية المعرفة في مسيرة حياة الأمة ستمر بمرحلتين أساسيتين على النحو التالي:

أ - المرحلة الأولى:

أولا: اتقان العلوم الحديثة:

واتقان العلوم الحديثة يعني ان الدارسين المسلمين للعلوم الحديثة يجب ان يتقنوا هذه العلوم في قضاياها ومناهجها، وان تقدم اليهم بشكل شمولي يدركون به غايات هذه العلوم وظروف نشأتها وتطورها ونموها التاريخي ووجوه النقد التحليلي الموضوعي لهذه العلوم في اطارها الغربي وفقا للمنظور الاسلامي الصحيح.

هذا الاتقان سيمكن المسلمين من القدرات والمعلومات التي أفرزتها الحضارة الانسانية حتى اليوم من جانب، كما سيمد من ناحية أخرى الدارس المسلم بمعلومات ومناهج هامة لاقامة قاعدة فكره الاسلامي وتأصيله في الجوانب الحياتية الاجتماعية التي تمثل جوانب الفطرة الانسانية والواقع الحياتي والاجتماعي الذي هو موضوع الدراسة والتأمل والتوجيه والترشيد، ومن ناحية

ثالثة سيقضي التمكن الشمولي على الانبهار ويهدم أسوار التقليد ويفسح المجال أمام الانطلاق والابداع.

ثانيا: التمكن من التراث الاسلامي:

وإذا كان القصد من اتقان العلوم الحديثة هو الاستفادة من هذا التراث الانساني وهضمه وتمثله بالاسلوب الصحيح لكي تكون العلوم ومعارفها في خدمة الفكر الاسلامي وفي خدمة الرؤية والغاية الاسلامية في هذا العصر، لذلك لابد للدارس ايضا من أن يتمكن من أصول الاسلام الأساسية وهي القرآن والسنة، بأن يحيط بسائر النصوص المتعلقة بتخصصه ثم التمكن من التراث الاسلامي وذلك بعد غربلة هذا التراث واستخلاص الصحيح المفيد من عيونه وما يحتويه من الفكر الذي صدر عن روح الاسلام وغايته لا عن الخرافات أو الانحرافات أو السفسطات الوافدة أو الأعراض والأمراض التي ألمت بروح الأمة وفكرها على مر العصور ويتحقق التمكن باستخلاص المختارات التراثية في كل مجالات العلوم والفنون والقضايا الحياتية المعاصرة وتيسير هذه المختارات وتحليلها ليتمكن الباحثون من ادراك وفهم أفضل لرؤية السلف الاسلامية، وكيف حرك ذلك الفهم في نفوسهم فحولوا تلك الرؤية الى مناهج قويمة قادرة تنعكس في الافعال وفي السلوك، مكنتهم من حل ما واجهتهم من قضايا وصعوبات حياتية، وفتحوا بها للحضارة والاعمار البشري على عصورهم آفاقا جديدة ومجالات واسعة.

ب - المرحلة الثانية:

أولا: تحديد المشاكل الهامة:

وقبل أن يتمكن العقل من الانطلاق والابداع لابد له من تحديد القضايا والتحديات التي يهدف الى مواجهتها وحل معضلاتها.

ولذلك يجب على العقل المسلم، حتى يتمكن من الابداع والمبادرة والعطاء، أن يحدد في مطالع مسيرته طبيعة المشاكل والقضايا والتحديات التي تواجهها الأمة أو التي تواجهها البشرية ويطمع العقل الاسلامي في التصدي لها وحل معضلاتها.

وحتى يتم اطلاق عقال الابداع الاسلامي على هدى يجب أن يبدأ العقل المسلم بتحديد قضايا الأمة واولويات هذه القضايا حتى تعطي رؤيته ثمارها الصحيحة، ومن المهم أن يدرك العقل الاسلامي ان مشاكل الأمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ـ وهي مشاكل هامة بكل المقاييس ـ ليست في الحقيقة الا نتيجة والا جانبا يسيرا لمرض الأمة الكامن وهو غبش الرؤية الاسلامية المعاصرة وضمور أسس الفكر الاسلامي وتدهور مناهجه وما ترتب على كل ذلك من أمراض ومن فساد وانحطاط وضعف في أداء الأنظمة وتأثير التربية والالتزام والأخلاق.

كما ان على العقل المسلم تحديد المشاكل والتحديات التي تواجه الانسانية لأن المسلم وحده ـ رغم تخلفه الحضاري اليوم ـ هو الذي ينتمي الى الاسلام ولذلك فهو وحده الذي يملك القدرة على تقديم الاسلام الى الناس والتعبير عنه، وابلاغ رسالته فالاسلام وحده الذي يمثل الاساس المؤدي الى الازدهار الديني والخلقي والمادي للبشرية في آن واحد، وهو الذي يملك القدرة على اعادة بناء

البشرية على الوجه الصحيح الذي أراد الله لـها خلافة بالحق والاصلاح علـى هذه الأرض.

ان العقل المسلم والفكر المسلم مطالب بالتصدي للمشاكل التي تواجه العالم اليوم والعمل على حلـها طبقا للرؤية الاسلامية. ان الأمـة التـي تحمـل الرؤيـة الاسلامية هي المتحدث الحق والوحيد في الأرض باسم البشـرية البائسـة التـي ضاعت قضيتها بين الاستعماريين والثوريين وهي تسعى للتخلص مـن نـيرهم. ان التعصب العنصري في كل مكان يدمر العلاقات التـي تربـط البشـر بعضـهم ببعض. أما البقية الباقية من الخير فقد تكلفت بالقضاء عليها الخمور والمخدرات والفوضى في العلاقات الجنسية والتدهور في اخلاقيات الأسرة والأمية والخمول والحكومات المستبدة وتكديس الأسلحة والعدوان الظالم علـى الطبيعـة وتـهديد التوازن البيئي على الأرض، كل ذلك وغيره تستفحل شروره دونما رادع فعـال من أي مصدر. ومن المؤكد ان ليس إلا الاسلام والرؤية الاسلامية سـبيلا الـى حل هذه المشاكل فكرا وتخطيطا وتنفيذا.

وفي تصدي الأمة لرسالتها وحمل مسؤوليتها تكون سعادة الأمة وسـعادة البشرية ايضا. ان حل هذه المشاكل ومواجهة هذه التحديات والسـير بالبشـرية الى السعادة والازدهار في اطار من العدل والكرامـة هـو جوهـر رسـالة الأمـة الاسلامية رؤيتها ومصدر التخطيط السليم لمسيرة الأمة في هذا العصر ومواجهة التحديات.

ثانيا: الابداع والمبادرة الاسلامية:

و «الابداع الاسلامي» و «المبادرة الاسلامية» أو تحقق «الاسلامية» في كيان الأمة ومسيرتها الحضارية في صورته الكاملة انما هـو ثمـرة التمكـن والاتقـان

«للأصول والتراث والعلوم الحديثة بمنهج علمي تحليلي ناقد متكامل يقيم العلاقة الخاصة الصحيحة بين الرؤية الاسلامية والمنطلقات الاسلامية الصحيحة وبين الواقع الحياتي المعاصر بكل قضاياه ومشاكله التي حددها الفكر الاسلامي هدفا لجهوده ومسيرته في الاصلاح والاعمار».

هذا الاعداد سوف يؤدي بالفكر الاسلامي الى «المبادرة» و «الابداع» وتقديم البدائل في واقع الأمة وواقع الانسانية الحياتي وما يواجهه من مخاطر وتحديات وبذلك يصبح الفكر الاسلامي في الموضوع قائدا ومعلما في جميع مجالات الفكر والبناء الحضاري لسائر أمم الأرض ويكون محررا أو مصلحا على صراط مستقيم.

إن على «العقل المسلم» المبدع والفكر المسلم الأصيل أن يستحث خطوات اعداده لكي يقوم بسد الفجوة التي ألمت بالبناء الحضاري الاسلامي عبر قرون التخلف، ولكي يدفع بالعلوم والمعارف والاعمار والحضارة الى آفاق أبعد وأرحب مما بلغته الانسانية والمعارف الحديثة حتى اليوم.

على «العقل المسلم» أن يقدم الحلول والبدائل المبدعة وأن يحدد المعايير الصحيحة التي تعبر عن الاسلام في شريعته واخلاقه وثقافته وروحه ومقاصده، وأن يتملك «العقل المسلم» و «الفكر المسلم» الوسائل التي تناسب كفاءة تلك المعايير في أداء المهام وأن يمارس استخدامها فلا يرتد الفكر الاسلامي انطوائيا خياليا عشوائيا لا يملك القدرة الصحيحة على حل المشاكل والتصدي للتحديات وربط القيم والغايات الاسلامية بالواقع والممارسات والامكانات الحياتية.

وحين يكتمل الاعداد ويبلغ فكر الأمة مرحلة الابداع، فلن تكون هناك نماذج من الكتب المنهجية الجامعية المجردة والكوادر والبرامج الدراسية فقط، ولكن

ستكون مسيرة عريضة وعطاء مدرارا يصدر عن الأمة بكل طاقاتها وعقولها وفي كل مجالات حياتها، يمثل منهج أمة في العطاء والأداء، لا فلتات أفذاذ تعجز الأمة قروناً عن انجاب أمثالهم.

٤ – أولويات خطة عمل المعهد:

من المعلوم أن مسيرة «اسلامية المعرفة» على مستوى الأمة في صورتها الكاملة لابد لها أن تمر بشكل أساسي في مرحلتين تشمل أربع جوانب كما سبق أن أوضحنا ذلك في الفقرة السابقة تحت عنوان «أولويات عمل الأمة في انجاز خطة اسلامية المعرفة» وهذه المراحل هي «مرحلة التمكن والاتقان» و «مرحلة الاستقلال والابداع» وتتكون مرحلة التمكن والاتقان من جانبين هما جانب التراث وجانب العلوم المعاصرة. وتبتدئ مرحلة «الابداع والاستقلال» في تكامل الرؤية والمفاهيم والمنهج ثم تلقي عند ذلك ثمراً من الفكر النير والعلم النافع والعمل الجاد والبناء الشامخ والحضاري.

وما يصدق في أمر هذه المراحل بشأن طبيعة الأمم يصدق أيضاً بشأن طبيعة الأفراد والكوادر العلمية وفي بناء المناهج التعليمية وبناء أسس «المعرفة الاسلامية». فلابد من تحلي الفرد والأمة بمؤهلات الابداع بالتمكن من التراث والمعارف الحديثة قبل أن يستطيع الفرد أو تستطيع الأمة أن تتحصل على ثمار العقل المبدع.

ولذلك يأمل المعهد أن تتكامل جهود العلماء المخلصين وجهود مؤسسات الأمة العلمية نحو انجاز مرحلة التمكن والاتقان من الأصول ونفائس التراث وتبويبهما وتيسيرهما للدارسين وتقديم كل ما يتعلق بهما من الأدوات والوسائل التي تيسر التمكن من التراث والوصول اليه وهضمه وكذلك اتقان

المعارف والعلوم الحديثة والتمكن منها في دراسات صور ونماذج ناقدة شمولية تعينهم على اتقانها وادراكها لا في حرفها وتفاصيلها فقط ولكن تمكنهم من ادراك كلياتها ومبانيها وغاياتها ومصادرها الأساسية بحيث تأتي دراستهم لها نافعة استقلالية مبصرة.

ويجب ألا تقتصر جهود اتقان العلوم الحديثة على الفئة المحدودة من المبعوثين الدارسين في البلاد الأجنبية الذين يجيدون بشكل محدود اللغات الأجنبية بل يجب أن يشمل الاتقان كافة كوادر الأمة العلمية والثقافية وذلك بتوفير الترجمة العلمية بالقدر المطلوب بحيث تصبح المعرفة العلمية متوفرة في أفضل صورها وأحدثها لجميع الدارسين والمثقفين باللغة العربية ولغات الشعوب الاسلامية، وكل ما يحتاجه ذلك هو قيام عدد محدود من مدارس تعليم الترجمة ومؤسسات الطبع والتوزيع بحيث توالي الترجمة العلمية كل جديد في كل حقل من حقول المعرفة، كما يجب تشجيع المبادرات الخاصة والتجارية في هذه المجالات حتى يتم استكمال شروط التمكن والتهيئة الصحيحة للابداع والعطاء على مستوى الأمة لا مستوى المصادفات اليتيمة لأفراد أفذاذ لا يبقى من بعدهم من أثر بعد أن يطويهم التاريخ الا ذكر في قاعات الذكر والدرس وصفحات التاريخ والشمائل وعبارات المواساة والفخر.

وللاعداد لكل هذا والعون عليه والتمهيد له فان خطة عمل المعهد في الواقع لا تحد نفسها بهذا الترتيب في العمل ولا بتلك المراحل في السير.

فالمعهد يتصدى منذ الوهلة الأولى في خطته الى ارساء قواعد المفاهيم والمنطلقات والمناهج الأساسية للرؤية الاسلامية في ذات الوقت الذي يعمل فيه المعهد على الدعوة الى «الاسلامية» و «اسلامية المعرفة» والعمل على تحقيق

الاتقان والتمكن من ميدان التراث والعلوم الحديثة وتهيئة الوسائل اللازمة لهذا التمكن.

وهدف المعهد من عمله في ميدان الاستكتاب «المبدع» هو ارساء قواعد المفاهيم والمناهج الأساسية للرؤية الاسلامية وذلك بالتفرغ واستكتاب الأفذاذ الذين كونتهم المبادرة الشخصية ومكنتهم في ذات الوقت من التراث ومن العلوم الحديثة، وهذه الكتابات والاسهامات الرائدة تمثل الضوء الهادئ للجهود الفكرية لمسيرة بناء قواعد المعرفة الاسلامية نحو الاستقلال والابداع وقطف ثمار الانجاز والعطاء.

وفي الوقت الذي يقدم في الأسس والعلاقات الهادية في مجال الرؤية الاسلامية ومناهجها فانه يعمل على انجاز الدراسات الأساسية المساعدة لجهود الاتقان، والتمكن وتقديم النماذج الجيدة لتيسير الأصول والتراث، والعروض الناقدة الشمولية للمعارف الحديثة وذلك حتى ينسج علماء الأمة ومفكروها ومثقفوها على منوالها في استقصاء المواد والاعمال التي يجب تيسيرها وعرضها بالاسلوب الصحيح وبالقدر الصحيح حتى تصبح تلك الأعمال والوسائل في متناول يد العلماء والمفكرين والكوادر العلمية وجزءاً لا يتجزأ من ثقافة الأمة وحصيلة علمائها وكوادرها العلمية.

والمعهد يعلم حق العلم أنه لن يستطيع وليس مطلوباً منه استقصاء كل تلك الأعمال فهي أعمال مناطها الأمة ومؤسساتها العلمية الخاص منها والعام، ومجال للمشاركة والمساهمة من كل فرد له باع في العلم والمعرفة وانما كل ما يقصد اليه المعهد هو تهيئة الأذهان وتمهيد الطريق وتقديم النماذج الملموسة الضرورية حتى يمكن أن تنطلق الأمة الى انجاز هذه الأولوية في اعادة تكوين بناء عقلية الأمة وتوفير الشرط المسبق اللازم لنجاح خطط رجالها ومؤسساتها

وجهودهم وحتى يمكن جني ثمار ما يتحلون به من الايمان والاخلاص والكفاح والبذل والعطاء.

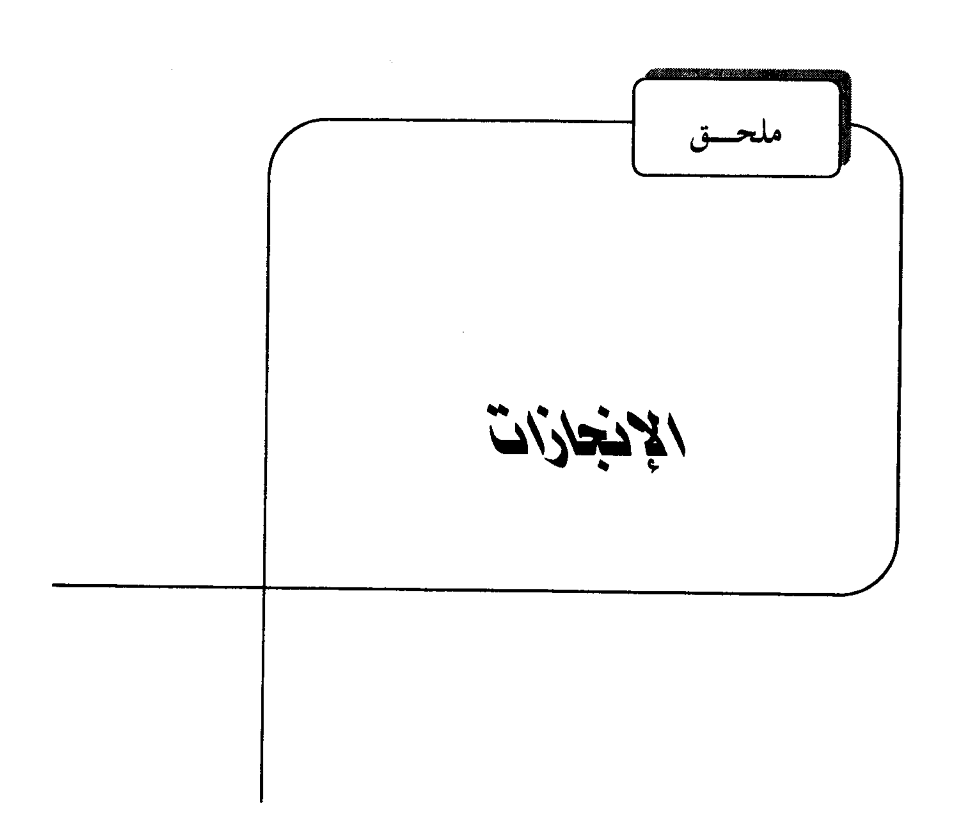
والمعهد - لانجاز هذه الغاية - يدعو ويحاور ويستكتب وينشر ويعلم وينسق ويتعاون وهو يتطلع الى كل عون ونصح ويرجو في كل ذلك من كل معنى مخلص أن يعينه على حمل أمانته وأداء رسالته.

ان المعهد يرجو من كل فرد ومن كل مؤسسة خاصة وعامة، أن تمد يدها للتعاون وأن تأخذ زمام المبادرة للاتصال والمراسلة والزيارة واقامة جسور المعرفة والتعاون وتنسيق الجهود في سبيل تحقيق الغاية المشتركة في سبيل نصرة الحق واعلاء كلمة الله.

هذه هي رسالة المعهد، وهذه هي غاية المعهد، وان المعهد ورجاله على ثقة من عون الله، وعلى ثقة من استجابة اخوانهم العاملين على نصرة الاسلام، وعلى أمل وطيد في استجابتهم للنداء وتعاونهم بالجهد المخلص بما يحقق الغاية، ويتم به التغلب على كل العقبات والصعاب باذن الله.

والله سبحانه وتعالى نسأل العون والهداية والتوفيق والسداد انه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الإنجازات



خلال الـ ١٥ عاما الماضية قام المعهد في سبيل الوصول الى أهدافه بتوظيف الوسائل التالية:

أولا: طباعة الكتب باللغة العربية والانكليزية:

طبع ما يقارب أكثر من (٢٠٠) عنوان في ١٥ سلسلة هي:

السلسلة	العدد
١ - سلسلة اسلامية المعرفة	٢٠ كتابا
٢ - سلسلة اسلامية الثقافة	كتابان
٣ - سلسلة قضايا الفكر الاسلامي	١٦ كتابا
٤ - سلسلة المنهجية الاسلامية	١٥ كتابا
٥ - سلسلة أبحاث علمية	١٣ كتابا
٦ - سلسلة محاضرات	٣ كتب
٧ - سلسلة رسائل اسلامية المعرفة	٦ كتب
٨ - سلسلة الرسائل الجامعية	٣٢ رسالة
٩ - سلسلة المعاجم والكشافات	١٠ كتب
١٠ - سلسلة تيسير التراث	٣ كتب
١١ - سلسلة حركات الاصلاح ومناهج التغيير	كتابان
١٢ - سلسلة المفاهيم والمصطلحات	٣ كتب
١٣ - سلسلة التنمية البشرية	كتاب واحد
١٤ - دراسات في الاقتصاد الاسلامي	(٣٠) حلقة
١٥ - دراسات في العلاقات الدولية في الاسلام	(١٢) حلقة

ثانياً: المجلات:

١ – مجلة اسلامية المعرفة تصدر في ماليزيا منذ ثلاث سنوات، وصدر منها ١٢ عدداً.

٢ – المجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية [بالانجليزية].

٣ – مجلة مراجعات الكتاب Book Review تصدر في لندن.

٤ – مجلة المسلم المعاصر (صدر منها عشرة أعداد بالتعاون مع المعهد).

ثالثاً: المؤتمرات:

عقد أكثر من ثلاثين مؤتمراً محلياً ودولياً في مختلف بلدان العالم، حول موضوع المنهجية الاسلامية، الاقتصاد الاسلامي، السنة النبوية، الحضارة الاسلامية، الفكر الاسلامي، علم النفس الاسلامي، الفلسفة الاسلامية المعاصرة، العلاقات الدولية في الاسلام، الأدب والفن الاسلامي، التربية الاسلامية، منهجية العلوم الاسلامية، الحركات الاسلامية، العلوم الاجتماعية في الاسلام،وموضوعات أخرى.

رابعاً: تأسيس مؤسسة (سارا) الخيرية الوقفية لدعم المشاريع الثقافية:

وهي مؤسسة وقفية استثمارية تعمل في أكثر من عشرين مشروعاً استثمارياً.

خامساً: المشاركة في تأسيس ودعم الجامعات الاسلامية التالية:

١ – كلية اسلامية المعرفة في السودان.

٢ – ادارة وتنظيم برامج الجامعة الاسلامية العالمية في ماليزيا منذ عام ١٩٩٨م.

٣ – تأسيس جامعة العلوم الاسلامية والاجتماعية في الولايات المتحدة، عام ١٩٩٥م.

المحتويات

اسماعيل الفاروقي:

✿ من مواليد يافا فلسطين ١٣٣٩ هـ / ١٩٢١م.

✿ دكتوراه في الفلسفة من جامعة انديانا بالولايات المتحدة.

✿ مارس التدريس في المعهد المركزي للبحوث الاسلامية في الباكستان، وفي جامعة (سيراكيوز الاميركية)،(وماك كل الكندية).

✿ رئيس (الكلية الاسلامية الاميركية) في شيكاغو، واستاذ في قسم الدين بجامعة (تمبل) في بنسلفانيا.

✿ أول رئيس لجمعية علماء الاجتماع المسلمين في الولايات المتحدة.

✿ أول رئيس للمعهد العالمي للفكر الاسلامي في الولايات المتحدة.

✿ استشهد مع زوجته في شهر رمضان ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

آثاره:

١ - المنظومة الأخلاقية في المسيحية ١٩٦٧م.

٢ - الأطلس التاريخي لأديان العالم ١٩٧٤م.

٣ - الديانات الآسيوية العظيمة ١٩٧٦م.

٤ - اطلس الحضارة الاسلامية، بالاشتراك مع زوجته د. لوس لمياء الفاروقي صدر في ست لغات، وللمرة الأولى باللغة العربية ١٩٩٨م.

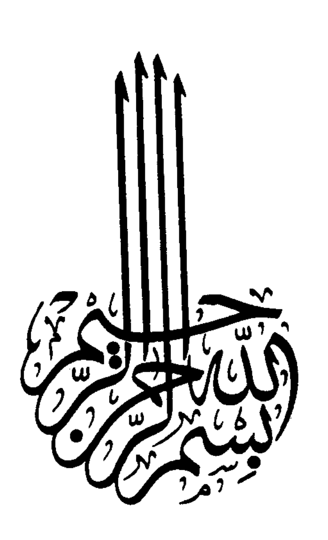
٥ - اسلامية المعرفة (هذا الكتاب).

كتاب قضايا اسلامية معاصرة

سلسلة دورية تصدرها مجلة قضايا اسلامية معاصرة

رئيس التحرير: عبدالجبار الرفاعي

* اشراقات الفلسفة السياسية	كامل الهاشمي
* الاجتهاد والتجديد	ابراهيم العبادي
* منهج الامام في التفسير	عبدالسلام زين العابدين
* علم الكلام الجديد	محمد مجتهد شبستري
* المدرسة التفكيكية	محمد رضا حكيمي
* اشكالية الاسلام والحداثة	عادل عبدالمهدي
* اسلامية المعرفة	اسماعيل الفاروقي
* اصلاح الفكر الاسلامي	طه جابر العلواني
* جداليات الفكر الاسلامي	ابراهيم العبادي
* فقه التحيز	عبدالوهاب المسيري
* اسلمة الذات	كامل الهاشمي
* نظرية العلم في القرآن	غالب حسن
* القسط والعدل	لمحمد رضا حكيمي واخويه
* مقدمة في اسلامية المعرفة	طه جابر العلواني
* تطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية	عبدالجبار الرفاعي
* قضايا التجديد	حسن الترابي
* نزعة التغريب	جلال آل احمد
* الدستور والبرلمان	جعفر عبدالرزاق
* الفكر الاسلامي: تطوراته ومساراته	زكي الميلاد
* علم الاستغراب	حسن حنفي
* الاجتهاد التحقيقي	محمد رضا حكيمي
* المستنيرون: خدمات وخيانات	جلال آل أحمد
* أصالة النبوة في حياة الرسول الكريم	غالب حسن
* اشكاليات التجديد	ماجد الغرباوي
* مقاصد الشريعة	طه جابر العلواني


بسم الله الرحمن الرحيم